الجمـاهيرية العربيـة الليبيـة الشعبيـة الاشتراكية العظمى

جامعة عمر المختار
كليــة الآداب
قسـم التاريخ

البرامكة في خلافة هارون الرشيد

(170 -193هـ / 786 – 808م)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة التخصص العالي (الماجستير)
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

سوزان عـوض القاسـي أحنيش

إشــراف:

أ. د . سعاد جواد حسن الأنصاري

العام الجامعي 2009 – 2010 م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة النحل، الآية: 112)

الإهداء

إلى من أضاءا في طريقي شموع الأمل ... إلى من ضحيا من أجلي بكل شيء ...

فكانت حياتهما ومازالت عامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان

أطال الله في عمرهما

أبي وأمي

إلى روح خالي في مقعد صدق عند مليك مقتدر

فالله أسأل أن يجعل أعمالي في ميزان حسناتك

وأن يجمع بيني وبينك في الجنة ـ رحمة الله عليك

خالي خالد الشريف

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

الباحثة

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيراً لله ﷻ الذي أمدني بالصبر والمقدرة على إكمال هذه الدراسة ﴿... **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ (سورة النمل، الآية: 19).

وأتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان للأستاذة الفاضلة

الدكتورة / سعاد جواد الأنصاري

فقد وجدت من تشجيعها ما حفزني إلى هذا البحث وأغراني به، ومن توجيهها السديد ما ذلَّل لي الصعاب ويسر السبيل ... فجزاها الله عني الجزاء الأوفر.

وأشكر الأساتذة الكرام بقسم التاريخ على ما حبوني به من رعاية واهتمام طيلة أيام البحث ...

وأخص بالذكر

الأستاذ الدكتور / صالح مصطفى المزيني

والأستاذ الدكتور / مفيد الزيدي

كما أشكر الأستاذة / آمال عيسى التي تولت مراجعة البحث لغوياً

وأشكر الدكتور / إسماعيل فتحي . رئيس قسم اللغة الإنجليزية . جامعة عمر المختار . طبرق

وأتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة الفاضلة التي ستكرمني بتقويم هذا الجهد المتواضع.

كذلك أقدم شكري لكل من قدم نصيحة أو رأياً أو أعان في الحصول على كتاب، ولو كان عمله بسمة عند اللقاء

جزاهم الله في خير الجزاء

الباحثة

المختصرات لبعض الرموز الواردة في الرسالة

أولاً / المختصرات العربية:

الكلمة المختصرة	الاختصار
صفحة	ص
عدد الصفحات	ص ص
مجلد	مج
جزء	ج
عدد	ع
توفي	ت
السنة الهجرية	هـ
السنة الميلادية	م
طبعة	ط
بدون طبعة	د.ط
بدون تاريخ	د.ت

ثانياً / المختصرات الأجنبية:

الكلمة المختصرة	ترجمتها	الاختصار
Page	صفحة	P.
Pages	صفحات	PP.
Volume	المجلد	Vol.
In the work cited	المرجع السابق	Op. cit

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	8 – 1
الفصل الأول	
جذور التغلغل البرمكي في الدولة العربية الإسلامية	
المبحث الأول – البرامكة أصلهم ونسبهم	23–10
المبحث الثاني – علاقة البرامكة بالدولة العربية الإسلامية	46 – 24
الفصل الثاني	
دور البرامكة في عهد الخليفة هارون الرشيد (170–187هـ / 786–802م)	
المبحث الأول – يحيى بن خالد أول وزير تفويض في العصر العباسي	60– 48
المبحث الثاني – دور الفضل بن يحيى في توجيه سياسة الدولة	69–60
المبحث الثالث – منزلة جعفر بن يحيى وأخوته لدى الخليفة هارون الرشيد	84 – 70
الفصل الثالث	
عوامل وأسباب تدهور مكانة البرامكة	89 – 86
المبحث الأول – العامل السياسي	100 – 89
المبحث الثاني – العامل الاقتصادي	106–100
المبحث الثالث – العامل الديني	111–107
المبحث الرابع – العامل الشعوبي	116–111
المبحث الخامس– عوامل أخرى	126–116
الفصل الرابع	
القضاء على البرامكة ونهايتهم سنة (187هـ / 802م)	129–128
المبحث الأول – تجريد البرامكة من سلطاتهم	134–129
المبحث الثاني – نهاية البرامكة	150–134
المبحث الثالث – أثر نهاية البرامكة على الأوضاع العامة في خلافة هارون الرشيد	153–150
الخاتمة	157–155
الملاحق	162–159
قائمة المصادر والمراجع	189–164
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	191–190

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد:

ظهر الدور السياسي لأسرة البرامكة بشكل واضح ومؤثر في عهد الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد، الذي تولى الخلافة سنة (170-193هـ / 786-808م)، وإن كانوا قد ظهروا في الدولة العربية الإسلامية منذ وقت أبكر من عهد الخليفة هارون الرشيد، إلا أن بروزهم وظهورهم على مسرح الأحداث السياسية للدولة وتصرفهم في شؤونها بشكل فعلي كان في عصر الخليفة هارون الرشيد، وخاصة بعد أن تولوا منصب الوزارة، الذي كان من المناصب المهمة في الدولة العربية الإسلامية، دليلاً قوياً على المكانة المميزة والخاصة لهذه الأسرة عند الخليفة هارون الرشيد. إذ لم يكن الوزراء قبل خلافة الخليفة هارون الرشيد سوى كتاباً ومستشارين، وفضلاً عن ذلك لم يكن لهم أي دور سياسي فعال خلال حكم الخلفاء الأمويين، وربما يعود ذلك إلى إن الدولة الأموية كانت أكثر اعتماداً على العناصر العربية من العناصر الغير عربية.

تشكل دراسة البرامكة في خلافة هارون الرشيد صفحة مهمة من صفحات التاريخ الإسلامي بشكل عام، والتاريخ العباسي بشكل خاص، لأنها تسلط الضوء على مرحلة هامة في تاريخ الخلافة العباسية، والدور البارز الذي لعبه البرامكة خلال تلك المرحلة، ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة، وأسباب اختيارها، والتي تكمن في محاولة ملء جزء يسير من الفراغ الموجود في المكتبة التاريخية الليبية، لاسيما في هذا الموضوع المتعلق بالبرامكة؛ ذلك أن ما كتب عنهم على . حد علمنا . لا يعد أن يكون شذرات مبثوثة ومتناثرة في بطون المصادر والمراجع والدراسات الحديثة التي تناولت بالبحث والاهتمام دراسة العصر العباسي الأول، وبخاصة خلافة هارون الرشيد، فضلاً عن رغبتي الشخصية في دراسة هذا الموضوع الذي اختلفت فيه آراء المؤرخين باختلاف مذاهبهم ومشاربهم حول البرامكة، وعلاقتهم بالدولة العربية الإسلامية، آملة

إن تكون هذه الدراسة بذرة متواضعة تسهم في إثراء المكتبة الليبية والعربية، على أن يظل الباب مفتوحاً للباحثين التواقين للتوسع والبحث والاستزادة فيها خاصة أننا لم نتطرق إلى الجانب الحضاري الإيجابي في هذا العهد ثقافياً وعمرانياً واجتماعياً، فإننا لم نتناوله ضمن بحثنا هذا، واقتصرنا على الجانب السياسي، فضلاً عن إن اهتمام البرامكة بهذا الجانب لم يكن لمصلحة الدولة العامة والدين الإسلامي في رأينا، كما تشير بعض الروايات، بقدر ما كان تجاوزاً على سياسة الدولة، وتحقيقاً لمصالحهم الخاصة، ومحاولة منهم لشق البيت العباسي.

ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة قلة المراجع والدراسات السابقة التي تخص أصل ونسب البرامكة، واتصالهم بالدولة العربية الإسلامية، خاصة في عصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي، وبروزهم، وتألقهم ونهايتهم في العصر العباسي، وتحديداً في عصر خلافة الرشيد وعدم وجودها في مكتباتنا، مما حملنا ركوب الصعاب للحصول عليها من الدول المجاورة، منها جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية.

اقتضت الدراسة تقسيم خطة البحث إلى أربعة فصول فضلاً عن المقدمة والخاتمة اشتملت المقدمة الحديث عن أهمية الدراسة والأسباب الذاتية لاختيار الموضوع، وعرفنا بفصول الدراسة، وما واجهتنا منها من الصعوبات، فضلاً عن الدراسة النقدية لبعض المصادر والمراجع، كما عرفنا فيها بطبيعة الموضوع بجدته وتداخله وتعدد مشاربه.

وتناول الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان جذور التغلغل البرمكي في الدولة العربية الإسلامية، واشتمل على مبحثين، تناول المبحث الأول، البرامكة أصلهم ونسبهم، أما المبحث الثاني، فقد تناول علاقة البرامكة بالدولة العربية الإسلامية، حيث تطرقنا فيه عن البدايات المبكرة لاتصالهم بالعرب المسلمين منذُ الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة في آسيا، وإن كانت تلك المعلومات قليلة؛ إذ لم تسعفنا المصادر لكفاية المعلومات.

وخصص الفصل الثاني لبحث دور البرامكة في عصر الخليفة هارون الرشيد (170-187هـ/786.808م)، حيث قُسَم إلي ثلاثة مباحث، تعرض المبحث الأول إلى

دور يحيى البرمكي كوزير تفويض في خلافة هارون الرشيد، وتعرض للسلطات التي كان يمتلكها، وجاء المبحث الثاني بعنوان دور الفضل بن يحيى في توجيه سياسة الدولة، وخاصة عندما طلب منه الخليفة الرشيد إخماد ثورة يحيى بن عبد الله العلوي، وقد وقفنا فيه على بعض أعماله الإدارية ، عندما قلده الخليفة الرشيد الشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك سنة (176هـ/782م)، أما المبحث الثالث، فكان الحديث فيه عن جعفر بن يحيى البرمكي ومكانته عند الخليفة هارون الرشيد، وعن المهام التي أسندها الخليفة إليه كإبقاء عبد الله المأمون ابن الخليفة الرشيد في حجر جعفر، وتعرضنا كذلك لبعض الأعمال الإدارية التي قام بها أثناء خلافة الرشيد، كما أوضحنا في هذا المبحث دور كل من محمد وموسى أبناء يحيى البرمكي في تلك الفترة، وإن كان دورهم أقل أهمية عما كان لأبيهم وأخوتهم في هذا الشأن.

أما الفصل الثالث الذي اشتمل على خمسة مباحث، خُصصت لبحث ودراسة عوامل وأسباب تدهور مكانة البرامكة في خلافة هارون الرشيد، إذ تمحور البحث في الأسباب السياسية والاقتصادية والدينية والشعوبية، فضلاً عن العوامل التي لعبت بمجموعها دوراً كبيراً في تدهور واضمحلال مكانة هذه الأسرة الفارسية، والتي لم يكن الخليفة الرشيد غافلاً عنها.

أما الفصل الرابع، فجاء تحت عنوان القضاء على البرامكة ونهايتهم، سنة (187هـ / 208م)، وقد تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، اهتم المبحث الأول بتجريد البرامكة من سلطتهم تدريجياً، أما المبحث الثاني فتركز البحث فيه عن أحداث نهاية البرامكة، وجهود الخليفة الرشيد في ذلك، وأساليبه في تلك الأحداث، أما المبحث الثالث والأخير فركز على الآثار السياسية والاقتصادية والثقافية التي أفرزتها نهاية البرامكة.

وفي الختام نرجو من الله أن تؤدي هذه الدراسة التي حددتها منذ البدء وهي إبراز الدور الذي لعبه البرامكة في خلافة هارون الرشيد دراسة علمية، والالتزام بالمنهج العلمي الدقيق، للوصول إلى الحقيقة لتكون جهداً متواضعاً فضلاً عن الجهود المبذولة لفتح الآفاق أمام الباحثين في المستقبل، سائلين المولىَ جلّ في علاه إن يسهم هذا العمل ثمرته المرجوة في إثراء المكتبة العربية بالدراسات العلمية.

وأخيراً لابد لي أن أنوه هنا إلى أن ما في هذه الدراسة من صواب أو خطأ ومن

صحيح أو غير صحيح هو مني وحدي وأنا المسئولة عنه لا يؤخذ به غيري، إنما يمثل اجتهادي ورأي ونيتي فيه خالصة للعلم، ومن الله التوفيق.

الباحثـــــــــة

الدراسات النقدية:

تقتصر هذه الدراسة على أهم المصادر التي تناولت هذا الموضوع.

1- **اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت284هـ/897م)، كتاب تاريخ اليعقوبي**[1]، وهو من كتب التاريخ الإسلامي، بدأه منذ عهد الخليقة حتى سنة (259هـ/872م)[2] ، نهج فيه عدم ذكر الأسانيد، ولعل ذلك يعود إلى ذكر مصادره الأساسية في مقدمة الكتاب[3] ، وإن كان في بعض الأحيان يذكر مصادر رواياته، فيقول على سبيل المثال: "فحدثنا أبو جميل"، "وخبرني رجلٌ"[4] ، واتبع في عرض مادته تسلسل عهود الخلفاء واحداً بعد الآخر، مشيراً إلى توالي السنين في عهد كل خليفة، فجمع بين أسلوبي العهد والحوليات[5] ، وقد أفاد الدراسة في الفصل الأول والثاني والثالث، حيث أفاض في التعريف بديانة الفرس، وتمجسهم، مبرزاً ديانة البرامكة الأوائل واعتناقهم ديانة الصابئة، وانتقل فيما بعد إلى الديانة الزرادشتية (عبدة النار)، وعلاقتهم بالخليفة الرشيد وموقفهم من العلويين ، وما آل إليه أمرهم[6].

2- **الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت310 هـ/922م)، كتابه تاريخ الرسل والملوك**[7]، الذي يعد من أوثق من كتب في التاريخ، لأنه كمحدث دقيق، حاول انتقاء ما كتبه جهد طاقته، وأورد أسانيدها بالنصوص عن الرواة الأولين[8] ، أثنى عليه ابن خلكان بقوله: "كان ثقة في نقله وتاريخه أصح التواريخ "[9] ، وقال عنه ابن الأثير: "هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجع عند الاختلاف عليه"[10] ، وقد اعتمد الطبري في ترتيب الحوادث التاريخية فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي، ترتيباً حولياً، عاماً

---

[1] دار صادر، بيروت، 1960م.

[2] مج1، ص5، ج2، ص511.

[3] الوافي، محمد عبد الكريم، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1990م، ص256.

[4] مج1، ص408.

[5] مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط, د.ت, ج1، ص252.

[6] مج1، ص158 – 159 ، مج2، ص408، 421، 424.

[7] تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1971م.

[8] مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص256.

[9] أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1976م، ج3، ص320.

[10] ابن الأثير، أبو الحسن بن أبي مكرم محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1978م، ج1، ص ص105-106.

بعد عام منذ الهجرة النبوية حتى عام (302هـ/914م)[1] ؛ وعلى الرغم من إن الطبري لم يقدم لنا أي معلومات واقعية عن البرامكة وسيرتهم بشكل مفصل قبل الخلافة العباسية وفي عهد الخليفة الرشيد بالذات ، . ولعل ذلك يعود لعدم ظهور هذه الأسرة على المسرح السياسي في تلك الفترة، أو لندرة الروايات التي حصل عليها بهذا الشأن . ومع ذلك فقد أفاد الدراسة في أغلب فصولها، منها رواياته عن البرامكة قبل مجيء العباسين[2] ، وأوضح الطبري . تفصيلاً . أسباب نهاية البرامكة، بثقة قوية : " والصحيح عندنا "، بعد أن يروي الروايات الخاصة بذلك[3] .

3- **الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ/942م)، كتاب الوزراء والكُتاب**[4] ، من المصادر الإسلامية المهمة لدراسة التاريخ الإسلامي من طبقة ابن جرير الطبري (ت310هـ/922م) والمسعودي (ت346هـ/957م) ؛ ولتميزه بثقته، ولذا أكثر المؤرخون النقل عن كتابه[5] ، فصل الجهشياري فيه تاريخ كتابة الإنشاء مبتدئاً بأول من وضع الكتب، والكتابة العربية الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ مسترسلاً في ذلك أيام الخلفاء واحد بعد الآخر ، حتى خلافة المأمون العباسي ، مفصلاً فيه أحوال الوزراء والكتّاب[6] ، وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة في معظم فصولها من خلال تفصيله لمنصب الوزارة العباسية، التي شغلها البرامكة في عهد الخليفة الرشيد، وابنه المأمون، وقد انفرد الجهشياري بذكر بعض الروايات الخاصة بأسرة البرامكة، لم تذكرها المصادر الأخرى كعلاقة الخليفة أبو العباس السفاح مع خالد البرمكي، وكان يتقلد دواوينه، وموقفه من أبي مسلم الخراساني[7] .

4- **الطوسي، أبو على الحسن بن على بن إسحاق الـــوزير (ت485 هـ/1092م)**

---

(1) ج10، ص7.

(2) ج6، ص ص 425، 426، ج7، ص ص41، 109، ج8، ص562.

(3) ج8، ص287.

(4) تحقيق مصطفي السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1938م.

(5) ص9.

(6) ص320.

(7) ص94.

كتابه سياسة نامة الذي يعرف بـ"سير الملوك"[1] ، جعله على تسعة وثلاثين فصلاً، ثم أضاف إليه، مما جعله خمسين فصلاً[2] ، كان لرواياته أهمية في الدراسة، حيث انفرد بذكر العديد من الروايات منها ما يتعلق بالبرامكة، وأصلهم ، ونسبتهم إلى وزراء وملوك الفرس[3] ، ومن ثم علاقتهم بالخلفاء المسلمين، منها علاقة جعفر البرمكي بالخليفة الأموي، سليمان بن عبد الملك بن مروان، وما جرى له مع [4] هذا الخليفة ، ولا ريب أن الطوسي ينفرد بمثل هذه الروايات الغريبة التي لا صحة لها، ولعل السبب يعود . في رأينا . في انه من كتَّاب الفرس المحليين.

5- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت626 هـ/228م)، كتاب معجم البلدان**[5] ، بالرغم من أنه من كتب البلدان، الإ أنه يعد موسوعة جغرافية وتاريخية متكاملة، حوت الكثير من المعلومات التاريخية في شتى المجالات السياسية والدينية والإدارية والثقافية والفكرية من خلال حديثه عن البلدان وأهلها[6] ، كما له أهميته في تفصيل أصل الديانة التي أعتنقها البرامكة من خلال شرحه لمعبد النوبهار في مدينة بلخ الذي بناه البرامكة أنفسهم، وعبادتهم للأوثان والأصنام ومن ثم النار، وما كان لهم من مكانة باعتبارهم سدنة بيوت النيران، ومن ثم إسلام جدهم في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ[7] .

6- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1406م)، كتاب تاريخ ابن خلدون المعروف باسم العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**[8] ، والذي يتكون من المقدمة وستة مجلدات في التاريخ[9] ، وعلى الرغم من تأخر وفاة هذا المؤرخ، فإن لمؤلفه هذا دور كبير في

---

[1] ترجمة يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت، د.ط، د.ت.

[2] مصطفى، التاريخ العرب والمؤرخون، ص198.

[3] ص198.

[4] ص197-199.

[5] دار صادر، بيروت، د.ط، 1957م.

[6] الوافي، المرجع السابق، ص296.

[7] ج5، ص ص307، 308.

[8] دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1967م.

[9] الوافي، المرجع السابق، ص275.

الدراسة، وذلك لمنهجيته التي اتبعها في نقل الأخبار وتفنيدها، مشيراً إلى شرط مطابقته للشرع[1] ، وقد أفاد كتابه هذا البحث والدراسة بشكل مركز ودقيق في مسائل الوزراء، ومن ثم أسباب نهاية البرامكة التي لخصها في أربعة نقاط رئيسة [2] .

7- **الأتليدي، محمد بن دياب (ت1100هـ/ 1694م) كتاب نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس**[3] ، بدأ مؤلفه في ذكر بعض أخبار الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ حتى نهاية خلافة المعتضد بالله العباسي (289هـ/ 902م) مضيفاً بعض النوادر والعجائب المنقولة[4] ، ويبدو أن الكتاب بما يحتويه بين دفتيه، قد يخالف عنوانه إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس؛ وذلك لأن ما كتبه هذا المؤلف عن خلافة هارون الرشيد وعلاقته بالبرامكة لا تزيد عن ست وعشرين صفحة[5]، ولعل السبب يعود في ذلك لعظم ما فعله الخليفة الرشيد، حيث تخلص من البرامكة، وما نسج حوله من حكايات، ذهب بها المؤرخون مذاهب متعددة[6]، وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة بانفراده في ذكر الروايات التاريخية التي تخص علاقة الخليفة الرشيد بالبرامكة[7] ، وهذه الروايات، وإن كانت متأخرة في تاريخها، إلا أنها ذات فائدة كبيرة للبحث.

---

[1] حلاق، حسان، منهاج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات النظرية والتطبيق، دار النهضة، بيروت، ط2، 1991م، ص383.

[2] مج1، ص ص22، 423.

[3] تحقيق أيمن عبد الجبار البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1998م.

[4] ص ص18، 354، 360.

[5] ص ص243، 269.

[6] ص7.

[7] ص ص244، 245، 246، 260.

الفصل الأول

جذور التغلغل البرمكي في الدولة العربية الإسلامية

المبحث الأول – البرامكة أصلهم ونسبهم.

المبحث الثاني – علاقة البرامكة بالدولة العربية الإسلامية.

المبحث الأول / البرامكة أصلهم ونسبهم:

يتفق أغلب المؤرخين[1]على أن البرامكة أسرة فارسية قديمة معروفة في مدينة بلخ[2]، وهي بقتريا[3] ، قبل عصر ملوك الطوائف[4] ، الذين ملكهم أردشير بن بابكان لمدة تتراوح ما يقارب خمس عشرة سنة[5] ، وحكموا إيران قبل الساسان[6] .

وكلمة البرامكة مشتقة من لفظ برمك[7] ، وهو ليس باسم شخص، وإنما هو لقب يطلق على الموبذ؛ أي حافظ الدين[8] ، ويقال له أعلم العلماء وأقدم الحكماء[9] ، وهو منصب ديني[10] ، ورتبة وراثية خاصة برئيس الكهان[11] ، في معبد النوبهار[12] ويتمتع صاحب هذا المنصب بسلطات دينية واسعة[13] ، فهو (برمك) الذي يعمر بيت النور وبيت النار الذي تعبده الفرس[14] .

---

(1) المقدسي، المطهرين طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة العربية، د.ط، د.ت، ج4، ص104، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص183، ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص24، رفاعي، أحمد فريد، عصر المأمون، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1923م، ج1، ص134، خورشيد، إبراهيم زكي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، د.ط، د.ت، مج6، ص547، العبادى، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1993م، ص18، بروى، إدوار، تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى، نقله إلي العربية يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر، دار عويدات للنشر، بيروت، د.ط، د.ت، مج3، ص127 .
D.ETJ.SOURDEL, LAC CIVILISTION DE LISLAM CLASSTQUE, CANADA, 2001, P.64.

(2) بلخ، مدينة كبيرة ومشهورة من أمهات بلاد خراسان بناها منو شهر عند نهر جيجون، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص331.

(3) اربرى، تراث فارس، ترجمة يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1959م، ص101، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص550.

(4) عصر ملوك الطوائف، هم ملوك الطبقة الثالثة من الفرس يسمون الأشكانية، ابن خلدون، المصدر السابق، مج2، ص335.

(5) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، أعتني بتصحيحه أيلزه ليختن شتيار، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت، ص361.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، مج2، ص335.

(7) برمك، لفظة سنسكريتية، ماجد، عبد المنعم، العصر الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1984م، ص190.

(8) المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط6، 1984م، مج1، ص268، علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1993 م، ج6، ص695. ويقال إن الموبذ هو القاضي عند الفرس، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، 1955م، مج3، ص54، الأنباري، عبد الرازق علي، القضاء في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1987م، ص99.

(9) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، دار صعب، بيروت، د.ط، 1986م، ج1، ص220.

(10) خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص547.

(11) رفاعي، المرجع السابق، ج1، ص136.

(12) النوبهار، يتكون من كلمتين سنسكريتين هما نفا وفهار وتعني المعبد الجديد، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص547.

(13) علي، جواد، المرجع السابق، ج6، ص695.

(14) الأتليدي، المصدر السابق، ص237.

وقد ذكر المؤرخون أن النوبهار بيت النار، بناه منوشهر بمدينة بلخ في خراسان على اسم القمر، مكتوب على بابه بالفارسية : "قال أبو داسف أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال، عقل، وصبر، ومال، وإذا تحته بالعربية كذب بوداسف، الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الثلاث الخصال أن لا يلزم باب السلطان"[1] ونقل ذلك بإيجاز من الجغرافين الحميري[2] ، وذكره القزويني بعده[3] ، في حين يرى فريق آخر أن أجداد البرامكة كانوا بوذيين[4] ، ولم يكونوا مجوساً[5] أي فرساً يعزز ذلك ما أورده بعض المؤرخين :بأن النوبهار كان معبداً للأوثان[6] والأصنام[7] ، وليس بيتاً من بيوت النار[8] ، وحينما زار الحاج الصيني هوانج شانج معبد النوبهار هذا في القرن السابع الميلادي، ووصفه في كتابه (ذكريات على البقاع الشرقية) نفى أن تكون لفظة (نوبهار) فارسية، إنما هي لفظة سنسكريتية، ومعناها المعبد الجديد إشارة إلى معبد بوذي[9] ويرى صاحب كتاب معجم البلدان أن النوبهار بيت الأصنام والأوثان كما هو بيت النار أيضاً[10] ومن خلال متابعة بعض الروايات الواردة بين أيدينا واستقرائها تبين أن عبادة الأوثان(العبادة البوذية) أقدم من عبادة النار ومما يذكر أيضاً

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص229، الحميري، محمد بن عبد المنعم، روض المعطار في أخبار الاقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر لثقافة، بيروت، ط2، د.ت، ج1، ص 548 .

[2] المصدر نفسه، ج1، ص ص584-585.

[3] المصدر السابق، ج1، ص331.

[4] بوذين، الديانة البوذية هي احد الديانات الهندية، تنسب إلى بوذا الذي عاش في القرن الخامس ق. م والذي أمر بعبادة الخالق وعبادته معه، وهي أقدم من عبادة النار، الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص103، مجموعة من العلماء، المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، تعريب سهيل زكار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1997م، ج1، ص201.

[5] جوانتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ط، 1980م، ص80.
JONATHAN BLOOM and SHEILA BIAIN, ISLAM ACHOUSANO YEARS OF FAICH ANO POWER, LONDON, 2002, P.82.

[6] الأوثان، مفردها وثن وهو الصنم الصغير والفرق بينه وبين الصنم إن الوثن كل ما لهو جثة معمول من جواهر الأرض والخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب وتعبد والصنم صورة بلا جثة وهو كل تمثال من خشب أو حجارة أو فضة أو نحاس أو نحوها تنصب وتعبد، أبن منظور، المصدر السابق، مج13، ص ص342 -343.

[7] الأصنام، مفردها صنم وهو الوثن الذي ينحت من الخشب والفضة أو من النحاس ويكون له جسم وصورة، ابن منظور، المصدر السابق، مج12، ص349.

[8] ابن الفقيه الهذاني، أحمد بن إبراهيم، مختصر كتاب البلدان، مكتبة المثني، بغداد، د.ط، د.ت، ص332، القزويني، المصدر السابق، ص331، مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العالم للملايين، بيروت، ط4، 1993، ج1، ص167.

[9] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص547، فرج، هولو جودت، البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990م، ص15.

[10] ياقوت الحموي، ج5، ص15.

أن هذه الديانة كانت ديانة عالمية ظهرت في الهند في القرنين السادس والسابع ق. م[1] .

وتضطرب الروايات التي بين أيدينا في الزمان الذي ظهرت فيه عبادة النار، فيرى المؤرخون أن الملك چم[2] أول من عظم النار، ودعا الناس إلى تعظيمها؛ لأنها تشبه ضوء الشمس والكواكب، واعتقاده إن النور أفضل من الظلمة، ومن ثمُ عبدت النار بالعراق، وأرض فارس، وكرمان[3] ، وسجستان[4] وخراسان، وطبرستان[5] ، والجبال[6] ، وأذربيجان[7] ، وأران[8] ، وفي بلاد الهند والسند[9] .

ثم جاء بعده الملك أفريدون بن جمشيد، وهو أحد ملوك الفرس من الطبقة الأولى[10] ، فرأى ناراً يعظمها أهلها ويعتكفون على عبادتها، فسأل عن خبرها، ووجه الحكمة من عبادتها، فأجابوه بأنها واسطة بين الله وخلقه، فاجتذبت نفسه إلى عبادتها، لذا أنشأ بيتاً للنار، وهو أول من أنشأها، وحمل جزءاً منها إلى خراسان، واتخذ لها بيت بمدينة طوس[11] وآخر في بلاد الشيز[12] والران، وكان فيه أصنام[13].

ويرى اليعقوبي أن الملك أردشير بابكان أول ملوك المملكة الأشكانية، وهو أول

---

(1) روزنثال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981م، ص91.

(2) چم، وهو عندهم سليمان النبي ﷺ، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط6، 1992م، ص652.

(3) كرمان، وهي إقليم بين فارس وسجستان وقصبتها السيرجان، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، د.ط، 1840م، ص334.

(4) سجستان: هي ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي أسم لناحية واسم مدينتها زرنج، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص334.

(5) طبرستان، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، ودهستان وجرجان وأستراباذ وآمل قصبتها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص12.

(6) الجبال، موقع في خراسان، وكورة من كور الشاش متصلة بطوس، البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، مج1، ص11.

(7) أذربيجان، في الإقليم الخامس أشهر مدنها تبريز، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص128.

(8) الران، مدينة بين فراغة وزنجان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص18.

(9) المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص225، الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص236، النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، د.ط، د.ت، ج1، ص105.

(10) ابن خلدون، المصدر السابق، مج2، ص314.

(11) طوس، مدينة بخراسان قصبتها طبران، ويقال إن اسمها طبران، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص451.

(12) شيز، مدينة ناحية أذربيجان فتحها المغيرة بن شعبة صلحاً، ويقال منها ظهر زرادشت نبي المجوس؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص383 .

(13) المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص242، الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص954؛ النويري، المصدر السابق، ج1، ص106.

من تمجَّس من ملوك الفرس ، وبنيِ باردشير[1] بيتاً للنار[2] .

وتشير الروايات إلي أن نبي المجوس زرادشت ظهر نحو (1400 ق.م)، وإن كان تاريخ الديانة الزرادشية مجهولاً وغير معروف قبل القرن السادس قبل الميلاد[3] ، حيث شرع هذا النبي في تأمل حياة الناس، بغية الوصول إلى ديانة جديدة تلائم حياتهم وتسد حاجاتهم[4] ، ومن ثم أصبحت الزرادشية ديانة رسمية للدولة الفارسية لثلاث ممالك متعاقبة وهي الأخمينة من (459–331 ق.م)، والإمبراطورية الفرثية في القرن الثاني الميلادي حتى عام(224م) ثم الإمبراطورية الساسانية (224–642م) وكان آخر زرادشتي هو يزدجرد الذي توفي عام 652م[5].

وترى بعض الروايات أن زعيم المجوس زرادشت ظهر في عهد الملك يشتاسب وقيل يستاسب أو يستاسف، وهو من ملوك الطبقة الكينية التي حكمت بلاد فارس، والذي كان مركز حكمه في مدينة بلخ[6] ، حيث أتى الملك يشتاسب فقال له: "إني رسول الله إليك واتآه الكتاب الذي في أيدي المجوس"[7] ، وشرح له دينه وأعجب به، فتمجَّس الملك يستاسف، وقسر الناس على الأخذ بهذا الدين والدخول[8] فيه، فأجبوه طوعاً وكرهاً[9] .

ويقال إن زرادشت نبي المجوس هو الذي أمر يستاسف بذلك، وأن يطلب ناراً

---

[1] أردشير، هي كورة من كور بلاد فارس، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص324.

[2] تاريخ اليعقوبي، مج1، ص159.

[3] مجموعة من العلماء، المعجم الموسوعي، ج2، ص485.

[4] هنرى، جيمس، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، نقله إلى العربية أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 1966م، ص ص259 – 260.

[5] مجموعة من العلماء، المعجم الموسوعي، ج2، ص485.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص540، المسعودي، المصدر السابق، مج1، ص 252، ابن البخلي، فارس نامة، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية، القاهرة، د.ط، 2001، ص56.

[7] أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داؤد، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، د.ت، ص25، ابن قتيبة، المعارف، ص652 .

[8] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص540، المسعودي، المصدر السابق، مج1، ص252، الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص236، ابن خلدون، المصدر السابق، مج2، ص324.

[9] أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص25.

كان يعظمها الملك چم، فجيئ بها من مدينة خورازم[1] إلى دارا بجرد[2] بأرض فارس، مما يشير إلى أن بيوت النيران كانت موجودة قبل ظهور النبي زرادشت، ويقال إن عددها كان عشرة بيوت[3] .

وهكذا فإن زرادشت هدى بني وطنه (الفرس) إلى عبادة النار بعد أن كانوا يعبدون الأرض، والشمس، والنجوم، والقمر، وجعل لهم ديناً يتفق كثيراً من عناصره وآلهته مع دين الهندوس في العهد الفيدي[4] .

ويعزز ذلك ما أورده المؤرخون في أن عبادة الفرس للأوثان كانت قبل ملوك الطوائف[5] الذين كانت مدينة بلخ مقراً لملكهم[6] ، وليس لدينا من المعلومات ما يثبت أن البرامكة هم من نسل ملوك الطوائف.

ويقال إن الهرابذة [7] ، وهم المجوس . الفرس . همُ قوَامُة بيت النار الذي للهند ويقال لهم عظماء وعلماء الهند[8] .

ومن المحتمل أن يكون بيت النوبهار الذي بناه منوشهر في مدينة بلخ من أرض خراسان إحدى هذه البيوت[9] ، فصار من يتولى ويوكل سدانته[10] يسمونه برمك، وهو الذي تنسب إليها البرامكة[11] .

ويبدو أن مكانة النيران كانت أعظم شأناً في الدين الزرادشتي؛ لأنها تتدخل في

---

[1] خورازم، هو اسم الإقليم السادس في الشرق وليس اسم مدينة، وهو اسم للناحية بجملتها في موضوعها وأهلها يسمونه كركانج، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص359.

[2] دارا بجرد، من كور فارس، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص331.

[3] المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص243.

[4] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص ص158–159، ديورانت، وال، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ط4، 1973م، مج1، ص425.

[5] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص158، ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص322، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص307 .

[6] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص158.

[7] الهربذ، هو خادم النار، وهو الذي يدير المراسيم الدينية في المعابد، كرستنسن، أرثر، إيران في عهد الساسانين، ترجمة يحيى الخشاب، دار نهضة العربية، بيروت، د.ط، 1982، ص ص106 –107.

[8] علي، جواد، المرجع السابق، ج6، ص695.

[9] القزويني، المصدر السابق، ص331.

[10] السدانة، السادن هو خادم بيت الأصنام والفرق بين الخادم والحاجب هو أن الحاجب يحجب وأذنه لغيره، والسادن يحجب وأذنه لنفسه، ابن منظور، المصدر السابق، مج1، ص298.

[11] المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، ص104، النويري، المصدر السابق، ج1، ص62.

خلق العالمين الصغيرين والكبيرين[1] وقد كان خاناس أول موبذاً (رجل دين) بعد زرادشت، نصبه لهم الملك يستاسف[2] .

ويشير اليعقوبي إلى إن جد الملك أردشير الأول هو أول ملوك الفرس المتمجسة[3] كان قيما على بيت النار الذي يسمي (اناهيتا) في مدينة أصطخر[4] ، وقد حافظت الأسرة الساسانية على صلتها القريبة بهذا البيت[5]، الذي كان قبل ذلك بيتاً لعبادة الأصنام، فأخربتها خماني[6] بنت الملك بهمن بن أسفنديار وجعلته بيت للنار[7].

كما أنهم كانوا يعظمون النار لمعاني منها أنها جوهر شريف ومنها ظنهم أن تعظيمهم لها ينجيهم في المعاد من عذاب النار، حيث يعتبرونه قبلة لهم ووسيلة ومنها أنها لم تحرق إبراهيم الخليل عليه السلام[8] .

وفي رأينا أن هذه الفقرة تحتاج إلى إعادة نظر، إذ ليس لدينا- حسب معلوماتنا- ما يفيد ويثبت مدى علاقة الفرس بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي لم يكن يعبد النار، بل كان وكما قال الله في محكم كتابه: **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[9] .

وقد استمر الفرس في عبادة النار، وبلغ من تعظيهم لها أنهم نقشوها على ظهور نقودهم في عهد دولة ملوك الساسانيين، حيث وجد منها على نقود الملك سابور الأول (240-272م)[10]، والملك سابور الثاني (310-379م)[1] ، والملك بهرام

---

[1] كرستنسن، المرجع السابق، ص ص134-135. المتن والهامش.

[2] المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص243.

[3] تاريخ اليعقوبي، مج1، ص159.

[4] أصطخر، بلدة بفارس من الإقليم الثالث، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها وقيل كان أول من أنشأها أصطخر بن طمهورث، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص211.

[5] كرستنسن، المرجع السابق، ص150.

[6] خماني، هي بنت بهمن بن أسفندار الكبري، وقد نصبها أبيها ملكة، وكان مقامها بمدينة بلخ، ويقال إنها حكمت بعدل لمدة ثلاثين سنة، ابن البلخي، المصدر السابق، ص59.

[7] المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص244، كرستنسن، المرجع السابق، ص150.

[8] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص254.

[9] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 67، سورة النساء، آية 125، سورة الأنعام آية 161، سورة النمل، آية 120.

[10] الجاف، حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الأموية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2008، مج1، ص ص86، 90.

الخامس (240-238م)[2] .

وإذا ما حاولنا التوفيق بين هذه الروايات المضطربة واختلاطها بين ديانة الفرس عبدة النار والبوذيين أصحاب الديانة البوذية عبدة الأوثان، لا يمكننا سوى أن نرجح باحتمال تداخل هاتين الديانتين واعتناقهما من قبل أهالي هذين البلدين الهند وفارس ، وخاصة إذا ما علمنا أنهما كانتا من الديانات المتعاصرة، ولا يزال لحد هذا التاريخ هناك من يعتنق الزرادشية الفارسية التي تحتفظ بالأفكار الثنوية القديمة في بلاد الهند[3] ، حيث يوجد في هذه الأيام أثر الديانة الزرادشية بين البارسين من الهنود الذي يبلغ عددهم حوالي 90.000[4] ، حيث غادر في القرن العاشر الميلادي بعض الزرادشيين، واستقروا في شمال الهند ويعرفون باسم الفرثين، والمراكز الرئيسية للزرادشية في هذه الأيام في الهند في مدينة بومباي[5]، وفيها حوالي 97.000، وتتركز الملامح الأساسية لهذه العبادة حول النار، فضلاً عن وجودهم في أماكن أخرى مثل باكستان وبريطانيا وكندا[6] .

ومهما يكن من أمر فقد عبد الفرس المجوس النار منذ زمن زرادشت الذي يعد هو مؤسس هذه العبادة، فقد بنى لها البيوت، ومن هذه البيوت النوبهار الذي هو من بناء البرامكة.

ويشير البلدانيون المسلمون إلى السبب الرئيسي الذي كان من وراء بناء البرامكة لمعبد النوبهار، وهو مضاهاة الكعبة ومنافستها، فحينما سمعوا بشرفها واحترام العرب إياها، وعلموا أن القرشيين أنفسهم ينافس بعضهم بعض في تولي أعمال هذا البيت، ففكر البرامكة في هذا ورأوا أن يكون لهم في خراسان ما لقريش في بلاد العرب، ولذا بنوا بيتاً يضاهون به بيت الله الحرام ، فكان (النوبهار)[7] وكان من

---

[1] المرجع نفسه، مج1، ص93.

[2] كرستنسن، المرجع السابق، ص152، انظر صورة النقود في ملحق رقم1، ص159.

[3] أمين، أحمد، ضحي الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1975م، ص99، روزنثال، المرجع السابق، ص91.

[4] ديورنت، المرجع السابق، مج1، ص437.

[5] بومباي، مدينة تقع على الساحل الغربي للهند وتطل على المحيط الهندي، مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص198، أنظر الخارطة، ص160، الملحق رقم2.

[6] مجموعة من العلماء، المعجم الموسوعي، ج2، ص485.

[7] ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص223، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص307، القزويني، المصدر السابق،

سنتهم إذا بنوا بناءً حسناً، أو عقدوا باباً جديداً، أو طاقاً شريفاً، كللوه بالريحان، وتوخوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت، فلما بنوا ذلك البيت، جعلوا عليه ما يظهر من الريحان[1] .

ويشير أحد المستشرقين إلى اهتمام البرامكة ومبالغتهم في تزين هذا المعبد بالجواهر النفيسة وستائر الديباج والحرير[2] ، فكانت العجم تعظم ذلك البيت، وتحج إليه وتكسيه الحرير، وتنصب الأعلام على قبته التي كانوا يطلقون عليها اسم (الأشبت)[3] .

ونال من يلي سدانة هذا البيت النوبهار مكانة كبيرة، حيث كان الملوك يعظمون السادن كما يعظمون البيت، وينقادون إلى أمره، ويرجعون إلى حكمه، وتحمل إليه الأموال، وكانت عليه وقوف، وصار كل من ولي خدمة وسدانة هذا البيت يدعى (برمك) وهي سمة لكل من يلي سدانته؛ ومن أجل ذلك أطلقت عليهم أسم البرامكة[4] .

ويعتبر بعض المتأخرين أن برمك الأكبر هو أبن يشتاسف بن جاماس[5] الذي أمره زرادشت أن يعبد النار[6] ، وأن خالد بن برمك هو البرمك الأصغر[7] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن برمك وصل إلى مرتبة كبيرة من التقدير حيث بالغ الناس في إرضائه زلفى له وتقربًا إليه ، فلم يكتفوا بذلك التعظيم الروحي الذي كان يبدو في تعظيمهم له وتقبيلهم يده، كما لم يكتفوا بالتعظيم المادي الذي كان يظهر مما يحمله إليه الملوك والرعايا من كريم الهدايا، ولكنهم جعلوا للبرمك ما حول النوبهار من الأرضين سبعة فراسخ في مثلها، وسكان هذه المساحة من الأرضي يسعدهم أن يكونوا جميعاً عبيداً لبرمك يأتمرون إذا أمر، وينهون إذا نهى، فهم يبيعونه أنفسهم وأموالهم، والذين لم يكونوا عبيداً لبرمك فأنهم يقفون عليه من أرضهم وقوفاً عظيمة وضياعاً كثيرة

ص331.

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص307.

[2] لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطي منذ الفتح حتى أيام تيمور، ترجمة بشير فرنيس كوريس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2، د.ت، ص463.

[3] ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص333، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص307.

[4] المسعودي، المصدر السابق، مج1، ص228، الحميري، المصدر السابق، ج1، ص484.

[5] الزبيدي، محمد مرتضي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1966م، ج7، ص110.

[6] المسعودي، المصدر السابق، مج2، ص243.

[7] الزبيدي، المصدر السابق، ج7، ص110 .

بالقدر الذي تسمح به أموالهم، ويحملون إليه راضين ما تغله الوقوف وتلك الضياع، ويقدمون هدية له، لعلهم ينعمون برضاه، مما يشير إلى سلطاته الروحية الواسعة على الناس والتي امتدت إلى آفاق بعيدة في أرض الهند والصين فضلاً عن خراسان[1] .

ويرى ابن خلّكان أن بنى برمك، قد شاركوا أباهم في سدانة هذا المعبد (النوبهار)[2] ، ويبدو أن البرامكة قد توارثوا هذه الوظائف الدينية الخاصة في (السدانة) و(الحجابة)[3] كابراً عن كابر ، حيث إنهم كانوا سدنة البيت وحجابه[4] .

إن تولي برمك وبنيه من بعده الإشراف والسدانة وحجابة بيت النوبهار، والذي هو أحد الصوامع البوذية[5] في مدينة بلخ ، جعل بعض المستشرقين ينسبهم إلى أسرة كهونتيه متقدمة[6] .

وإذا صحت هذه الروايات عن نسب البرامكة وشرفهم في سدانة معبد النوبهار، فأن هذه السدانة جعلت لهم شأناً عظيماً، خصوصاً وأنه لم يتح لأحد مثل هذه الأعمال الجليلة في الحياة الدينية إلا إذا كان عريق النسب[7] .

هذا ولم تكتف الروايات في نسبة البرامكة إلى المرتبة الكهونتية بوصفهم سدنة بيت النار أو معبد النار، حيث برمك هو القيِّم والسادن لهذا المعبد، بل نرى من المؤرخين من يرجع نسبهم إلى مراتب فارسية ساسانية رفيعة المستوى في مجال السياسة، وذلك بجعلهم من نسل الملوك والوزراء، فيذكر أحدهم أن نسب البرامكة "كان يمتدد إلى ملوك الفرس"[8] .

وقد أخذ البعض بشكل اعتباطي وظاهري، من دون نقد وتمحيص ذلك، معززاً

---

[1] ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص333، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص308، القزويني، المصدر السابق، ص331.

[2] المصدر السابق، ج5، ص183.

[3] الحجابة، الحاجب، البواب وحجابة الكعبة وهي سدانتها وتولي حفظها وهم الذين بأيديهم مفتاحها، ابن منظور، المصدر السابق، مج1، ص698.

[4] المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، ص104.

[5] الصومعة، أماكن عبادة للرهبان، السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، القاهرة، د.ط، 2001م، ص439.

[6] بروكلمان، كارول، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية منير البلعبكي، دار العالم للملايين، بيروت، ط5، د.ت، ص186، أربري، المرجع السابق، ص101.

[7] العبادي، المرجع السابق، ص82.

[8] خواندمير، غياث الدين، دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1980م، ص161، زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة سيده إسماعيل الكاشف وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص13، انظر الملحق رقم3، في ص161.

نسبتهم إلى أولاد ملوك الفرس المعروفين بملوك الطوائف الذين حكموا إيران قبل الساسانين، وكانت مدينة بلخ مقر عروشهم[1] ، والفرس لا يشكون لحظة في أن البرامكة من نسل ملوك الفرس، المعروفين بملوك الطوائف، وهم الباراثيون الذين حكموا إيران قبل الساسانين[2] ، وقد تغنى الكثير من الشعراء في العصر العباسي بهذه النسبة، مدحاً بآل برمك ونسبتهم إلى الملوك، منهم الشاعر ابن المناذر محمد ابن مناذر الذي هو مولى ابن مولى ابن مولى، والذي ادعى أنه صليبة العرب، فيقول عنهم:

أَتَانَا بَنُو الأَمْلاكِ منِ آلِ بَرمْكَ فَيَا طِيبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ منْظَرِ [3]

وليس بإمكاننا الاعتماد على شعر ابن المناذر عن أصل البرامكة وصحة نسبتهم إلى الملوك،إذا كان هو نفسه (مولى ابن مولى) من أصل فارسي منقطع للبرامكة، حيث كان شاعرهم ومادحهم، لأنهم كانوا على حد قوله "قوماً قد أضلني فضلهم وأغناني رفدِهم، فأثنيت بما أولوا"[4] .

ويرى فريق آخر من المؤرخين بأن البرامكة ليسوا من نسل الملوك، بل من نسل الوزراء، وأنهم ورثوا الوزارة عن آبائهم وأجدادهم كابر عن كابر إلى أيام إردشير بن بابكان، فيذكر بعضهم أن "الوزارة وراثية فيهم، وهم الذين صنفوا كتباً في السيّر ونظام الوزارة، وكانوا حين يفرغ أبناؤهم من تعلم الخط والأدب والكتابة، يضعون تلك الكتب بين أيديهم ليقرأوها ويسيروا على هديها"[5] ، وقد أخذ عنهم بعض المؤرخين المحدثين ذلك من دون تمحيص وتفنيد، ونعتوهم بصفة الوزارة، وأنهم كانوا يتوارثونها منذ عهد أردشير[6] .

وقد تعرضت هذه الروايات للنقد والتفنيد، فقد تصدى لها بعض من المؤرخين

---

[1] محمود، حسن أحمد، أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1973م، ص96، إبراهيم، محمد صلاح الدين، الاغتيالات السياسية في الدولة العباسية (122- 334هـ / 749 – 945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، 2005م، ص76 .

[2] ماجد، المرجع السابق، ص190.

[3] أبو الفرج الأصبهاني، على بن الحسين محمد أحمد، الأغاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1956م، ج7، ص ص17، 48.

[4] المصدر نفسه، ج17، ص ص48-49.

[5] الطوسي، المصدر السابق، ص198.

[6] المصري، حسين مجيب، الصلات بين العرب والفرس والترك دراسة تاريخية أدبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص71.

المحدثين وبينوا أنها مجرد مزاعم في محاولة منهم لربط نسبهم بأسر الملوك القدامى لأسباب لا تخفى، فضلاً عن ذلك كان أجداد البرامكة وكما أوردنا سابقاً بوذيين ولم يكونوا مجوساً زرادشتين، وتبعاً لذلك فلم تكن لهم أي صلة بالإدارة الساسانية التي كانت متعصبة للمجوسية، كما لم تكن لهم أي صلة بالوزارة الفارسية.

ويبدو أن انتسابهم إلى الملوك أو الوزراء هو مجرد أدعاء ومزاعم ذكرت في مؤلفات وأشعار نظمت في عهد الخليفة هارون الرشيد (170–193هـ / 786–808م)، أو بعد هذا التاريخ، حيث تألق هؤلاء المناصب المهمة ومنها الوزارة، وكان لهم ما كان من السلطان والقوة والعظمة والأبهة، ومن ثم شاعت هذه المزاعم في المؤلفات المتأخرة، مثل مؤلف نظام الملك الطوسي (ت 485هـ/1092م)[1] ، ومن بعده خواندمير غياث الذي توفي عام (942هـ/1536م) وهما من مؤرخي الفرس ولا ريب أن هذه المؤلفات كان لها أثرها في المؤلفات المحلية، كمؤلف فضائل بلخ، كما كان لها أثرها في كتابات المؤرخين المحدثين أيضاً، ولذا لا يستبعد أن يكون لابن المقفع الفارسي[2] الأصل يدً في وضعها؛ إذ لم يكن لخالد بن برمك في عهد الخليفة أبي العباس السفاح (132–136هـ / 750-753م) من النفوذ والسلطة ما كان ليحيى في عهد الخليفة الرشيد (170–193هـ / 786–808)، إلا أن مكانته وكرمه كانا مما جُر المنافع على أهل بيته جميعاً، فضلاً عن أنهما يغريان بوضع الروايات الفارسية التي تعظم من شأن البرامكة[3] .

فضلاً عن ذلك فقد وجد من المؤرخين من يذهب أبعد من ذلك، ويزعم أن للبرامكة صلة بالنسب العربي، معتمداً على ما أورده بعض المؤرخين في حوادث عام (86هـ/705م) في معرض حديثهم عن حملة قتيبة بن مسلم الباهلي على من انتقض

---

[1] الحسن بن على بن إسحاق الطوسي أبو على، الملقب بقوام الدين، نظام الملك، وزير حازم الهمة، أصله من نواحي طوس، تأدب بأدب العرب واشتغل بالأعمال السلطانية، فأتصل بالسلطان ألب أرسلان فستوزة، توفي ألب أرسلان فصار الأمر كله لنظام الملك، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص28.

[2] ابن المقفع، هو عبد الله، من أهل فارس، كان مجوسياً فأسلم على يد عيسي بن على عم الخليفة السفاح والمنصور وكان له اتصال أيضاً بمجموعة من الخلفاء الأمويين، كما كان كاتباً لعيسى بن عبد الله، أقام في البصرة، وقتل لاتهامه بالزندقة والتشدد، المصدر نفسه، ج2، ص ص151–152.

[3] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص547.

على طاعة الخلافة في مدينة بلخ، وحارب المسلمين لقولهم: "وقد قيل إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة عن مدينة بلخ، لأن بعضها كان منتقضاً عليه، وقد ناصب المسلمين، فحارب أهلها وكان ممن سبى امرأة برمك أبي خالد ابن برمك، وكان برمك على النوبهار، فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير، أخ قتيبة بن مسلم فوقع عليها، وكان به شيء من الجذام، ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة، فأمر قتيبة برد السبي، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم: أني علقت منك، وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى إن يلحق به ما في بطنها وردت إلى برمك"[1] .

ويبدو أن هذه الرواية تدعو إلى الشك وتحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق، ويعزز ذلك ما ذكره الطبري بالرواية، حيث يقول: "وقد قيل"[2] أي أنه غير متأكد من هذا القول، هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن الحملة كانت سنة (86هـ- 705م)[3] ، وقد مرت السنوات حتى جاء العباسيون وتحديداً في عهد الخليفة المهدي العباسي (158-169هـ)، وحينما قدم الري، فجاءه ولد عبد الله بن مسلم طالبين منه ومدعيًن أن خالداً لهم مطالبين بإلحاقه بهم، فقال لهم مسلمة بن قتيبة: "لا بد لكم إن استلحقتموه ففعل من أن تزوجوه فتركوه، وأعرضوا عن داعوهم"[4] ، مما يضعف في رأينا قيمة هذه الرواية التي يبدو إنها من وضع أبناء عبد الله بن قتيبة بن مسلم لغرض سياسي؛ وذلك لتقريب البرامكة من البيت العربي، وليكونوا أصحاب الحظوة عند الخلفاء[5] . إن إدعاء النسب العربي ليس غريباً على كل من يدعيه في العصر الإسلامي، وبعد أن قوَّض العرب دولة أكاسرة الفرس، وهددوا أباطرة الروم وأصبحت العروبة والإسلام متلازمين لا يمكن الفصل بينهما، مما جعل الكثير من غير العرب يدٌعون الانتساب إلى الأرومة العربية قبل خالد بن برمك، منهم على سبيل المثال أبو مسلم الخراساني الذي قتله الخليفة أبو جعفر المنصور عام (137هـ / 754م) وكان أحد أسباب قتله إدعائه

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص425، ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص ص105 – 106.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص425.

[3] المصدر نفسه، ج 6، ص425، ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص106، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص130.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص425.

[5] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص548، فرج، المرجع السابق، ص14.

النسب العربي، إذا قال إنه من أولاد سليط من عبد الله بن عباس[1] ، ثم الشاعر والبُه بن الحباب المتوفى عام (170هـ/786م)، وكان من أصل رومي، وقد أدعى العربية، فهجاه الشاعر أبو العتاهية[2] قائلاً عنه:

أَوَالِبَ أَنْتَ فِي العِرَبَ ... كمثُل الشيص في الرطَبِ
هلم إلى الموالي الصيدَ ... في سَعَة وفي رقَبِ
أتانا من بلاد الرومِ ... مُعتجرِ على قتَبِ[3]

ثم قال عنه :

نطقت بنو أسَد ولم تَجْهَر ... وتّكلَمت خفياً ولم تظُهر
وأبن الحباب صليبه زعموا ... ومن المحال صليبة أشقر
ما بال من أباؤه عرب الألوان ... يُحسب من بني قيصر
أترون أهل البدو قد مسخوا شقرا ... أما أن هذا من المنكر[4]

ولذا لا نستبعد أن يدعُى خالد بن برمك أو غيره الانتساب إلى الأرومة العربية.

ومن الجدير بالإشارة هنا أن بعض المؤرخين، يقول إن الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانيون وملوكهم، والتي يدعُي البرامكة أنهم من نسل ملوكهم، ووزرائهم، هم من نسل بني إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام الذي تزوج امرأة من الفرس الأول، فولدت له بنو شهر[5] ، ولا نعرف مدى صحة هذه الرواية التي تناقلتها أغلب مصادرنا الإسلامية، ذلك ينتقض مع ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي لم يكن يهودياً ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفاً مسلماً، الذي قال عنه ﷻ: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ**

---

[1] الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1980م، ص212.

[2] أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، الشاعر العباسي توفي في خلافة المأمون سنة 210هـ، ديوان أبو العتاهية، دار صادر، بيروت، د.ط، 1964م، ص5، 10، فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1980م، ج2، ص ص190-191.

[3] أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ص66، 218، الخطيب البغدادي، حافظ أبي بكر أحمد بن على، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ج13، د.ط، د.ت، ص489، فروخ، المرجع السابق، ج2، ص ص190-191.

[4] أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ص66، 218، أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق، ج6، ص ص303 – 304.

[5] شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايزبك، د.ط، 1993م، ص257.

يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفــاً مُّسْــلِماً ...﴾[1] ، وهذا ينقض ما كان عليه الفرس من ديانة سوء أكانوا بوذيين أم عبدة نار، فضلاً عن أن شيخ الربوة يختم كلامه بعبارة: "والله أعلم"[2] ، مما يشير إلى تضعيفه لهذه الرواية، وعدم جزمه بصحتها.

وعلى هذا الأساس المتناقض في الروايات التي تشير إلي اختلافها وتناقضها في اختلاف نسب البرامكة مما لا يعنينا إلى الجزم وتحديد نسبهم الصحيح، ومهما يكن من أمر فإن الذي لا يمكن الاختلاف فيه أن البرامكة ينسبون إلى جدهم برمك، الذي كان يعمل على خدمة النوبهار[3] ، والذي كان على دين المجوسية هو وأجداده وأصلهم من الجبل من نواحي خراسان وقد تمتع بمميزات فكان كاتباً أديباً، متبحراً في أخبار ملوك الفرس وعلمائهم، وبفضل الإسلام نظر في الكثير من العلوم الإسلامية وحصل عليها[4] ، وبرز في علوم الفلك، والفلسفة والطب، وهو الذي عالج الأمير مسلمة من داء المَ به[5] .

المبحث الثاني / علاقة البرامكة بالدولة العربية الإسلامية:

لم يرد في المصادر العربية الإسلامية التي بين أيدينا أي معلومات عن علاقة البرامكة على ـ حد علمنا ـ قبل خلافة الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ (23- 35هـ/643-655م)[6] ، وخلال الفتوحات الإسلامية حينما فتحت خراسان في عهد هذا الخليفة ﷺ، أرسل حملة إلي مدينة بلخ، وفُتحت صلحاً على يد القائد الأحنف بن قيس التميمي[7] ، وقيل على يد القائد عبد الله بن عامر بن كريز[1] سنة

---

[1] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 57, 95.

[2] المصدر السابق، ص257.

[3] ذو النسبين، أبو الخطاب عمر، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، وزارة المعارف العراقية، بغداد، د.ط، 1996م، ص38، المقدسي، البدء والتاريخ، ج4, ص104، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص183.

[4] ذو النسبين، المصدر السابق، ص38.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص426، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص548.

[6] أوليري، دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972م، ص251.

[7] الأحنف بن قيس التميمي السعدي، كان من سادات التابعين، يضرب بحلمه المثل، أدرك عهد النبي ﷺ وأسلم قومه بإشارته ولم

(30هـ/650م) ، وقيل سنة (31هـ/651م)، ومهما يكن من أمر، فإن مدينة بلخ فُتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ[2] ، وترى مصادرنا العربية الإسلامية أن سدانة بيت النار (النوبهار) في خراسان في هذا الوقت كانت إلى برمك جد البرامكة، فأخذ برمك هذا مع الأسرى، وسُيّر إلى المدينة إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، ورغب في الإسلام فأسلم، وسمى نفسه عبد الله ثم عاد إلى أهله بخراسان، وقد ضمن مالاً للخليفة عثمان ﷺ، فقاطعه أهل بيته وعنفّوه على إسلامه، كما كتب إليه بعض الملوك يوبخونه بسبب اعتناقه الإسلام، ودعوه إلى الرجوع عنه، فقال لهم: "إني دخلت في هذا الدين اختياراً وعلماً بفضله من غير رهبة، ولم أكن لأرجع إلى دين بادي العوار متهتك الأستار"[3] ، فغضبوا عليه وجهزوا له جيشاً، فقتلوه وعشرة من بنيه، ولم يبق سوى برمك أبي خالد الذي حملته أمه وهربت به إلى قشمير[4] ، فنشأ هناك وتعلّم العلوم، ثم عاد وتولى أمر معبد النوبهار وُسمّي برمك، وكان من أولاده خالد وسليمان والحسن، وأما أم خالد فهي جارية من أهل بخارى[5] كانت قد أهديت له[6] ، عاش برمك هذا في مدينة قشمير في بلاد الهند حتى أسلم أهل بلاده، ومن ثم أصابهم الطاعون، فتشاءموا من إسلامهم ومفارقة دينهم، فبعثوا إلى أبي خالد هذا، وأجلسوه برمكاً كي يتولى معبد النوبهار (بيت النار) حتى تزوج بنت ملك الصغانيان[7] ، فولدت له الحسن، وخالد (المعني) وبنتاً يقال لها (أم خالد)، وعمر وسليمان وكانت أمه من أهل بخارى[8] .

وحينما بدأت الخلافة الأموية في عهد الخليفة الأول معاوية بن أبي سفيان

يفد على الرسول ﷺ، ووفد على عمر بن الخطاب ﷺ، توفي سنة (72 هـ)، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص ص77 – 78.

[1] عبد الله بن عامر بن كريز، أمير وفاتح، كان والياً على البصرة عندما استشهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ. ابن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى، بيروت، ط4، 1985م، ج5، ص ص30، 35.

[2] أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص ص139 – 140، الطبري، المصدر السابق، ج4، ص313، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص480 .

[3] ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص323.

[4] قشمير، هي مدينة تابعة إلى إقليم قنوج في الهند، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ص360 –361.

[5] بخارى، من مدن ما وراء نهر جيحون، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص439.

[6] ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص324.

[7] الصغانيان، ولاية عظيمة فيما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص408.

[8] ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص324، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص308.

(41–60هـ /661 - 679م) تولى القائد عبد الله بن عامر إقليم خراسان سنة (43هـ / 663م) بعد أن انصرف عنها قيس بن الهيثم[1] ، وصل إلى مدينة بلخ مشدداً على المدينة حتى استسلمت، وبعد فترة وبسبب الاضطرابات التي حصلت فيها تمكن الأحنف بن قيس والذي يقال له(قيس بن الهيثم)[2] من استعادتها مرة أخرى[3] ، إن الأحنف هو لقب لقيس بن الهيثم، لحنف كان في رجله[4] ، توجه بعد استعادة المدينة إلى بيت النار (النوبهار) فخربه[5] ، ويشير البلاذري إلي أن الذي تولى مهمة تخريب بيت النار هو عطاء بن السائب[6] مولى بني ليث[7] ، ومهما يكن من أمر الاختلاف بشأن من قام بتخريب معبد النوبهار، فأنه مما لا شك فيه أنه خُرب في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وقد دخل أهل بلخ الإسلام مما يتبادر إلى الذهن بأن إسلام هذه الأسرة البرمكية التي كانت تعبد النار قد يكون منذ ذلك الوقت[8] .

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65–86هـ/684–705م) أسلم أبو خالد، وَحصَّلَ علوماً كثيرة، وقصد دمشق حاضرة الأمويين في بلاد الشام، فصاحب خواص الخليفة عبد الملك بن مروان على ما يبدو، حتى اتصل به على ما . يقال . الخليفة عبد الملك بذاته فأصبح عالي القدر عنده وبقى كذلك حتى نهاية عهد هذا الخليفة[9] .

ومن استقراء الروايات التي بين أيدينا في المصادر العربية الإسلامية تبين إن

---

[1] قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حماك، كان قائما علي دعوة أبن الزبير في البصرة، الأندلسي، أبي محمد علي بن محمد بن أحمد بن عيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص262.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص308.

[3] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج7، ص551.

[4] ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشفاعي، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1987م، ج7، ص13، ابن منظور، المصدر السابق، مج9، ص ص56–57، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج2، ص412.

[5] القزويني، المصدر السابق، ص332.

[6] عطاء بن السائب بن مالك الثقفي يكنى أبا زيد تابعي مشهور، وكان صاحب قرآن وعربية، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص ص194، 195.

[7] أبو العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، 1987، ص ص575–576، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص308.

[8] ماجد، المرجع السابق، ج1، ص190.

[9] ذو النسبين، المصدر السابق، ص38.

مكانة البرامكة برزت شيئاً فشيئاً في زمن الخلافة الأموية ومنذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م)، حيث حطم المسلمون في عهده ملك الأكاسرة تماماً؛ إذ أرسلت حملة بقيادة البطل قتيبة ابن مسلم الباهلي سنة (86هـ/705م) ضد الخارجين عن طاعة الدولة في مدينة بلخ والقضاء على الاضطرابات[1] فيها، حيث تمكن من استعادة المدينة[2] ، ويقال أن قدوم القائد قتيبة سنة (85هـ/704م)، إلى خراسان عن أصلها لم يتم، فقد عاد إلى مرو، ولم يقطع النهر بسب انتقاض أهل بلخ عليه، حيث عاد إليهم وانتصر عليهم، فصالحوه ورد إليهم السبي[3] ، ولما كان برمك . كما تقول الروايات التاريخية . قد اشتهر بعد إسلامه بمعارفه الطبية، فقد عالج الأمير مسلمة بن عبد الملك من علة كانت قد ألمَّت به، ويبدو أن ذلك كان في خلافة الوليد بن عبد الملك[4] ، وتشير المصادر والمراجع التي بين أيدينا إلي أن جعفر والد خالد والملقب برمك، قد انتقل بعد إسلامه بأسرته وأمواله ومتاعه إلى دمشق حاضرة بني أمية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان[5] ، وحينما تولى الخليفة الأموي الخامس سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/714-717م) الخلافة تميز بأنه كان يتباهى ويتفاخر بملكه الذي يضاهي وينافس ملك النبي سليمان وداود عليهما السلام؛ إذ تشير الرواية التاريخية أن الخليفة سليمان بينما هو كان جالساً مع كبار رجال دولته، وندمائه معه، وهو يقول مفتخراً بدولته وبملكه الذي لم يكن بأقل من ملك النبي سليمان بن داود عليهما السلام أشار إليه أحد رجاله بأنه يعوزه الوزير الذي يوائمه مشيراً إليه بوزيرٍ كفء من نسل الوزراء، ألا وهو جعفر البرمكي (أبو خالد)، فما كان من الخليفة سليمان إلا أن عمل على استدعاء جعفر هذا من مدينة بلخ وعهد إليه بالوزارة، حيث استقُبِل في دمشق من قبل كبار رجال الدولة والجيش عن بكرة أبيهم، وبعد ثلاثة أيام مَثل أمام الخليفة سليمان بن عبد الملك وإذ بالخليفة ينهره ويطرده من مجلسه، ولكنه لم يلبث أن أعاده الخليفة واستدعاه في اليوم الثاني بعد أن عرف قصة

---

[1] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص548.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص425.

[3] النويري، المصدر السابق، ج21، ص284.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص426، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص 548.

[5] ذو النسبين، المصدر السابق، ص38، خواندمير، المصدر السابق، ص161.

خاتمه[1]، مصافحاً إياه، ثم أجلسه إلى جانبه وألبسه خلعة الوزراء، ووضع أمامه الدواة ليوقع بها، أمام الخليفة[2] .

وإذا ما أمعنا النظر في هذه الرواية نجد أنها تحتاج إلى وقفة وإعادة نظر لأسباب كثيرة؛ منها: أنها لم تُنقل إلا من خلال المصادر الفارسية الإيرانية ، فلم نجد لها أي ذكر في أي مصدر من المصادر التاريخية والأدبية الأخرى . على حد علمنا . هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما يجعلنا نستبعد صحة هذه الرواية هو ما عُرِف عن خلفاء الأمويين، وتمسكهم بعروبتهم، واعتمادهم على أنفسهم في تسيير أمور دولتهم، إذ لم تكن الوزارة قد ظهرت في عهدهم بعد على الإطلاق، بل ظهر في عهدهم المشاور والمعين[3] ، وكان هؤلاء يقومون بعمل الوزراء من دون أن يتلقبوا بهذا اللقب[4] ، وحتى وظيفة الوزراء العباسين الأول كانت كوظيفة الكاتب عند الأمويين، حين كان خلفاء بني العباس يضعون في الوزارة من يجيد الكتابة[5] ، إذ لم تتقرر قواعد الوزارة وتثبت قوانينها إلا في خلافة بني العباس[6] ، حتى إن خالد بن برمك على الرغم من علو منزلته عند خلفاء بني العباس وإشرافه على ديوان الجند والخراج، فأنه كان يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيراً[7] ، كما أن أبا أيوب المورياني[8] الذي قلده الخليفة المنصور الدواوين، لم يُطلقُ على نفسه أسم وزيرٍ، بل ظل كاتباً للخليفة،

---

[1] عندما دخل جعفر البرمكي مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك تغير لون الخليفة سليمان وأمر بإخراجه من المجلس، فتعجب جلساؤه مما حدث، وأستفسر أحدهم من الخليفة سليمان عن سبب ذلك فقال له هذا الرجل يحمل سماً ، فدهش الحاضرون لقوله وبعثوا إلي جعفر، وسألوه عن حقيقة ذلك ، فأجابهم بقوله: نعم، يوجد قدر من السم تحت فص الخاتم الذي بيدي، أمتصه عند الشدة، خواندمير، المصدر السابق، ص162.

[2] الطوسي، المصدر السابق، ص ص197–199، خواندمير، المصدر السابق، ص161.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، مج1، ص238.

[4] الكروي، إبراهيم سلمان، نظام الوزارة في العصر العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1989م، ص24.

[5] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص29.

[6] ابن طباطا، محمد بن على المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط ، د.ت، ص151.

[7] المصدر نفسه، ص154.

[8] أبو أيوب المورياني، هو سليمان بن مخلد فارسي الأصل ينسب إلي قرية من قرى الأهواز تسمي موريان، أشتراه الخليفة المنصور قبل خلافته وثقفه, وعندما أرسله إلى الخليفة أبو العباس السفاح ومعه هدية أعجب به الخليفة واحتسبه عنده واختص بالخليفة أبو العباس السفاح مدة خلافته, ثم تقلد منصب الوزارة في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور وقتل عام (154 هـ/ 771م)، المصدر نفسه, ص170 .

وظلت الوزارة في خلافة الخليفة أبو جعفر المنصور اسم على غير المسمى[1] .

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-732م) ، وتحديداً في زمن ولاية أسد بن عبد الله القسري الأولى على خراسان سنة (106-109هـ/724-727م) أراد إعادة بناء مدينة بلخ فأعاد بناءها برمك أبو خالد بمعاونة الدهاقنة[2] من أهل المدينة وبأمر من الأمير أسد بن عبد الله القسري[3] .

ويبدو أن اتصالهم بخلفاء بني أمية لم ينقطع؛ ففي رواية للزبيدي ينقلها عن ابن العديم في تاريخه (زبدة الطلب في تاريخ حلب) وهو يتحدث عن شيخ قديم قال: "كان برمك واقفاً بباب الخليفة هشام بن عبد الملك فمر به محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس والذي من نسله كان خلفاء بني العباس، فأعجبه ما رأى من هيبته، وبعد أن سأل عنه وعرف عن قرابته للنبي ﷺ قال لابنه خالد: يا بني إن هؤلاء أهل بيت النبي وهم ورثته وأحق بخلافته والأمر صائر إليهم0، فإن درت يا بني أن يكون لك في ذلك أثراً تنال به ديناً ودنيا فأفعل, قال فحفظ خالد ذلك عنه وعمل به عند خروجه في الدعوة"[4] .

بعد خلافة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-742م) وحتى نهاية الدولة الأموية سنة (132هـ/749م) لم يرد على . حد علمنا . أي ذكر للبرامكة أو أي علاقة لهم مع خلفاء بني أمية على الصعيد السياسي والعلمي أو غيره؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى بداية ظهور الدعوة العباسية منذ زمن الخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م), حيث أخذ محمد بن علي العباسي يوجه دعاته منذ سنة مئة هجرية[5] ، ولأسباب عديدة بعضها يتعلق بالحكم الأموي منها سياسية واقتصادية وغيرها فقد انضم الموالي من الفرس إلى دعوة بني العباس[6] ، وهذا يعزز وصية برمك لأولاده التي أوردها الزبيدي من قبل فقد انضم البرامكة شأنهم شأن غيرهم

---

[1] المصدر نفسه، ص170.

[2] الدهاقنة، مفردها دهقان فارسي معرب معنها التاجر، ابن منظور، المصدر السابق، مج13، ص163.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص41، ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص198.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص109.

[5] المصدر نفسه، ج4، ص159.

[6] سالم، سيد عبد العزيز، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ج3، ص30 وما بعدها.

من الموالي الفرس إلى هذه الدعوة أملاً في تحقيق طموحاتهم السياسية ومصالحهم الشخصية.

وترى بعض الروايات التاريخية أن علاقة البرامكة بالدعوة العباسية بدأت منذ زمن أسبق من زمن حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك؛ فيرى أحد المؤرخين أن خالد بن برمك كان في أول أمره يختلف إلى محمد بن علي العباسي[1]، ثم على إبراهيم الإمام من بعده[2] ، الذي يعد أول من قام بالدعوة العباسية حتى وفاته سنة (125هـ / 742م)[3] .

في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، كان قد ولي إمارة الهاشميين سراً في أواخر الدولة الأموية، وإذا صحت هذه الرواية، فهذا يعني أن البرامكة ومنهم برمك أبو خالد الذي كان يعمل على جهتين مع الأمويين، واختلافه على باب هذا الخليفة ومن جاء بعده, حيث كانوا معززين مكرمين في ظل بني أمية[4] ، وفي وقت آخر كان يتصل بدعاة العباسين، ويبدو أن ذلك أنه كان سراً، إذ لو علم به الأمويون لقتلوه؛ حيث كان برمك أبو خالد يحرض ولده خالداً بأتباع آل بيت محمد, حينما كان واقفاً على باب الخليفة هشام بن عبد الملك, فمر به محمد بن علي ابن عبد الله ابن عباس وعرف من هو وبأنه هو وولده أحق بالخلافة من غيرهم وأن الأمر صائر إليهم, فنصح ابنه أن يتبعهم إن قدر على ذلك؛ ليكون له مكانة في الدنيا والآخرة [5].

ويبدو أن خالد قد عمل بنصيحة أبيه واختلف إلى محمد بن علي العباسي هذا وإن كنا لا نعلم متى وأين كان ذلك، وبعد وفاة محمد بن علي العباسي سنة (125هـ / 742م) توجه خالد بن برمك إلى ابنه إبراهيم بن محمد الإمام الذي تزعم الدعوة العباسية بعد وفاة إبراهيم حتى وفاته عام (129هـ / 719م)[6] .

إن انشغال خالد بن برمك بالدعوة العباسية منذ عهد محمد بن علي ابن

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص562، ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، أعْتابُ الكُتاب، تحقيق صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1961م، ص65.

[2] ابن عساكر، المصدر السابق، ج5، ص31.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص159.

[4] خواندمير، المصدر السابق، ص159.

[5] الزبيدي، المصدر السابق، ج7، ص109.

[6] ابن الأبار، المصدر السابق، ص65، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت، حوادث ووفيات سنة (161-170 هـ)، ص160.

العباسي وفي عهد ابنه جعل المؤرخون يعتبرون خالد بن برمك من كبار دعاتها وأنصارها وزعمائها[1] ، يعزز ذلك ما أورده المؤرخون الذين اعتبروا خالد بن برمك من كبار رجال العباسين[2] لم يقتصر عمل خالد بن برمك هذا ودوره في نشر الدعوة العباسية في خراسان، ولكن يبدو أنه ولأسباب ذاتية؛ إذ كان حازماً، يقظاً، جليلاً، كريماً[3] ، فقد كان يلي الولايات العظام[4] ، ويجمع في يده وظائف متعددة[5]، وقبل قيام الدولة العباسية سنة (132هـ / 749م) تشير الروايات التاريخية التي بين أيدينا والتي تتحدث عن فتح طوس سنة (130هـ / 747م) تحت إمرة القائد قحطبة بن شبيب الطائي[6] ، إلا أن خالد بن برمك كان في معسكره متقلداً خراج الكور[7] الذي يفتحه قحطبة، كما تقلد الغنائم[8] من قبل القائد قحطبة بن شبيب الذي صيرها له، فكان يقسمها بين أصحابه من الجند منذ عهد آخر خلفاء بني أمية، مروان بن محمد (127-132هـ/745-750م)[9] .

وحينما أكمل القائد قحطبة بن شبيب الطائي فتح جرجان[10] ، بعث خالد ابن برمك إلى أصبهبذا[11] طبرستان، مكلفاً إياه ليدعوه إلى الطاعة، فأجابه إلى ذلك

---

(1) زيادة، محمود محمد، دراسات في التاريخ الإسلامي في العصر العباسي إلى قبيل العصر الحاضر، مطبعة دار التأليف، مصر، د.ط، 1969م، ص12، عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1966م،مج2 ،ص202.

(2) ابن طباطا، المصدر السابق، ص154، أبن خلدون ، المصدر السابق، مج3، ص 472.

(3) ابن طباطا، المصدر السابق، ص154.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص472.

(5) جوانتياين، المرجع السابق، ص86.

(6) قحطبة بن شبيب الطائي المروزي، قائد شجاع صاحب أبي مسلم الخراساني، وهو أحد دعاة بني العباس، قتل في موقعة المسناة، الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص137.

(7) الخراج، هو ما حصل من ريع أرض، أو كرائها، أو أجرها غلام وما نحوها والخراج ما يأخذه السلطان فيقع على الضريبة أو الجزية، ومال الفيء يختص غالباً بضريبة الأرض، وأول من وضع نظام الخراج في الدولة الإسلامية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح العراق والشام ومصر، الحنبلي، حافظ رجب، الاستخراج لأحكام الخراج، تحقيق علي جمعة محمد، محمد أحمد سراج، دار هجر، القاهرة،ط1، 1997م، ص376 .

(8) الغنائم، مفرد غنيمة، لغة معناها الفائدة وشرعاً ما أصابه المسلمون من أعدائهم أهل الحرب عنوة، وأجفوا عليه بالخيل والركاب على وجه أن يكون فيه إعلاء كلمة الله، المصدر نفسه، ص386.

(9) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص343، الجهشياري، المصدر السابق، ص87، البيروني، محمد بن أحمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص101.

(10) جرجان، مدينة في أقصى شمال شرق إيران على مقربة من بحر قزوين، العفيفي، عبد الحكيم، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتب، مصر، د.ط ، 2000م، ص194.

(11) اصبهبذا، هو لقب يختص به ملوك طبرستان، وهو ككسرى لملوك الفرس وقيصر لملوك الروم، وقد أطلق على كورة بطبرستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص172.

وضمن أن يحمل صلحاً، وكان ذلك أول ما حرك وظهر من أمر خالد[1] ، وقد برز دوره في ذلك، كما كان خالد بن برمك مع القائد قحطبة حين قتل ابن ضبارة[2] وهو أبي الهيذام عامر بن ضبارة المري القائد الشجاع كان مع أمير العراقيين (البصرة والكوفة) من سنة (128–132هـ / 547–749م)[3] ، والذي اشتهر بمواقفه في محاربة الخارجين على الدولة، حيث حارب الخوراج ومنهم شيبان الخارجي وانتصر عليهم في سنة (129هـ / 746م)[4] ، كما انتصر على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطائي، والذي كان قد تغلب على فارس وأصبهان[5] سنة (130هـ / 747م)[6] .

وفي عام (129هـ / 748م) حين أعلنت الدعوة العباسية وُجهّ يزيد بن عمر ابن هبيرة لقتال قحطبة بن شبيب الطائي، وكان قد قدم بجيش كبير من أهل خراسان، فلما التقى الجيشان، انتصر القائد قحطبة بن شبيب الطائي[7] ، وقتل عامر بن ضبارة، قائد الجيش الأموي، واحتز رأسه، وبعث بجثته إلى أبي مسلم الخراساني[8] ، كما قام القائد قحطبة في عسكره بعد قتل ابن ضبارة، وأحصى ما غنموا، وقسمه في أصحابه، وكان المتولي لذلك خالد بن برمك[9] .

ويذكر ابن خلكان في رواية يؤكد فيها دور خالد بن برمك في العمليات العسكرية التي خاضها القائد قحطبة بن شبيب لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري عامل مروان بن محمد على العراقيين، وقد كان خالد بن برمك في جملة من كان معه فنزلوا في طريقهم بقرية، وبينما هم على سطح بعض دورها يأكلون إذ نظروا إلى

---

[1] مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1997م، ص333.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص88.

[3] الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، د.ط، د.ت، ج2، ص240.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص ص350– 351.

[5] أصبهان، مدينة معروفة في بلاد فارس، وسميت بذلك لأن أول من نزلها أصبهان بن فلوج بن لمطي، البكري، المصدر السابق، ج1، ص163.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص352، ابن عساكر، المصدر السابق، ج7، ص158.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص ص404 –504، ابن عساكر، المصدر السابق، ج7، ص158.

[8] الجهشياري، المصدر السابق، ص ص87–88.

[9] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص342، مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، ص349، الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1997م، ص122، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج7، ص353، الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص259.

الصحراء، وقد أقبلت منها أقاطيع الوحش الظباء وغيرها، حتى كادت تخالط العسكر، فقال خالد للقائد قحطبة: "أيها الأمير ناد في الناس، وأمرهم أن يسرجوا ويلجموا قبل أن يهجم عليهم الخيل، فقام قحطبة مذعوراً، فلم ير شيئاً يروعه، فقال يا خالد ما هذا الرأي ؟ فقال: قد نهد إليك العدوا ما ترى قطيع الوحش قد أقبلت؟ إن وراءها لجمعاً كثيفاً فما ركبوا حتى رأوا الغبار ولولا خالد؛ لهلكوا"[1]، حيث كان القائد قحطبة بن شبيبة يشير عليه ويعمل برأيه[2] .

عندما استقر الأمر للعباسين، ونجحوا في الإيقاع بالأمويين، عقدوا البيعة لأبي العباس السفاح، وقد حضر خالد بن برمك مبايعته فرأى فصاحته، وتوهمه من العرب، فقال له: ممن الرجل فقال له: مولاك خالد بن برمك ، وقص عليه قصته، وقال له إنا كما قال الشاعر الكميت[3] :

فَمَـــالَيَ إلاَّ آل أحْمَـــد شيعَةٌ وَمَالَي إلا مَشعْبَ الحقّ مَشَعَبُ

فأُعجب به الخليفة أبو العباس السفاح وأقره على ما كان يتقلده من الغنائم[4] .

وفي سنة (134هـ / 751م) تقلد خالد بن برمك ديوان الخراج وديوان الجند[5]، واستمرت ولايته عليها حتى وفاة الخليفة أبي العباس السفاح سنة (136هـ / 753م)، ولم يُدخل على جباية الضرائب أي تعديل جوهري[6]، حيث كثر فيه حامده وحسن أثره، وكان سبيل ما يثبت في الدواوين وكان خالد بن برمك قد جعله في دفاتر[7] من الجلود وكتب فيها وترك الدروج وكانت كتابة الدواوين في صدر الإسلام أن يجعل ما يكتب فيهٌ ٌصحفاً من قبل[8] .

---

[1] المصدر السابق، ج5، ص183.

[2] الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص130.

[3] الكميت بن زيد بن خنيس، من شعراء العرب، كان في أيام بني أمية توفي سنة 126هـ، أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق، ج15، ص260، فروخ، المرجع السابق، ج1، ص698.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص89.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص465، الجهشياري، المصدر السابق، ص89، ابن الأبار، المصدر السابق، ص366، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، المكتب التجاري، د.ط، د.ت، ج1، ص308، حتي، فليب وآخرون، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف، ط3، 1967م، ص366.

[6] مصطفى، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ط، 1973م، ج1، ص318.

[7] الجهشياري، المصدر السابق، ص29، القلقشندى، أحمد بن على، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العالمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص481.

[8] علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1968م، ج2، ص196.

ويبدو أن هذا التكريم كان أول مرحلة من مراحل تدخل البرامكة في شؤون الدولة وتصرفهم في أموالها[1] .

وترى بعض الروايات التاريخية أن خالد بن برمك ترقى إلى درجة أنه صار وزيراً للخليفة أبي العباس السفاح بعد مقتل أبي سلمة الخلال[2] وقد اختلفت بعض الروايات التاريخية فيمن أستوزره الخليفة أبو العباس السفاح بعد مقتل أبي سلمة الخلال، فقيل أبو الجهم، وقيل عبد الرحمن وقيل خالد بن برمك[3] ، وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات التاريخية فيمن استوزر بعد أبي سلمة الخلال إلا أن خالد بن برمك كان يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيراً، تطيراً مما جرى لأبي سلمة الخلال[4]، وفي سنة (136هـ / 753م) توفي الخليفة أبو العباس السفاح وخالد بن برمك وزيره[5] .

وبالرغم من تعدد الروايات والمصادر التي أوردت تبوء خالد بن برمك منصب الوزارة، فإن ذلك لا يعني تبوءه لها بشكل فعلي، للأسباب الآتية:

أولاً: بعد تآمر أبي سلمة الخلال ومقتله من قبل الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح، تطيّر الناس وتشاءموا من هذا الأمر ومنهم البرامكة أنفسهم[6] .

ثانياً: لو ناقشنا مفهوم الوزارة كما يصوره ابن خلدون في مقدمته على أنها في العصر العباسي "ارتفعت وعظم شأن الوزير، وصارت له النيابة في إنفاذ الحل والعقد، وتعينت مرتبته في الدولة، وعنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب ... وصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة ..."[7] .

و من مناقشة هذه المهام التي تتعلق بالوزير وما كان في عهده من عظيم

---

(1) الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص86.

(2) ذو النسبين، المصدر السابق، ص38، ابن الأبار، المصدر السابق، ص66، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص310، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص153، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات سنة (161-170هـ)، ص160، الأتليدي، المصدر السابق، ص237، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ص ص214-215، خواندمير، المصدر السابق، ص163، الرفاعي، المرجع السابق، ج1، ص137، عطية الله، المرجع السابق، مج2 ص202.

(3) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص153، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ص ص214-215، الرفاعي، المرجع السابق، ج1، ص137.

(4) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص154، الرفاعي، المرجع السابق، ج 1، ص137، مصطفى، دولة بني العباس، ج1، ص ص310-311.

(5) ابن الأبار، المصدر السابق، ص65.

(6) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص154، الرفاعي، المرجع السابق، ج1، ص137، مصطفى، دولة بني العباس، ج1، ص ص310-311.

(7) المصدر السابق، مج1، ص238.

الأمور، حتى صارت تخضع له الرقاب ويجمع بين خطتي السيف والقلم، في أوائل العصر العباسي وتطبيقها على خالد بن برمك، والمهام التي كانت بعهدته، فنرى أنها تحتاج إلى إعادة نظر؛ ذلك لأن خالد بن برمك خاصة في عهد الخليفة أبو العباس السفاح وأخيه أبو جعفر المنصور اللذان استقرت لهما القوة وتركزت السلطة في أيديهما، لم يسمحا لأي أحد بالتجاوز على سلطانهما، وكان الحل والعقد في أيديهما فقط.

ثالثاً: حينما دعُي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ / 786-808م) كان ذلك إشارة إلى عموم نظره فقد فابن خلدون لم يشير إلى أنه تلقب بالوزارة[1] .

رابعاً: كان الخليفة أبو العباس السفاح الذي قلّد خالد بن برمك ديوان الغنائم، ومن ثم عهد إليه بديوان الخراج، وديوان الجند[2] قد خصه به ولم يحل محل الوزير.

خامساً: يمكننا أن نشبه لقب الوزير الذي أطلقته بعض المصادر على خالد بن برمك، والذي كان يتطيّر منه ويتجنبه،بما تلقب به أبو سلمة الخلال من قبله وقد قتله الخليفة الأول بعد توليه الخلافة سنة (132هـ / 750م)، لتآمره على بني العباس، ومراسلاته مع بعض الشخصيات العلوية[3] ، وقد أصبح لقب الوزارة لقباً مشؤماً من جّراء ذلك، ومضرباً للمثل لوزارة أبي سلمة الخلال، وقيل عنه:

إنَّ الوَزيرَ وزِيرُ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدى فَمَنْ يَشْنَاكَ وَزَيِراً

ولذا كان خالد بن برمك يعمل عمل الوزير ولا يسمى وزيراً[4] .

من مناقشة هذه الروايات يتضح لنا أن خالد بن برمك قد تبَّوء مكان مهمة خاصة في عهد الخليفة أبي العباس السفاح، وأنيطت له بعض الأعمال، كالنظر في الدواوين، مما يرجح أنه كان كاتباً أول للخليفة[5] يعرض الكتب عليه ويكتب عنه[1]،

---

(1) المصدر السابق، مج1، ص238.

(2) الجهشياري، المصدر السابق، ص89.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج7، ص ص 423، 424، 429، 430، 450، 480، فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية، جامعة بغداد، د.ط، د.ت، ص ص27- 28.

(4) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص153.

(5) بروكلمان، المرجع السابق، ص186.

وليس وزيراً فكان يعمل عمل الوزير[2] ، ويعزز رأينا هذا ما أورده فليب حتي حيث ذكر أن خالد بن برمك لم يكن وزيراً بالمعنى الحقيقي، فقد جمع كل خصائص الوزارة إلا الاسم، وكان الخليفة أبو العباس السفاح يستشيره في كثير من الأمور الهامة ويسترشد برأيه[3] .

ويظهر أن خالد البرمكي كان على علاقة وثيقة بالخليفة أبي العباس السفاح، حيث ارتبط معه برباط عائلي، ومما يذكر أن الخليفة أبا العباس السفاح دفع ابنته ريطه إلى خالد بن برمك، حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تدعي أم يحيى، وأرضعت أم سلمى زوجة الخليفة أبي العباس السفاح أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطه[4] ، وفي راوية أخرىُ ذكر أن الخليفة أبو العباس السفاح قال لخالد يوماً: "ما رضيت حتى استخدمتني، ففزع خالد وقال: كيف يا أمير المؤمنين وأن عبدك وخادمك، فضحك الخليفة أبو العباس السفاح وقال: إن ريطه ابنتي تنام مع ابنتك في مكان واحد، فأقوم بالليل فأجدهما قد سرح الغطاء عنهما فأرده عليهما، فقبل خالد يده، وقال: مولى يكتسب الأجر في عبده وأمته"[5] ، إن ما ورد في هذه الرواية لا يعني بأي حال من الأحوال ارتفاع منزلة خالد بن برمك السياسية، بدليل وجوم خالد بن برمك حين قال له الخليفة ما قال، فأسرع خالد بتقبيل يده قائلاً: "إني عبد أمير المؤمنين"[6] .

ظل خالد يحتفظ بمنزلته عند الخليفة أبي العباس السفاح حتى إنه كان يستشيره فيما جلّ من الأمور، فقد أفضى الخليفة إليه يوماً بخوفه من ازدياد نفوذ أبي مسلم الخراساني في نفوس الجند حتى أنهم أصبحوا يهابونه ويأتمرون بأوامره، فأشار عليه خالد البرمكي برأي ظاهره تقوية جيش أبي مسلم، وباطنه تحطيم مركزه، وكان رأي خالد أن يأمر الخليفة أبى مسلم الخراساني بعرض جيشه وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان من عسكره ففعل ذلك، فأسقط أبو مسلم بشراً كثيراً في يومين متتالين، ولما

---

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ص66.

[2] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص154.

[3] تاريخ العرب المطول، ص366.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص182، الجهشياري، المصدر السابق، ص89، حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ص366.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص89، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص154، الرفاعي، المرجع السابق، ج1، ص137.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص89، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص154.

جلس في اليوم الثالث، قدم إليه رجل فقال: "اسقط من لم يكن من أهل خراسان، قال: فأبدأ بنفسك، فإنك من أهل أصبهان وقد دخلت في أهل خراسان"، وعندئذ تنبه أبو مسلم الخراساني إلى مغزى إسقاط من لم يكن خراسانياً، وفطن لما أريد به فعلم أن هذه حيلةُ دبَّرت لتنفير الجند منه ولم يملك إلا أن يقول: "هذا أمر أحكم، حسبك من شر سماعه"[1] ، ولا شك أن الخليفة أبو العباس السفاح بفضل رأي خالد بن برمك نجح في الإيقاع بين أبي مسلم الخراساني وجيشه، إذ استطاع أن يشكك جند أبي مسلم الخراساني في نياته حيالهم، ونجح بذلك في أن تسود عدم الثقة بينهم، وبذلك حقق ما كان يرجوه في ألا تكون هيبة الجيوش لأبي مسلم الخراساني، مصدر خوف وانزعاج له في كل وقت[2] .

وحينما توفي الخليفة أبي العباس السفاح سنة (136هـ / 753م)، تولى الخلافة بعده وبعهد منه، أخوه أبو جعفر المنصور، عبد الله بن محمد بن علي، ولقد تعددت واختلفت الروايات التي بين أيدينا، في تحديد وصف العلاقة بين الخليفة الجديد، وخالد بن برمك، وتبُّرز الروايات الفارسية خاصة مكانة خالد بن برمك وترى إن خالد بن برمك كان أحد نواب بلاط الخليفة، وكان الخليفة يستعين برأيه في تدبير الصعب من أمور الرعية[3] ، وترى غيرها من الروايات أن خالد بن برمك أصبح في عهد الخليفة الجديد ناظراً للخراج ومتولياً رواتب الجند[4] ، وبذلك يعّد الخليفة أبو جعفر المنصور أول من جمع لعامل بين الحرث والخراج لخالد بن برمك[5] ، وحلّ بعد ذلك محل الوزير[6] .

وتشير روايات أخرى إلى إن خالد بن برمك تولَّى عمل الوزارة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور سنة (136هـ / 753م)[7]، وبقى فيها سنة وستة أشهر، حيث

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص94، الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص ص142-143.

[2] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص ص142- 143.

[3] خواندمير، المصدر السابق، ص 163 .

[4] جوانتياين، المرجع السابق، ص 86 .

[5] القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ج3، ص347.

[6] جوانتياين، المرجع السابق، ص86.

[7] ذو النسبين، المصدر السابق، ص38، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص311، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص170.

عزله بعد ذلك الخليفة، واستوزر أبا أيوب المورياني سنة (137هـ / 754م)[1]، وجعل خالد بن برمك أميراً على ولاية فارس[2] ، وعلى الرغم مما أوردته الروايات السابقة عن تولي خالد بن برمك منصب الوزارة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، إلا أن خالداً كان يعمل عمل الكاتب للخليفة[3] ، ولو وزر للخليفة أبو جعفر المنصور لذكر وزارته هذه الجهشياري صاحب كتاب (الوزراء والكتاب)، ويظهر أنه كان أول الُكتاَّب الذين ذكرهم المؤرخون بلقب الوزير، حيث إن خالد بن برمك لم يكن وزير بالمعنى الذي كانت تحمله هذه الكلمة[4] ؛ لأنه كان يعمل عمل الوزير ولا يسمي وزيراً[5] ؛ ذلك أن الوزارة لم تكن قدُ قرَّرت قوانينها بعد، وإن كان الخليفة أبو جعفر المنصور يستشيره في كثير من الأمور الهامة ويسترشد برأيه[6] .

وتذهب بعض الروايات إلى أن العلاقة بين الخليفة أبي جعفر المنصور وخالد بن برمك قد تعرضت لفترات من الجفاء والتدهور[7] ، حينَ حلَّ أبا أيوب المورياني مكان خالد بن برمك[8] ، فقد تولى الوزارة سنة (137هـ / 754م) بعد أن عزل عنه خالد بن برمك، والذي لم يمكث فيها إلا ستة أشهر[9] وهذا يتناقض مع ما أورده ابن خلكان في تولي خالد بن برمك لمدة سنة وستة أشهر[10] .

وبقى خالد والياً لديوان الخراج فقط ،ويقال إنه أول من وليه[11] ، ثم أقصاه الخليفة أبو جعفر المنصور عما كان يتولاه من الأعمال المالية زمن الخليفة أبي العباس السفاح، وذلك عندما صرفه عن ديوان الخراج[12] ، ويشير ابن خلكان الى أن

---

[1] المصدر نفسه، ص170.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات سنة(161-170هـ)، ص160.

[3] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 1992م، ج8، ص73.

[4] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص 548.

[5] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص154.

[6] بروكلمان، المرجع السابق، ص366.

[7] عمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، مطبعة الدجوى، القاهرة، ط1، 1979م، ص248.

[8] ابن الأبار، المصدر السابق، ص67.

[9] عمرو، المرجع السابق، ص248.

[10] المصدر السابق، ج1، ص311.

[11] ابن الأبار، المصدر السابق، ص67.

[12] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص549 .

أبا أيوب المورياني قد غلب على الخليفة أبو جعفر المنصور، فاحتال على خالد ابن برمك بأن ذكر للخليفة أبي جعفر المنصور تغلُّب الأكراد على فارس، وأن أمرها لا يكفيه سوى خالد، فندبه إليها، فلما أبعَدَ خالد عن بغداد، استبدَّ أبو أيوب المورياني بالأمر[1] فوَلّى خالد بن برمك حرب فارس وخراجها[2] .

وقد ذكرت بعض المصادر أن دور خالد بن برمك ظهر بشكل خاص في بناء مدينة بغداد[3] ، حيث يذكر الطبري أنه لما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور بناء مدينة بغداد سنة (145هـ/ 762م) شاور أصحابه فيها، وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك، فأشار بها عليه، وأنه خط مدينة الخليفة أبي جعفر المنصور له[4] ، ولما شرع الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء مدينة بغداد، سنة (145هـ/ 762م)، رأى أن مواد البناء تكلفه كثيراً من النفقات، فأشار عليه أبو أيوب المورياني بهدم إيوان كسري واستعمال أنقاضه، فاستشار الخليفة خالد بن برمك في ذلك، فقال له: "لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنه آية الإسلام، فإذا رآه الناس علموا أن مثل هذا البناء لا يزيله ألا أمر سماوي، وهو مع ذلك مصلى علي بن أبي طالب، والمؤنة في نقضه أكثر من نفعه، فقال له الخليفة أبو جعفر المنصور: "أبيت يا خالد إلا ميلاً إلى العجمية"، وخالفه الرأي، وأمر الخليفة أبو جعفر المنصور بهدمه، فهدمت منه ثلمة، فبلغت النفقة عليها أكثر مما حصل منها، فأمسك الخليفة أبو جعفر المنصور عن هدمه وقال: "أيا أبا خالد قد صرنا إلى رأيك وتركنا هدم الإيوان، قال: يا أمير المؤمنين إني الآن أشير بهدمه، لئَّلا يتحدث الناس أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك" فأعرض عنه، وأمسك عن هدمه[5] ويبدو أن الخليفة أبو جعفر المنصور استشاره، وخالفه في الرأي بدليل أنه

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص311.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ص67، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص472.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص650، بروكلمان، المرجع السابق، ص186.

[4] المصدر السابق، ج7، ص650.

[5] المصدر نفسه، ج7، ص650، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص ص73- 74،ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص20، ، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص154 -155، النويري، المصدر السابق، ج22، ص91، الذهبي, تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث وفيات سنة (161-170هـ)، ص161، ابن زنبل، أحمد بن علي بن أحمد المحلّي المصري الشافعي، تحفة الملوك والرغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب، مخطوط،محفوظ تحت رقم 28، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ص ص246-247، الأطرقجي، رمزية حمد الأطرقجي، بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، مطبعة النعمان، النجف، د.ط، 1975، ص88.

هدم البناء (الإيوان)، حتى إذا أيقن أن نفقة الإزالة أكثر من نفقة البناء، عدل عن ذلك، وأعرض عنه.

وقد اشترك خالد بن برمك سنة (147هـ / 764م) في المناورات التي حملت عيسى بن موسى عن النزول عن حقوقه في ولاية العهد[1] ، حيث أوردت المصادر الإسلامية أن الخليفة أبا جعفر المنصور أقصى ابن أخيه عيسى بن موسى عن ولاية العهد ومبايعة ابنه المهدي، وحينما استعصى عليه إقناع عيسى بالتنازل عن ولاية العهد لابنه، استعان بدهاء خالد وحنكته،وطلب منه أن يكلم عيسى بذلك، خاصة بعد أن أعيته الحيلة، وقد وافق خالد أن يقوم بهذه المهمة، ولكنه اشترط على الخليفة أن يصحبه ثلاثون رجلاً من كبار رجاله، ولعله كان عاجزاً عن أداء المهمة وحده، ولم يتردد الخليفة في تحقيق رغبته مادام ذلك يحقق له هدفه، وسار خالد بعد ذلك وبرفقته أصحابه إلى عيسى الذي أبى أن يتنازل عنها، على الرغم من قيام خالد باستخدام مختلف أساليب الضغط معه، فاضطر خالد في نهاية الأمر إلى اصطناع الحيلة، فتشاور مع جماعته واتفق معهم على أن يشهدوا زوراً بموافقة عيسى علي التنازل عن ولاية العهد لصالح محمد المهدي، إذا ما أنكر عيسى ادعاءهم بقبول هذا التنازل، فلما عاد إلى الخليفة، أبلغه بأن عيسى استجاب لرغبته، وأخرج التوقيع بالبيعة لمحمد المهدي ،فلما بلغ عيسى ذلك، أتى إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، وأنكر ما نسب إليه من الإجابة إلى تقديم المهدي على نفسه، وعندما استدعى الخليفة خالد وأصحابه وسألهم عن الأمر، شهدوا بأن عيسى أجابهم وليس له أن يرجع، فأمضى الخليفة أبو جعفر الأمر وأقَّر ولاية العهد للمهدي وشكر لخالد صنيعه[2] ، ويبدو أن خالداً كان يسعى لرضا الخليفة باتباع كل الأساليب والحيل والتزوير، وصولاً إلى مصلحته، وتحقيقاً لأغراضه وطموحاته السياسة التي ظهرت فيما بعد.

استعمل الخليفة أبو جعفر المنصور خالد بن برمك والياً على طبرستان بين

---

[1] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص553.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج 8، ص ص19– 20، ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص134، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص168– 169.

عـامي (148–152هـ / 765–769م)[1] ، فأقـام بهـا خمـس سـنوات وعمـل فيهـا العجائب، فقد ظفر بخزائن ملوك فارس، وبوصفه والياً على طبرستان وجهه الخليفة أبو جعفـر لمحاربـة الأصـبهبذا[2] ، كمـا تمكَّـن مـن القضـاء علـى آخـر إمـارة فـي جبـل دنباونـد[3][4] ، وتمكَّـن مـن الاسـتيلاء علـى حصـن أسـتونا[5] ، وحبَّـب إليـه سـكان هذه الأقاليم، ويقال أن أهل طبرستان بعد هذا الانتصار نقشوا صورة خالد بن برمك على أسلحتهم كالمجانيق[6] ، وقد اشتهرت السكة التي ضربت باسمه بين سنتي (150–154هـ / 767–771م)، كما بنى خالد بطبرستان مدينة تسمى المنصورة وقد اتخذ لها سوقاً[7] ، ويبدو أن خالد بن برمك حاول أن يستغل وجوده في طبرستان بعد أن فقد وظيفته إلى جانب الخليفة أبي جعفر المنصور، بالتقرب إلى الناس، واستخدام السيرة الحسنة معهم، فأحبوه إلى درجة أنهم نقشوا صورته على دروعهم واشتهرت السكة باسمه.

كان من الطبيعي أن يستفيد خالد بن برمك من هذه المناصب كلها شأنه شأن جميع الموظفين في جمع ثروة ضخمة، ومن هنا وجدنا الخليفة أبو جعفر المنصور قبيل وفاته يصادر منه حوالي ثلاثة ملايين درهم وأن يعيدها إلى بيت مال المسلمين[8] ، حيث كانت ثقة الخليفة أبو جعفر المنصور بخالد بن برمك ضعيفة، فقد اتهمه باختلاس أموال الدولة وألزمه ثلاثة ملايين درهم، وأعطاه مهلة ثلاثة أيام وإلا قتله[9] ، وقد أوردت بعض المصادر العربية هذه الحادثة عندما ذكرت بأن في عام (158هـ / 775م) وجه الخليفة أبو جعفر المنصور ابنه المهدي إلى مدينة الرقة[10] ، وأمر بعزل

---

[1] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص549.

[2] ابن الفقيه الهمذاني، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم كتاب، بيروت، ط1، 1996م، ص579، مختصر كتاب البلدان، ص314.

[3] دنباوند، جبل عال بناحية كرمان ارتفاعه ثلاثة فراسخ، ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص206.

[4] بروكلمان، المرجع السابق، ص186.

[5] استونا،اسم قلعة مشهورة بدنباوند من أعمال الري من القلاع القديمة والحصون الوثيقة، البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، مج1، ص71.

[6] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6 ص553.

[7] ابن الفقيه الهمذاني، كتاب البلدان، ص580.

[8] العسيلي، بسام، الرشيد القائد، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988م، ص82.

[9] بيطر، أمينة، تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، د. ط، د. ت، ص142.

[10] الرقة، مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرقي، البغدادي، المصدر السابق، مج2، ص626.

موسى بن كعب عن الموصل، وأن يولى عليها خالد بن برمك، وكان قبل تولي خالد بن برمك الموصل ألزم الخليفة أبو جعفر المنصور خالد بن برمك حمل ثلاثة آلاف درهم ، فضاق ذرعاً بذلك، ولم يبق له مال ولا حال، وعجز عن ردها، فبدأ يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأمراء يستقرض منهم، فكان منهم من أعطى مئة ألف، ومنهم أقل، ومنهم أكثر، وقد بقى عليه من الحمل ثلاثمئة ألف، في ذلك الوقت ورد خبر إلى الخليفة أبي جعفر المنصور بانتفاض الموصل، وانتشار الأكراد فيها، فاستشار الخليفة أبو جعفر المنصور الأمراء فيمن يصلح للموصل، فأشار عليه المسيب بن زهير[1] وكان صديقاً لخالد بن برمك بأبي خالد بن برمك، فقال له الخليفة أبو جعفر المنصور: أو يصلح لذلك بعد ما فعلنا به؟ فقال: نعم، وأنا الضامن لها من أن يصلح لها، فأمر بإحضاره وولاَّه إياها، ووضع عنه بقية ما كان عليه، وعقد له اللواء[2] .

اتبع خالد بن برمك أسلوب اللين والتساهل، ليتقرب إلى الناس، حتى قيل إن أهل الموصل لم يوقّروا عاملاً كما وقّروا خالد بن برمك؛ إذ إنه لم يلجأ إلى القسوة قط معهم[3] ، وقد أحسن إلى الناس وقهر، المفسدين وكفاهم فهابه أهل البلد هيبة شديدة مع إحسانه إليهم[4] .

بقى خالد بن برمك قائماً على الموصل إلى أن توفي الخليفة أبو جعفر المنصور سنة (158هـ / 774م)، وبقي ابنه يحيى على أذربيجان[5] ويشير ابن الجوزي إلى أن الخليفة أبو جعفر المنصور كان معجب بيحيى بن خالد وكان يقول:"ولد الآباء أبناء، وولد خالد بن برمك أباه"[6]

استمر خالد بن برمك يحتفظ بمكانته حتى بعد وفاة الخليفة أبي جعفر المنصور واعتلاء ابنه محمد المهدي كرسي الخلافة سنة (158هـ / 774م)، حيث ولاّه

---

[1] المسيب بن زهير بن عمر أبو مسلم الضبي، كان من رجال الدولة العباسية، وولي شرطة بغداد في أيام الخليفة أبي جعفرالمنصور والمهدي والرشيد، وقد ولي خراسان أيام الخليفة المهدي، توفي سنة (175 هـ) الخطيب البغدادي،المصدر السابق ج13، ص137.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص154-155، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص ص199- 200، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص25-26.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص154-561، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص41- 42.

[4] المصدر نفسه، ج5، ص26.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص156.

[6] الأذكياء، تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي، مؤسسة عز الدين، بيروت، د.ط، 1986م، ص71.

الخليفة المهدي بلاد فارس، فأصبح عاملاً عليها، فأقسط الخراج ووضع عنهم خراج الشجر، وكانوا يلزمون له خراجاً ثقيلاً، وأكثر خالد بن برمك الصلات والجوائز والإحسان إلى كافة الناس وخاصتهم، فشغب الجند عليه، فضرب عنق قائدهم شاكر التركي، وكانت له قرابة بفرج خادم الخليفة المهدي الذي سعى به عند الخليفة المهدي، فغضب الخليفة منه وحبسه وألزمه سنة (158هـ / 774م) مالاً كثيراً، فكان يؤدي في كل جمعة مبلغاً منه، إلي أن شفعت الخيزران في أمره[1] ، فقد كانت هناك علاقة وثيقة بين زوجة يحيى والخيزران زوجة الخليفة، وذلك ما أورده الطبري، بأن أم الفضل زوجة يحيى البرمكي وهي زينب بنت منير، أرضعت الرشيد بلبان الفضل، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد، فأصبح هارون الرشيد أخ الفضل بالرضاعة[2] ، وهذه البادرة من الخيزران هي بداية التعاون بين البرامكة والخيزران زوج الخليفة الرشيد[3] ، فرضي عنه الخليفة المهدي ورده إلى منزلته[4] .

توطدت العلاقة بين الخليفة المهدي ويحيى بن خالد مما تذكر بعض الروايات العربية، بأن الخليفة المهدي عهد في سنة (161هـ/ 777م) إلى يحيى بن خالد البرمكي بتربية ابنه هارون، حيث ضم هارون إليه وجعله في حجره[5] وعلَّمه الأدب، وأحسن تربيته[6] ، فأحسن أداء واجبه نحوه ورعاه، كأحد أبنائه حتى كان الرشيد لا يناديه إلا بلقب الأبوة[7] ، وفي سنة (161هـ / 777م) عندما عَيَّن هارون أميراً على الولايات الغربية، بالإضافة إلى أرمينية[8] وأذربيجان، خطا يحيى خطوة جديدة نحو المجد، إذ اصطنعه الخليفة هارون الرشيد رئيساً لأمناء سّره[9] . وجه الخليفة المهدي بعد ذلك خالد بن برمك مع الرشيد، حين وجهه لغزو بلاد الروم سنة (163هـ/ 779م)، وتوجه معه الحسن وسليمان أبناء برمك، ووجُهَّ معه على أمرة الجيش ونفقاته

---

(1) الجهشياري، المصدر السابق، ص151، ابن الأبار، المصدر السابق، ص67.

(2) المصدر السابق، ج8، ص230.

(3) الدوري، العصر العباسي الأول، ص123.

(4) الجهشياري، المصدر السابق، ص151.

(5) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج14، ص ص128-129.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت، ج8، ص27.

(7) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص24.

(8) أرمينية، اسم لصقع واسع عظيم في جهة الشمال وحدها بن برذعة إلى باب الأبواب، البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص60.

(9) بروكلمان، المرجع السابق، ص ص186، 187.

وكتابه والقيام بأمر يحيى بن خالد[1] ، حيث أسند إلى يحيى بن خالد سنة (163هـ/779م) الإشراف على ديوان الرسائل[2] لهارون الرشيد. وقد كان أمر هارون كله إليه، فجعل الربيع الحاجب مع هارون يغزو عن الخليفة المهدي، ففتح الله عليهم فتوحاً كثيرة، وأبلاهم بلاء جميلاً، حيث ظهرت براعة خالد بن برمك الحربية في الاستيلاء على صمالو[3] وهو من حصون الروم، مع أنه كان قد طعن في السن، توفي خالد بن برمك بعد ذلك سنة (165هـ/781م)، وقيل سنة (163هـ/779م)، في الخامسة والسبعين من عمره تقريباً[4] .

وهكذا زرع خالد بن برمك بعد وفاته لأولاده شجرة يتفيّؤُون ظلالها، وينعمون بها، وظلَّ يفتل في الذروة والغارب في بلاط الخلفاء مرة، وبين الناس مرة أخرى، وفي جو الشعراء حيناً، وفي جو السياسة الفارسية حيناً آخر حتى مكنَّ لهم من بعده[5] .

وبعد وفاة الخليفة المهدي، تولَّى الخلافة ابنه موسى الهادي (169-170هـ / 785-786م)، وذلك عندما سمع هارون نصيحة يحيى بن خالد البرمكي أن يبايع الهادي بالخلافة على أن يكون هو ولياً للعهد[6] ، كما أبقى يحيى البرمكي على وظائفه السابقة، حيث أقره على ما كان يلي هارون من عمل المغرب[7] ، وخلال مدة حكمه القصيرة قرابة سنة حاول الخليفة موسى الهادي نقل ولاية العهد من الرشيد إلى ابنه جعفر، لتبقى الخلافة في نسله[8] ، حيث أوردت بعض الروايات بأن وحشة جرت بين الخليفة موسى الهادي وبين أخيه، فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر واليا للعهد[9] .

استدعى الخليفة موسى الهادي جماعة من الأمراء، فأجابوه إلى ذلك وأبت ذلك أمهما الخيزران، حيث كانت تميل إلى ابنها هارون أكثر من موسى، فألح على أخيه

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص146-147، ابن الأبار، المصدر السابق، ص67.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص148، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن بوسيف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، د.ت، ص45.

[3] صمالو، مدينة أو حصن بالثغر الشامي أقرب المصيصة وطرسوس، البغدادي، المصدر السابق،مج2، ص851.

[4] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص553.

[5] براتق، محمد أحمد، البرامكة في ظلال الخلفاء، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص15.

[6] ديورانت، المرجع السابق، ج13، ص90.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج4، ص605.

[8] فرج، المرجع السابق، ص55.

[9] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص284.

هارون في الخلع، وبعث إلى يحيى بن خالد، وكان من أكابر الأمراء الذين هم في صف الرشيد، فقال له: "ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابني جعفر؟ فقال له يحي البرمكي: إني أخشى أن تهون الأيمان على الناس، ولكن المصلحة تقتضي أن تجعل جعفر ولياً للعهد من بعد هارون، كما أخشى أن لا يجيب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر؛ لأنه دون البلوغ، فيتفاقم الأمر ويختلف الناس"[1] ، على أن الخليفة الهادي سرعان ما وقع تحت تأثير بعض قواده الذين اجتمعوا به وطالبوه بأن يخلع أخيه هارون ويبايع ابنه جعفر، تقرباً إليه، ورغبة فيما يصل إليهم من العطايا، فبعث في طلب يحيى، وعاود التحدث معه في مسألة نقل ولاية العهد إلى ابنه جعفر، فأخذ يحيى يهدي من ثائرة غضبه، ويحاول جهده أن يثنيه عن عزمه، على أن انحياز يحيى لهارون كان سبباً في الخلاف القائم بين الأخويين، فتحامل الخليفة الهادي عليه فقال ليحيى البرمكي: "قد أفسدت عليَّ أخي والله لأقتلنك"، فأمر الخليفة بحبس يحيى البرمكي[2] ، فحبسه وأشرف عليه بالقتل عدة مرات، كما يذكر بعض المشايخ عن يحيى بن خالد قال: "حبسني موسى بسب الرشيد وتربيتي إياه، ومكاني معه، وكان الرشيد دفع إلينا مولوداً في الخرق، أرضعته نساؤنا، وتربى في أحضاننا، فقال: بلغني أنك ترضى هارون للخلافة، ونفسك للوزارة، والله لآتين على نفسه ونفسك قبل ذلك، وحبسني في بيت ضيق، لا أقدر أن أمد رجلي فيه"[3] فقضى في سجنه ليلة، ثم توفي الخليفة الهادي في ظروف غامضة سنة (170هـ/786م)، فأطلقت الخيزران سراح يحيى البرمكي، فذهب يحيى من فوره إلى هارون وهنأه بالخلافة، وذلك سنة (170هـ/786م)، وأقبلوا على فورهم على جعفر بن الهادي، وكان لا يزال غلاماً، فأيقظوه وأرغموه على التنازل أمام الملأ عن حقه في ولاية العهد، فلا أحد من بين القواد الذين حملوا الخليفة الهادي على تجريد أخيه من هذا الحق استطاع أن يتحرك لأن يحيى والقائد هرثمة[4] شمرا عن ساعد الجد لمجابهة الوضع، وتلقت الولايات الخبر بنفس الهدوء، وفي سنة (170هـ/786م) بويع هارون الرشيد بالخلافة، وكان

---

(1) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت، ج10، ص170.

(2) الجهشياري، المصدر السابق، ص174.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص284.

(4) هرثمه بن أعين، قائد معروف تولى ولاية مصر لخليفة الرشيد سنة 178هـ، كما ولاه أيضا ولاية القيروان سنة 179هـ وولاية خراسان 181هـ لما صارت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلى الأمين ضد المأمون، فأتهمه الخليفة المأمون بموالاة إبراهيم بن المهدي والتراخي في قتال أبي السرايا، ثم قتل سنة 200هـ/816م، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص ص250، 259.

عمره يزيد عن العشرين بقليل[1] .

نستخلص مما تقدم أن الخليفة موسى الهادي لم يتمكن من تحقيق غايته في ولاية العهد، ويرجع الفضل في ذلك . كما لاحظنا . إلى يحيى البرمكي، الذي حاور الخليفة الهادي، مدافعاً عن حق الرشيد، متحملاً ذلك العذاب القاسي، والإيذاء الشديد مما أصبح لمسعاه هذا وقع حسن في نفس الخليفة الرشيد[2] .

ونستشف من كل ما سبق أن يحيى البرمكي، كان ذا قدرات كبير، يذكيها طموحٌ لتحقيق أهداف مستقبلية، ليس لها حدود، وقد سخر كل هذه القدرات في خدمة الخليفة ظاهرياً، وتحقيق خططه الهدامة واقعياً، فقد لعب دوراً كبيراً في ولاية العهد لهارون بعد الخليفة الهادي، كما لعب دوراً أكبر في وقوفه وراء الخليفة هارون يشد من عزمه ويشجعه على الحفاظ على حقه الشرعي في الخلافة تجاه ضغط أخيه الخليفة الهادي الشديد، أملاً أن يحقق وراء ذلك طموحاته[3] ، هذا الشيء إن دل فإنما يدل على الدور الذي لعبه البرامكة قبل خلافة هارون الرشيد، ولكنه كان دوراً ثانوياً بالنسبة لسلطانهم ونفوذهم، حينما تولى هارون الخلافة[4] ، كما سنرى فيما بعد.

---

[1] كلو، اندريه، هارون الرشيد وعصره، ترجمة محمد الرّزقي، سراس للنشر، د.ط، د.ت، ص98.

[2] فرج، المرجع السابق، ص29.

[3] فوزي، الخلافة العباسية عصر قوة وازدهار، دار الشروق، د.ط، 1998م، ج1، ص196.

[4] الدوري، العصر العباسي الأول، ص123.

الفصل الثاني

دور البرامكة في عهد الخليفة هارون الرشيد
(170-187هـ/ 786-802م)

المبحث الأول – يحيى بن خالد أول وزير تفويض في العصر العباسي.
المبحث الثاني – دور الفضل بن يحيى في توجيه سياسة الدولة.
المبحث الثالث – منزلة جعفر بن يحيى وأخوته لدى الخليفة هارون الرشيد.

المبحث الأول/ يحيى بن خالد أول وزير تفويض في العصر العباسي:

ارتقى هارون الرشيد عرش الخلافة بعد وفاة أخيه الخليفة موسى الهادي ليلة الجمعة للنصف من الربيع الأول سنة (170هـ/193م)، وكان عمر الرشيد يومئذ 22 عاماً[1] ، وقيل كان عمره يوم بويع بالخلافة 21 سنة[2] ، حيث كان يحيى البرمكي محبوساً في سجن الخليفة موسى الهادي، الذي كان عازماً على قتله، إلى أن جاء القائد هرثمة بن أعين إلى الخليفة الرشيد، فأخرجه وأجلسه للخلافة، فأرسل الخليفة هارون الرشيد إلى يحيى فأخرجه من الحبس، واستوزره سنة (170هـ/786م)، وأمر بإنشاء الكتب إلى الأطراف بجلوسه للخلافة وموت الخليفة الهادي، ويقال أنه لما مات الخليفة موسى الهادي جاء يحيى بن خالد إلى هارون الرشيد وهو نائم، ليبلغه بموت أخيه الخليفة موسى الهادي، فجلس هارون الرشيد على عرش الخلافة منذ ذلك التاريخ محاطاً برجال الدولة، وأخذا البيعة عن الأمراء والأعيان ومن اجتمع من وجوه الرعية[3] .

برزت مكانة يحيى بن خالد البرمكي، وعظم مقامه منذ وصول هارون الرشيد وارتقائه كرسي الخلافة، ويبدو أن ذلك كان للجهود التي بذلها يحيى هذا في تثبيت خلافة الرشيد[4] ، ويعزز ذلك ما أورده الجهشياري عن الخليفة الرشيد بقوله "يا أَبَة، أنت اجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك"[5] فالخليفة الجديد لم ينس جهود يحيى المضنية التي أوصلته إلى عرش الخلافة، بل عرف له حقه وكان يعظمه، وإذا ذكره قال (يا أَبه)، واستمر في ذلك حتى في خلافته[6] ، مما كان له أثره لفتح الطريق

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص230، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ص320، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص172، ابن كثير، المصدر السابق، ج10, ص172، الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أبيك، تاريخ التيجان وغرر تواريخ الأزمان، مخطوط، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، محفوظ تحت رقم 3828، ص ص150 – 151، كلو، المرجع السابق، ص53.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص130.

(3) كلو، المرجع السابق، ص54.

TAYEB-HIBRI, REINTERPRETING ISLAMIC HISTORIOG RAPHY, CAMRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1999, P. 41.

(4) بيطر، المرجع السابق، ص147.

(5) المصدر السابق، ص177؛ TAYEB,Op.cit , p. 42

(6) الجهشياري، المصدر السابق، ص177، البيهقي، إبراهيم بن محمد، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، دار النهضة، د.ط، د.ت، ص440، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ص321، ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص221؛ كلو، المرجع السابق، ص55.

أمام يحيى لتنفيذ خططه وتحقيق طموحاته، وذلك بعدما عينه الخليفة الرشيد وزيراً له سنة (170هـ/786م)، وخصه بأمور الدولة. وتذكر الروايات التاريخية أن الخليفة الرشيد قال ليحيى البرمكي عندما قلده منصب الوزارة، "قد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت، وأعزل من رأيت، وأفرض من رأيت، وأسقط من رأيت، فإني غير ناظر معك في شيء"[1] ، وقد عَدّ بعض المؤرخين سياسة الخليفة هذه بتفويض أمر الدولة إلى يحيى البرمكي من أقوي صيغ التفويض السياسي، إذ إن التدقيق بنصوص هذه الألفاظ التي وردت في هذه الصيغة، تشير إلى أن الخليفة الرشيد قد جرّد نفسه من كافة الصلاحيات وأصبحت كلها في قبضة يحيى البرمكي الذي أصبح الآمر والناهي[2] وبذلك صار يحيى البرمكي أول وزير تفويض[3] ، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الوزارة في العصر العباسي كانت نوعين: النوع الأول: وزارة تنفيذ، وهي التي يقتصر فيها الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة، فهو إذاً واسطة بينه وبين الموظفين والشعب. والنوع الثاني: وزارة تفويض، والتي يعهد فيها الخليفة إلى الوزير بالنظر في شؤون الدولة والتصرف فيها بغير الرجوع إليه، فليس للخليفة إلا توليه العهد، وعزل من يوليهم الوزير[4] .

لقد كان لسياسية الخليفة الرشيد هذه مع يحيى البرمكي وعلاقته القوية به أثرها الواضح على علو مكانة أسرة البرامكة بشكل فتح الباب أمام الشعراء للتغني بهم، ومنهم على سبيل المثال الشاعر إبراهيم الموصلي[5]، الذي قال:

أَلَمْ ترى أَنّ الشَّمْسَ كانت سَقيمةً فَلمَّا وَلـي هَـارونُ أَشْرق نُورُهَا

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص233، الجهشياري، المصدر السابق، ص177؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص221، ابن كثير، المصدر السابق، ج 10، ص173، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص65، كلو، المرجع السابق، ص55، دورناق، محمد أحمد، أثر السياسية الفارسية، صحيفة دار العلوم، مصر، ع1، 2، 1943م، ص18.

[2] عمرو، المرجع السابق، ص255.

[3] على، وفاء محمد، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، ط1، 1988م، ص29.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، مج1،ص423. الحوفي، أحمد محمد، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار النهضة، القاهرة، ط3، د.ت، ص ص201-202.

[5] إبراهيم الموصلي، وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن، أحد الشعراء والمغنين والندماء للخليفة الرشيد أصله من الفرس ولد بالكوفة، ثم سافر إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة، واتصل بالخلفاء أولهم الخليفة المهدي وحضي عند الخليفة الرشيد بمكانة خاصة وتوفي سنة (188هـ)، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص200.

يَمينِ أَمينُ اللهِ هارُون ذُي النّدَى فَهــارُونُ وإليهَا ويحيى وَزيرُهَا[1]

فأجازة الخليفة مئة ألف درهم، وأعطاه يحيى البرمكي خمسين ألف درهم[2] .

ومع تفويض الخليفة الرشيد للبرامكة بالأمور على هذا النحو،يبدو أنه لم يترك لهم الحبل على غاربه على الإطلاق، ويظهر ذلك جلياً بما أوردته المصادر العربية الإسلامية، التي ترى أن الخليفة هارون الرشيد كان لا يقطع أمراً، إلا بمشاورة والدته الخيزران، فكان يحيى البرمكي يعرض عليها ويصدر عن رأيها، فكانت هي المشاورة في الأمور كلها، فتبرم وتحل وتمضي وتحكم[3] مما يشير أنه على الرغم من هذه المنزلة العظيمة التي وصل إليها يحيى، فإننا لا نستطيع أن نجزم . عن المصادر التي بين أيدينا . أن يحيى أشرف بنفسه على شؤون الدولة باعتباره وزيراً؛ وذلك لأن الخليفة الرشيد خلال السنوات الأولى من حكمه ترك في الواقع ممارسة السلطة لأمه[4] ، حيث خضع يحيى البرمكي خلال السنة الأولى من وزارته لرقابة شديدة من أم الخليفة[5] ، حتى أنه أصبح لا يجسر على أن يجابه في آن واحد الخليفة وأمه مجابهة مباشرة، مما اضطرّه إلى التعامل معهما بالمداراة والتلميح وضرب الأمثال[6] ، فكان إذا رأى من الخليفة هارون الرشيد شيئاً ينكره لم يستقبله بالإنكار، وإنما كان يضرب له أمثالاً، وحكى له عن الملوك والخلفاء، ما يبدد غضبه وإنكاره[7] ، وإذا صحت هذه الروايات التي أوردتها مصادرنا والتي تدلل على عظم سلطة يحيى البرمكي من قبل الخليفة فلا يطابق هذا التدليل الحقيقة تماماً، ويكون مدعاة تساؤل عن الصلاحيات الفعلية التي يتمتع به يحيى بن خالد البرمكي[8] .

والحقيقة كان ليحيى البرمكي منذ البداية صلاحيات جديدة، حيث كانت له إدارة

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص233، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص221، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص183.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص339.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص234، الجهيشاري، المصدر السابق، ص177، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص172، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص461.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص234، الجهشياري، المصدر السابق، ص177، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص172، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص461.

(5) بروكلمان، المرجع السابق، ص187.

(6) كلو، المرجع السابق، ص55.

(7) الجهشياري، المصدر السابق، ص203.

(8) فرج، المرجع السابق، ص32.

الـدواوين كلهـا، مـع الـوزارة سـوى ديـوان الخـاتم فإنـه كـان مسـنداً لأبـي العبـاس الطوسي[1][2] ، وإذا ما قارنا ما أوردته الروايات نجد أن الخاتم كان موكلاً إلى جعفر محمد بن الأشعث[3] ، إلا أن الخليفة سرعان ما أخذه منه ودفعه إلى أبي العباس بن سليمان الطوسي سنة (171هـ/787م)، ولكنه توفي بعد فترة مما جعل الخليفة الرشيد يوكله إلى يحيى البرمكي، فاجتمعت له الوزارتان[4]، وهما: إدارة الدواوين والخاتم[5]. ويبدو أن يحيى بن خالد البرمكي، وعلى الرغم من تقييده بالخليفة هارون الرشيد ووالدته الخيزران، إلا أنه كان يسير حثيثاً في استرضاء الخليفة هارون الرشيد والتقرب إليه، ولكن هذه المرة عن طريق الدين، حيث كان أول من زاد في الكتب، "وأسأله أن يصلي على محمده عبده ورسوله" وأنشأ في ذلك كتاباً وذكر فيه فضل الأنبياء، عليهم السلام[6] ، كما شاوره الخليفة الرشيد في شأن كتابه الذي عزم فيه أن يكون عند كتابته "من عبد الله هارون الإمام أمير المؤمنين عبد محمد رسول الله[7] ، فقال له يحيى، أكتب من هارون مولى محمد"، حيث أوضح له بأن المولى عند العرب ربما كان ابن العم[8] ، كما أنه استخدم سياسية المداراة التي تعرف بالمصطلح الحديث (الدبلوماسية)، من أجل تحقيق مصالحه السياسية والشخصية، وذلك عندما بدأ يستفرد ببعض الأمور ليستقل بها، ويظهر ذلك جلياً باستقلاله بديوان الخراج الذي لم يكن ينفذ إلا من قبل الخليفة، وكان أبو العباس الطوسي يختمه بختم الخليفة، الأمر الذي جعل يحيى البرمكي يشكو إلى الخليفة مدعياً تأخر الكتب، فأمر الخليفة بعد ذلك يحيى البرمكي بأن يكاتب العمال عن نفسه، وأمر كاتبه أن يكتب عنه في المهام، وأن يؤرخ

---

[1] الطوسي، الفضل بن سلمان الطوسي أبو العباس تولى خراسان وسجستان منذ سنة (166هـ)، وفي سنة (171هـ) عاد إلى مدينة بغداد، وكان يتولى ديوان الخاتم، فمات بعد فترة قصيرة فصار ديوان الخاتم إلى يحيى البرمكي، الطبري، ج8، ص162-163، 166، 235.

[2] الجهيشاري، المصدر السابق، ص465.

[3] جعفر بن محمد بن الأشعث، كان متولي ديوان الخاتم للخليفة هارون الرشيد سنة (171هـ)، ثم تولى خراسان سنة (193هـ) ، الطبري ، المصدر السابق ،ج8، ص347،235.

[4] ابن خياط، أبو عمر خليفة بن أبي هبيرة، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، بيروت، ط2، د.ت، ص465، الطبري، المصدر السابق، ج8، ص235.

[5] جوانتاين، المرجع السابق، ص99، فوزي، الخلافة العباسية، ص99.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص177.

[7] الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله، أدب الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ص29.

[8] المصدر نفسه، ص ص29- 30.

الكتب باسم الكاتب، وهذا الأمر دليل واضح على أن يحيى البرمكي بدأ يخطط للاستفراد بأمر مكاتبة العمال بنفسه ومحاولة منه إبعاد الخليفة هارون الرشيد عن هذه المهمة، ومع ذلك فقد اعتمد على جملة من الكُتّاب اختارهم بنفسه في كتابة الكتب التي تنفذّ من ديوان الخراج وهم يوسف بن سليمان وأبو صالح يحيى بن عبد الرحمن ويحيى بن سليمان، ومحمد بن أعين، وعبد الله بن عبدة[1] .

ويعقب بعض الكتَّاب على سلطة يحيى البرمكي هذه والتي منحه إياها الخليفة هارون الرشيد بتعيينه كتاب الدواوين بأنها امتيازات خطيرة[2] ، فضلاً عن ذلك فقد كان ليحيى البرمكي سلطة اختيار كُتَّابه الذين كانوا يباشرون العمل وكلاء عنه،[3] منهم ثابت بن موسى الذي تقلد ديوان العراقيين (البصرة والكوفة) وخراج الشام[4] ، وقلد الحاجب الفضل بن الربيع[5] سنة (172هـ/788م) ديوان النفقات[6] ، وطلب من أبا عبُيد الله وزير الخليفة المهدي السابق من تولي ديوان الرسائل، وديوان الخاتم، وديوان الزمام، ولكن أبا عبيد الله رفض طلبه هذا؛ لعدم حاجته للعمل وكبر سنه[7] .

وعمل يحيى البرمكي أثناء وزارته لم يقتصر على سلطات الخليفة الرشيد التي منحها إياه في تعين وكلائه، بل حاول كسب ود الشعراء وتقريبهم إليه وإجزال العطاء إليهم، وبخاصة أولئك الذين كان هواهم مع العلويين، وقد كسبهم عن طريق تقريبهم للخليفة الرشيد ومن ثم تعيينهم كُتَّاباً، كما حدث مع الشاعر أبان عبد الحميد اللاحقي[8] الذي كان هواه مع العلويين يستره ولا يظهره، ففي أخباره أنه عتب على البرامكة أنهم لا يصلونه بالخليفة الرشيد ذاكراً لهم أمنيته في أن يحظى بجوائزه كما

---

(1) الجهشياري, المصدر السابق، ص178.

(2) كلو، المرجع السابق، ص55.

(3) خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص554.

(4) الجهشياري، المصدر السابق، ص177.

(5) الفضل بن الربيع بن يونس، الأمير حاجب الخليفة الرشيد وابن حاجب الخليفة المنصور، وهو الذي قام بأعباء خلافة الأمين، ثم أختفى مدة بعد مقتل الخليفة الأمين، توفي في ذي القعدة سنة (208هـ/823م)، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص20.

(6) الجهشياري، المصدر السابق، ص189.

(7) المصدر نفسه، ص179.

(8) أبان عبد الحميد اللاحقي، شاعراً أديباً عالماً، وهو صاحب البرامكة وشاعرهم وصاحب جوائزهم للشعراء، وهو الذي نقل كتاب كليلة ودمنة شعراً، ابن المعتز، عبد الله بن المتوكل بن المعتصم ، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص240.

حظي بها الشاعر مروان بن أبي حفصة[1] ، فقالوا له إنه إنما يحظ بتلك الجوائز لدفاعه عن حق البيت العباسي في الخلافة ورده على العلويين رداً عنيفاً فأسلك طريقه فسلك نفس الطريق وذلك عندما نظم قصيدة كان مطلعها:

نَشدْتُ بَحقّ الله مَنْ كان مُسْلماً أَعَمٌ بمَا قَلَتْهُ العُجْمَ والعّـــرب

أعَمٌ رَسُـــول الله أَقْـرَبُ زلفّـهَ لَدَيهُ أَمْ أبنُ الْعْمَّ في رُتبَةْ النَّسَب[2]

فلم يكد يفرغ من إنشاء القصيدة بين يدي الخليفة الرشيد حتى أمر له بعشرين ألف درهم، وارتفعت مكانة هذا الشاعر الأمر الذي جعل يحيى البرمكي يقلده ديوان الشعر[3] .

كما أسند الخليفة هارون الرشيد إلى يحيى البرمكي مهام إدارة البريد وذلك عندما كان الخليفة الرشيد يتحدث عن حسن صنيع أبيه في البرد[4] التي جعلها بينهما، فقال له يحيى البرمكي، "لو أمر أمير المؤمنين بإجراء البريد على ما كان عليه، كان صلاحاً لملكه" فأمر به فقرره يحيى بن خالد ورتبَّه على ما كان عليه أيام بني أمية، وجعل البغال في المراكز، وكان لا يجهز عليه إلا الخليفة أو صاحب الخبر، ثم استمر على هذا[5] . ومن المهام الإدارية التي ضمها الخليفة الرشيد إلى يحيى بن خالد النظر في المظالم، والذي شاركه فيه ابنه جعفر[6] ، حيث اشتغل يحيى البرمكي برد المظالم باسم الخليفة[7] ولم يكن يحيى البرمكي ليستطع في أداء هذه المهمات وتصريفها لوحده، بل كان يعاونه فيها أبناءه الأربعة، الفضل وجعفر ومحمد وموسى[8] ، وإن مؤزرتهم له كانت عظيمة الأثر، فجميعهم كانوا يمارسون بجانب أبيهم خطه وزير

---

(1) أبو حفصة، مروان سليمان بن يحيى، مولي مروان بن الحكم، شاعر يهودي من موالي السمؤال بن عادياء، وكان يدعي أنه من موالي عثمان بن عفان، توفي أيام الخليفة الرشيد سنة (182هـ/798م)، المزرباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار محمد فراج، د.ط، د.ت، ص ص317-318.

(2) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، د.ط، د. ت، ص332.

(3) المرجع نفسه، ص332.

(4) البرد، مفردها بريد، أي الرسول الذي يركب دواب البريد، كما تسمي مسافة، ابن منظور، المصدر السابق، مج3، ص86.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، ص414.

(6) فوزي، العباسيون الأوائل،دار مجدلاوي، الأردن، د. ط، د. ت، ج2، ص578.

(7) خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6 ، ص554.

(8) ذو النسبين، المصدر السابق، ص38، المقدسي، المصدر السابق،ج4, ص104، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص473، كلو، المرجع السابق، ص56، حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ص367.

ويحضرون معه المجالس الرسمية العامة وهو أمراً نادراً جداً في تلك الفترة[1] ، كما أن مهامهم لم تقتصر على مؤازرتهم لأبيهم في السلطة فقط، وإنما باشروا مسؤوليات هامة منها الحملة العسكرية التي قادها الفضل البرمكي على الأقاليم الشرقية لبلاد فارس وخاصة غربي إيران مثل أقاليم الجبل وطبرستان وقومس[2] ودنباوند وإذربيجان وأرمينية[3] ، كما قاد حملة عسكرية أخرى ضد الديلم[4] ، لحرب يحيى بن عبد الله العلوي[5][6] الذي اعتصم هناك كما قلده المشرق كله من النهروان[7] إلى أقصى بلاد الترك[8] أما جعفر البرمكي فقد لازم الخليفة الرشيد حتى صار لا يقدم عليه أحد، وأسند إليه سنة (176هـ/792م) ولاية المغرب كله من الأنبار إلى أفريقية[9] .

وقد وصفهم الشاعر إبراهيم الموصلي فقال: أما الفضل فيرضيك بفعله وأما جعفر بقوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وأما موسى فيفعل ما لا يجد[10] ، كما يقول فيهم الشاعر أبو الغول علياء بن جوشن (ت188 هـ/ 803م)[11] :

أَوْلَادُ يَحيْـَى بـن خَـالد وَهمُ أَرْبعَـَةْ سَـَيِّدُ وَمتَبْـَـوعُ

---

(1) خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص554؛ D.ETJ, op. cit, p. 64

(2) قومس، كورة رحبة حسنة الفواكه، وأكثرها جبال، وهي قليلة المدن، قصبتها الدمغان، المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1909م، ص303.

(3) أرمينية، اسم لصقع واسع عظيم في جهة الشمال، وحدها من برذعة إلى باب الأبواب، البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص60.

(4) الديلم، اسم يشمل جيلان وطبرستان وجرجان وقومس، ثم انفصلت عن الديلم وأصبحت المنطقة الجبلية هي الديلم، الأصطخري، إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال، محمد شـقيق غربـال، وزارة الثقافـة والإرشاد القومي، د.ط، 1961م، ص121.

(5) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب، من أهل المدينة، الذي صار إلى جبل الديلم في سبعين رجلاً من أصـحابه، كتب له الخليفة الرشيد الأمان له ولأصحابه، وأشهد يحي على ذلك شهوداً، وأجازة مئتي ألف دينار، الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج14، ص110.

(6) الجهشياري، المصدر السابق، ص189.

(7) النهروان، كورة واسعة بين بغداد وواوسط من الجانب الشرقي، وهي مدينة صغيرة ذات جانبين، يشقها نهـر النهـروان، ولـه بساتين وجنان، وقرى عامرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص325، الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بـن عبـد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتاب، بيروت، ط1، 1989م، مج2، ص ص668-669.

(8) الجهشياري، المصدر السابق، ص190.

(9) المصدر نفسه، ص190، خماش، نجدة، التنظيم الإداري في الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشـام فـي العصر العباسي، تحرير محمد عدنان البخيت، محمد يونس العبادي، عمان، 1992م، ص106.

(10) الجهشياري، المصدر السابق، ص198.

(11) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1993م، ج1، ص342.

الخَيْـرُ فيهم إِذا سَـأَلْتَ لَهُـمْ مُفَـرَّقُ فيـهِمْ ومَجَمُـوعُ[1]

وانشد الشاعر العتابي[2] فيهم قصيدة كان مطلعها:

سَأَلْتُ النَّدَى والجُودَ حَرَّان أَنتْمَا فَقَـالا كَـلانَا عبد يحيى بْن خَالد

فَقُـلْتُ شَـرَاءُ ذَلَـكَ الملك قَالَ لا ولَكَـن إِرْثاً وَالـداً بَعْدَ وَالد[3]

كان يحيى البرمكي يشجع أولاده على تبوء المناصب واتخاذ الكُتَّاب والعمال من علية قومه، ومن أقوال يحيى البرمكي لأولاده إنه قال لهم: "لابد لكم من كتَّاب وعمال وأعوان فاستعينوا بالأشراف، وإياكم وسفلة الناس، فإن النعمة على الأشراف أبقى، وهي بهم أحسن، والمعروف عندهم أشهر، والشكر منهم أكثر"[4] ، كما رَبَّى أولاده على السياسية حيث كان يقول "اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون"[5] ، ويبدو أن ذلك من تخطيط يحيى البرمكي، لإبقاء أولاده في السلطة، وتحقيق مصالحهم السياسية والشخصية، وتوسيع نفوذهم، كما وسنتطرق إلى ذلك بالتفصيل في المباحث اللاحقة.

هكذا وضع يحيى البرمكي أبناءه في كل مكان، وعلى رأس جميع ولايات الدولة الإسلامية ومصالحها، وليس في هذا التصرف ما يدعو إلى الدهشة فهو أمر طبيعي[6] بالنسبة ليحيى البرمكي الذي كان يتمتع بتأييد الخيزران أم الخليفة الرشيد، ويبدو أن يحيى البرمكي بدأ تدريجياً يستقل عن الخليفة؛ لأنه أخذ يختار بنفسه معاوينه ويهيمن على الدواوين، ويعين ولاة الأقاليم بعد أن يكتفي ظاهرياً باتباع رأى الخليفة[7] .

ثم لم تلبث الساحة أن خلت أمام يحيى بمفرده، حين ماتت الخيزران سنة

---

(1) الخربوطلي، علي حسني، المهدي العباسي ثالث الخلفاء العباسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت، ص114.

(2) العتابي، كلثوم بن عمرو بن على بن تغلب، من ولد عمرو بن كلثوم، ويكني أبا عمرو، شاعر محسن، وكاتب في الرسائل مجيد، ولم يجتمع هذان لغيره، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص740.

(3) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص24.

(4) الجهشياري، المصدر السابق، ص179.

(5) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج14، ص129، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص184.

(6) السيد، علي السيد، من تاريخ هارون الرشيد والبرامكة، مطبعة علي، دمنهور، د.ط ، د.ت، ص54.

(7) فوزي، العراق والتحدي الفارسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص60.

(173هـ/790)[1] ، استقل يحيى البرمكي وأصبح يورد ويصدر عن رأيه[2] ، ومع ذلك فإن وفاة الخيزران تعُد بداية النهاية لنفوذ البرامكة؛ فنفوذهم بدأ يتقلص ببطء وبشكل تدريجي؛ ذلك لأن الخيزران كانت السند المهم ليحيى البرمكي، لأنها تميل إلى العنصر الفارسي أكثر من العنصر العربي في إدارة الدولة، كما أنها كانت تميل إلى البرامكة وتعطف عليهم للموقف الذي وقفه يحيى البرمكى مع هارون الرشيد، عندما أراد الخليفة الهادي البيعة لابنه بدلاً من أخيه[3] .

وفي سنة (175هـ/791م)، أي بعد وفاة الخيزران بعامين، أخذ الخليفة هارون الرشيد البيعة بولاية العهد لابنيه الأمين والمأمون[4] ، حيث أن الخليفة أخذ البيعة لابنه الأمين الذي كان لايزال في الخامسة من عمره، ولم يتأت له ذلك دون أن يلاقي ممن حوله بعض المعارضات، فقد ادعى بعض أفراد البيت العباسي بأن الأمين مازال صبياً[5] ، وكان من بين الذين شاورهم الخليفة الرشيد وزيره يحيى البرمكي، وعلى الرغم من أن معظم المصادر التاريخية لم تتحدث صريحاً عن موقف يحيى البرمكي في هذا الأمر، مثلما تحدثت عن موقفه مع الخليفة الهادي في شأن الخليفة الرشيد، فإن أكثر ما تنسبه إليه نستطيع استنباطه من سير الحوادث التاريخية المروية واتصالها ببعضها البعض، التي حاولت كشف اللثام عن هذا الأمر، وذلك عندما ذكرت بأن يحيى البرمكي أعلن موقفه مؤيداً لصالح تسمية الأمين كولي أول للعهد، ومن العجب أن الرأي الذي كان يحاربه يحيى زمن الخليفة المهدي سار يسعى إليه هو وأولاده زمن الخليفة الرشيد، إذ كان من قبل يعارض في جعل ولاية العهد لجعفر بن موسى الهادي معارضة شديدة، وكان يعرض نفسه لكثير من المخاطر[6] وما كانت له حجة في المعارضة إلا أن جعفر غلام صغير، ثم هو بعد ذلك ينسى هذا أو يتناساه، ولم يمض

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص173، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص87، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص175.

[2] زيادة، المرجع السابق، ص115.

[3] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص60.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص240، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص88، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص178، كلو، المرجع السابق، ص122.

[5] المرجع نفسه، ص122.

[6] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص284، الجهشياري، المصدر السابق، ص174.

عليه غير خمس سنوات ليقف و يطالب بالبيعة لمحمد الأمين بولاية العهد[1] .

لم يمض سبع سنوات على أخذ ولاية العهد، حتى فكر الخليفة الرشيد مرة أخرى في ولده الثاني عبد الله المأمون ، وقد استشار في هذا الأمر وزيره يحيى البرمكي ، حيث أورد المسعودي على لسان الأصمعي[2] ، قال: "بينما أنا أسامر الخليفة الرشيد ذات ليلة إذ رأيته قد قلق قلقاً شديداً، فأنشأ يقول:

قَلَّدْ أُمُور عِبَاد الله ذَا ثقة مُوَحَّد الرَّأْي لاَ نكْسَ ولا بِرم

وأترُكَ مَقَالَةَ أَقْوَام ذَوِي خَطَلٍ لاَ يَفْهَمُونَ إِذَا مَاَ مَعْشَرٌ فَهِمُوا[3]

وناد على خادمه مسروراً، باستدعاء يحيى البرمكي، فلما وصل يحيى البرمكي، قال له الخليفة "يا أبا الفضل قد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره إلى من أرض سيرته ... فشر علي في هذا الأمر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها، فإنك بحمد الله مبارك الرأي ..."[4] .

ويضيف الأصمعي بأن الخليفة الرشيد أراد الاختلاء، فأمرني بالتنحي عن المجلس، ولكن سمعت ما يجرى بينهما من نقاش انتهى أخيراً بتولية ابنه الثاني عبد الله المأمون ولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين، وكان ذلك سنة (182هـ/798م) وقيل سنة (183هـ/799م)[5] ، ومن هنا بدأ يزداد الميل الفارسي والذي أصبح واضحاً جلياً في موقف يحيى البرمكي من تأييده لمبايعة عبد الله المأمون، إذ كانت أمه فارسية وتأييده الخليفة هارون الرشيد بأخذ البيعة له بعد الأمين، دلالة واضحة على الحفاظ على نفوذهم الفارسي داخل الخلافة العباسية حتى وإن كان مستتراً وغير ظاهر.

وفي سنة (186هـ/802م) خرج الخليفة هارون الرشيد إلى الحج ومعه أولاده ويحيى البرمكي وابناه الفضل وجعفر[6] ، كما رافقه الفقهاء والقضاة والقواد[7] ، وقد

---

[1] برانق، المرجع السابق ، ص 40 .

[2] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي البصري، من رجال اللغة والأدب، وكانت الخلفاء تجالسه وتحب منادمته ،عاش ثمان و ثمانين سنة ، توفى سنة(216هـ،)ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص37.

[3] المصدر السابق، مج3، ص334.

[4] المصدر نفسه، مج3، ص334.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص269، 275.

[6] كلو، المرجع السابق، ص123.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص277، كلو، المرجع السابق، ص123.

كان يحيى البرمكي وأبناؤه من الشهود الذين شهدوا على البيعة لأبناء الخليفة هارون الرشيد[1] .

وبعد إتمام ولاية العهد الثانية لابنه عبد الله المأمون، وموقف يحيى البرمكي، نجد له مواقف أخرى في معالجة الأمور، وخاصة ما يتصل منها بالخروج على الخليفة والحروب التي تقع بين بعض المسلمين، فإنه كان يحاول جهد أيمانه أن يحل هذه المسائل بالحسنى، واستخدام أسلوب اللين والعطف،لأغراضه ومصالحه (السياسية)، حيث تذكر المصادر أن في سنة (176هـ/792م) ثارت فتنة بين القبائل النزارية واليمنية في بلاد الشام، وكان واليهما موسى بن عيسى[2] ، فندب الخليفة الرشيد لذلك موسى بن يحيى بن خالد ومعه القوَّاد والجنود والمشايخ، والكُتَّاب، وأصلح أمرهما، وسكنت الفتنة، وأوعز الخليفة الرشيد إلى يحيى البرمكي للحكم بين المتنازعين فعفى عنهم[3] ، وأن الدور الذي قام به يحيى البرمكي دور التسامح والعفو وإطلاق سراح المتنازعين الذين كانوا سبباً في الفتنة التي وقعت في الشام بين النزارية واليمانية، وهذا الأمر يوضح أن يحيى البرمكي استخدم سياسة كسب ود الناس وتقربهم إليه عن طريق العفو والصفح.

كما كان ليحيى البرمكي دور أيضاً في أفريقية سنة (178هـ/794م) عندما قاد عملية احتواء ثورة عبدوية[4] في أفريقية الذي خلع السلطان، وعظم شأنه وكثر أتباعه، وجه إليه يحيى بن خالد البرمكي يقطين بن موسى ومنصور بن زياد كاتبه وقد استخدم يحيى البرمكي سياسية الترغيب والطاعة والتخويف، وبعد كل تلك المحاولات معه قبل الأمان، وعاد إلى الطاعة ،وقدم إلى بغداد بعد أن ضمن له يحيى البرمكي الأمان من الخليفة الرشيد[5] .

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص275-281.

[2] موسى بن عيسي بن محمد العباسي الهاشمي، ولاه الخليفة هارون الرشيد الكوفة ودمشق ، وتزوج عُلَيَّة بنت الخليفة المهدي أخت الخليفة هارون الرشيد توفي سنة(183هـ)، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج8، ص258.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص251.

[4] عبدوية بن جبلة، أصله من الأبناء من قواد بني العباس، كان أكثر عمله في مصر ولي شرطتها في أمارة عبد الله بن طاهر سنة (210هـ) توفي سنة (216هـ)، الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة والقضاة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ص183-189.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص256.

أوردت المصادر أن في هذه السنة (178هـ/794م) فوَّض الخليفة هارون الرشيد أمور الخلافة كلها إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكي[1] ، كما استلم يحيى البرمكي ديوان الخاتم سنة (180هـ/796م) وذلك عندما أخذ الخليفة هارون الرشيد الخاتم من ابنه جعفر، وعين والده يحيى البرمكي[2] ، وبذلك أصبح الوزير الفعلي الذي يتمتع بكافة الصلاحيات المطلقة حيث أدى إلى جانب منصبه الوزاري العديد من الأعمال والإصلاحات التي كانت من مهام الخليفة أصلاً، وإضافة إلى اهتمامه بنظم الدولة السياسة والإدارية، عنى أيضاً بالشؤون العلمية كالطب والترجمة، حيث استقدم يحيى البرمكي إلى بغداد لإدارة البيمارستان[3] الذي أنشأه طبيباً هندياً، فعرف العرب الطب الهندي من خلال ترجماته[4] ، كما فتح أبوابه للشعراء والمغنين وأجزل لهم العطايا، وهذا الأمر جعل صلاتهم لا تنقطع عن الشعراء، ذلك أن كثيراً من الشعراء كانوا ينقطعون لهم[5] ، ومن بين هؤلاء الشعراء على سبيل المثال لا الحصر بن المناذر[6] ، وأشجع بن عمر السلمي[7] ، وأبو الشيص[8] ، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي[9] .

ومما تقدم نرى أن الخليفة هارون الرشيد أعطى يحيى البرمكي سلطات واسعة، وأفسح له المجال في الإشراف على جميع مرافق الحياة العامة، في الإدارة، والأموال، والعلوم والفنون، بحيث لم يترك ناحية من هذه النواحي إلا وشملها بنظرته وعطفه،

---

[1] المصدر نفسه، ج8، ص256، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص99، ابن تغري بردي، ج2، ص92، ابن كثير المصدر السابق، ج10، ص185.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص265، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103.

[3] البيمارستان، المشفى أو المستشفى، مسعود، جبران، الرائد، دار العلم الملايين، بيروت، ط1، 1964م، ص345.

[4] فييه، جان موريس، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، نقله إلى العربية حسني زينه، دار المشرق، بيروت، ط1، 1990م، ص84.

[5] ضيف، المرجع السابق، ص327.

[6] ابوالفرج الأصبهاني، المصدر السابق، ج17، ص17.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص58.

[8] المصدر نفسه، ج15، ص249.

[9] ضيف، المرجع السابق، ص327.

فاستمال النفوس، وصارت له في القلوب مكانة عالية[1] .

إلا انه يجب ألا يستنتج من ذلك أن يحيى البرمكي كان حراً في جميع تصرفاته وغير خاضع لرقابة الخليفة الرشيد، ذلك أن هناك أموراً تدل على أن الخليفة كان يراقبه ويراقب البرامكة، وأنهم لم يكونوا دائماً مسيطرين على كل شيء[2] .

المبحث الثاني/ الفضل بن يحيى البرمكي ودوره في توجيه سياسة الدولة:

بدأ دور الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك منذ حياة أبيه يحيى الذي ظهر دوره بشكل بارز منذ خلافة هارون الرشيد، فقد كان الفضل أكبر أبناء يحيى البرمكي[3] ، ورديف الخليفة هارون الرشيد وأخاه بالرضاعة، وقد أورد ابن خلكان أن البرامكة زعموا أن الخليفة هارون الرشيد ولد أول يوم من المحرم سنة (149هـ / 766م)، وكان الفضل بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام، وكان مولد الفضل سنة (148هـ/765م)، كما أن أم الفضل أصبحت ضئراً[4] للخليفة الرشيد وهي زينب بنت منير، فأرضعت الخليفة الرشيد بلبان الفضل، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الخليفة الرشيد[5] ، وفي ذلك قال مروان بن أبي حفص شاعر البلاط يمدح الفضل:

كَفى لكَ فضلاً أَنَّ أفضْـلَ حُـرّةٍ غَـذَتْكَ بِثَـدي والخَليفةُ واحِـدُ

لقِدً زِنْتَ يحيَى في المشاهدِ كُـلّهَا كما زَانَ يَحيَى خالِدٌ في المشاهِدِ[6]

وتشير المصادر التاريخية بأنه حينما ولّي أبوه يحيى الوزارة للخليفة هارون الرشيد كانت الدواوين كلها مع يحيى مع الوزارة[7] ، وكان الفضل ينوب عنه في جلائل

---

(1) العبادي، المرجع السابق، ص85.

(2) الدوري، العصر العباسي الأول، ص168.

(3) ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص27.

(4) ضئراً، ضأرت المرأة، اتخذت ولداً ترضعه، لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط5، 1927م، ص497.

(5) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص230، الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج18، ص334، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص27، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص195، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص473.

(6) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج12، ص334، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص28، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص332.

(7) الجهشياري، المصدر السابق، ص177.

أعماله[1] .

ويبدو أن الخليفة الرشيد كان يثق في الفضل ويجلّه، ولذا فقد جعل ابنه محمد الأمين في حجر الفضل حتى يقوم بتأديبه[2] ، فكان له أباً، حيث كان محمد بن الرشيد قبل ذلك في حجر جعفر بن محمد، وجعل محمد الأمين في حجر الفضل بن يحيى، وأسكنه معه في قصره المعروف بالخلد، وضم إليه أعماله ودواوينه[3] ، وقد اشترك الفضل بن يحيى مع أخيه جعفر، في ديون الخاتم، كما أن يحيى البرمكي جعل الخاتم بين ولديه الفضل وجعفر ليصرفوا الأمور نيابة عنه[4] ، حتى إن الفضل ابنه كان يسمى الوزير الصغير، وفي ذلك يذكر ابن طباطبا بأن الخليفة الرشيد قال يوماً: "يا أبي ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفر بذلك، فقال يحيى، لأن الفضل يخلفني"[5] .

كما أن الخليفة هارون الرشيد ولى الفضل منصب الوزارة بعد أبيه يحيى، وقبل أخيه، وعهد إليه بالخاتم[6] ، حيث ذكرت بعض المصادر إن الخليفة الرشيد قال ليحيى: "يا أبتي إني أريد أن أجعل الخاتم الذي لأخي الفضل لجعفر"[7] ، هذا الأمر دلالة واضحة على أن الخاتم كان في عهدة الفضل بن يحيى قبل أن يسلمه الخليفة إلى أخيه جعفر[8] ، كما يدل أيضاً على أنه كان متقدماً على أخيه في الإدارة الفعلية[9] ، حيث كان الفضل جدي بطبعه، وفي أخلاقه خشونة[10] ، وكان ملتزماً ذا سيرة حسنة، حيث كان يقول: "لو علمت أن الماء ينقض مروءتي ما شربته أبداً"[11] ، ولعل صفاته هذه وحرصه في عمله هو الذي جعله يتقدم على أخيه في وظائف الدولة

---

[1] الخضري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994م، ص76.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص193.

[3] المصدر نفسه، ص193، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص28.

[4] ماجد، المرجع السابق، ص195.

[5] المصدر السابق، ص198.

[6] كلو، المرجع السابق، ص81.

[7] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص198-199.

[8] ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص27.

[9] الدوري، العصر العباسي الأول، ص164.

[10] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص198.

[11] الجهشياري، المصدر السابق، ص194.

فضلاً عن تقدمه عليه في السن.

كما أن أباه كان يقدمه على جعفر، حيث ذكرت بعض الروايات أن يحيى البرمكي كان يميل إلى الفضل، والخليفة الرشيد يميل إلى جعفر، فكان الخليفة هارون الرشيد كثيراً ما يقول ليحيى البرمكي: "أنت للفضل وأنا لجعفر"[1] .

وقد ولي الفضل ولايات مهمة وانتدب لمهمات كثيرة، فهو الذي أخمد ثورة يحيى بن عبد الله العلوي من دون سفك دماء[2] ، حيث أوردت المصادر العربية أن يحيى بن عبد الله صار إلى الديلم سنة (175هـ/108م) وفي سنة (176هـ/109م) استولى يحيى بن عبد الله على جرجان، وطبرستان وكل جبال جيلان، وقوى أمره، مما أقلق الخليفة الرشيد قلقاً شديداً؛ لأنه كان قد قرأ في الكتب أن أول خلل يقع في الدولة العباسية يكون على يد علوي يخرج في طبرستان[3] ، وإن كانت هذه الرواية . في رأينا . مبالغ فيها، فدعى الخليفة الرشيد يحيى البرمكي وخيَّره بين أن يخرج، أو يخرج يحيى البرمكي إلى هذا الطالبي الثائر[4] إلا أن يحيى البرمكي فضل البقاء مع الخليفة هارون الرشيد، لتدبير شؤون الرجال والمال، وإرسال ابنه الفضل بدلاً منه لتأدية هذه المهمة، حيث أسند إلى الفضل إمارة خراسان والري وجبال خورازم وسيستان[5] وما وراء النهر، على أن يقيم في الري ويرسل نوابه إلى المدن ،وبدأ يعد العدة لمحاربة يحيى بن عبد الله العلوي وإحضاره إلى الخليفة الرشيد صلحاً أو حرباً.

وقد عقد الخليفة الرشيد الرمح و الراية لإمارة خراسان وسلمها للفضل مع المنشور(أمر التعيين) ، وألبسه الخعلة. عاد الفضل بعد ذلك بموكب عظيم إلى داره، ووفد عليه كل عظماء القصر وأدوا له التحية، وفي اليوم التالي سار إلى النهروان فأقام بها ثلاثة أيام، كما لحق به بعد ذلك خمسون ألف فارس[6] ، ثم مضى من معسكره،

---

[1] **الجهشياري، المصدر السابق، ص189 .**

[2] **الطبري، المصدر السابق، ج8، ص242، الجهشياري، المصدر السابق، ص189، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص90، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص188، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص179.**

[3] **البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ص440-441.**

[4] **المصدر نفسه، ص ص440-441.**

[5] **سيتسان، وهي سجستان، معلوف، المرجع السابق، ص277، مؤنس، المرجع السابق، ص430، انظر الخارطة ص**

[6] **البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ص440-441.**

وأرسل إلى يحيى العلوي يستميله ونزل بعد ذلك بطالقان[1] الري، ودسبتي[2]، وهي منطقة شديدة البرد، وافتتح الفضل بعد ذلك الطالقان بعد أن انتصر على صاحبها فغنم أموالاً، وفيه يقول الشاعر:

للفضْلِ يَـْومُ الطَّالقان وقَبْلَه ُ يَوْمُ أَنَاخَ بِهِ عَلَـى خَـاقَانِ

مَا مثْلَ يُوْمَيْه اللَّذَيْنِ تَوَاليَـا فِي غَزْوتَيْنِ تَوَالِياً يَوْمَانَ[3]

كان يحيى بن عبد الله العلوي قد هرب إلى خراسان ودخل أرض الديلم فكتب الخليفة هارون الرشيد إلى صاحب الديلم، وجعل له ألف ألف ألف درهم على أن يسهل خروج يحيى، فأجاب يحي العلوي إلى الصلح والخروج على يديه[4]،شريطة أن يرسل إليه الخليفة هارون الرشيد عهداً بخطه على النسخة التي يحررها يحيى العلوي بنفسه، ورفع الفضل الأمر إلى الخليفة الرشيد، فقبل الخليفة بذلك وأرسل يحيى العلوي نسخة مع رسول من ثقاته وكتب عليها الخليفة هارون الرشيد بخطه، وأشهد عليه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم ومشايخهم، وقد اطمأن يحيى العلوي إلى هذا وعاد إلى بغداد، فرحب به الخليفة هارون الرشيد، فأجزل له العطاء وأجزى له أرزقاً سنية، وأنزله منزلاً سرياً، بعد أن قام في منزل يحيى البرمكي أياماً، حيث كان يحيى البرمكي يتولى أمره بنفسه ولا يكل ذلك إلى غيره و أمر الناس بإتيانه بعد انتقاله من منزل يحيى للسلام عليه[5] .

اختلفت الروايات حول مصير يحيى بن عبد الله العلوي، فقد روى اليعقوبي في تاريخه أن الخليفة الرشيد أتاه في السجن حتى وفاته، وأن الموكل به منعه من الطعام أياماً فمات جوعاً[6] ، أما الطبري فقد ذكر أن الخليفة الرشيد اهتمَّ به كثيراً وأمر له بالأموال الطائلة والأرزاق السنية[7] ، وكذلك الجهشياري، فقد روى بأن الخليفة

---

[1] الطالقان، هي مدينة تقع بين جبلين عظيمين ونبلغ أربع مراحل من مدينة سرخس إلى الطالقان، اليعقوبي، كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ط، د.ت، ص49.

[2] دسبتي، كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري ونهاوند، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص454.

[3] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص ص207-208.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص243، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص90.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص243، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص90، مطران، خليل، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، دار مارون عبود، د.ط، د.ت، ص236.

[6] مج2، ص408.

[7] المصدر السابق، ج8، ص243.

هارون الرشيد لقيه بكل ما أحبَّ، ثم حبسه، وأخيراً قتله بعد ظهور آية له عظيمة[1] ، وقال ابن الأثير: إن الخليفة هارون الرشيد حبس يحيى إلى أن مات في الحبس[2] ، بينما قال آخرون: إن الخليفة الرشيد حبسه في بغداد تحت إشراف البرامكة، فأطلقوا سراحه من دون أن يَسْتأذنوا الخليفة هارون الرشيد[3] ، وتصرفهم هذا كان من جملة الأسباب التي حملت الخليفة هارون الرشيد على التنكيل بالبرامكة كما سنرى فيما بعد.

وفي سنة (178هـ/794م) ولى الخليفة الرشيد الفضل بن يحيى خراسان وثغورها[4] إضافة إلى ما كان عليه من ولاية بلاد المشرق (خراسان وطبرستان وأرمينا وبلاد ما وراء النهر) [5]، وهو منصب كبير لم يكن يتولاه إلا الأمراء من الأسرة العباسية[6] ، وبوصفه أميراً على الولايات الشرقية قام بتحقيق انتصارات باهرة عسكرياً وعمرانياً[7] ، ويذكر الطبري أنه أحسن السيرة فيه[8] ، كما قام الفضل أيضاً بأعمال أخرى في خراسان مثل حفر الترع، والقنوات وبناء المساجد والزوايا والرباطات وأحرق دفاتر البغايا وزاد الجند والقواد، ووصل الزوار والكتَّاب في سنة (179هـ/795م) بعشرة ألف درهم[9] ، وعندما دخل مدينة بلخ وهو وطنهم، وبها النوبهار (بيت النار)، أراد هدم ذلك البيت فلم يقدر عليه لإحكام بنائه، فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجداً[10] ، وأثناء ولايته على خراسان افتتح بلاداً كثيرة منها كابل[11] ، وفتح أيضاً بلاد ما وراء

---

[1] المصدر السابق، ص190.

[2] المصدر السابق، ج5، ص90.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص289، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص114.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص257، الجهشياري، المصدر السابق، ص191، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص28، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص195، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص185، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص332، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج1، ص396، علي، وفاء محمد، صفحات من تاريخ العباسين، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص10.

[5] مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج1، ص396، العبادي، المرجع السابق، ص83.

[6] المرجع نفسه، ص73.

[7] بروكلمان، المرجع السابق، ص187.

[8] المصدر السابق، ج8، ص257.

[9] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص257، الجهشياري، المصدر السابق، ص191، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص99، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص29، مؤلف مجهول، كتاب في التاريخ، مخطوط، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، محفوظ تحت رقم4032، ص275.

[10] الجهشياري، المصدر السابق، ص191، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص29، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص332.

[11] كابل، مدينة معروفة في بلاد الترك، البكري، المصدر السابق، ج3، ص1108.

النهر، فخرج إليه خارخرة[1] ملك أشروسنة[2] وكان متمنعاً، لكنه استطاع أن يتغلب عليه بالرغم من تمنعه[3] ، ويقال إنه اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم (العباسية) وجعل ولاءهم له وقد بلغت عدتهم خمسمئة ألف رجل، قدم منهم إلى بغداد عشرون ألف رجل كانوا يسمون (ببغداد الكرنبية)، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم[4] ، وإن كان هذا العدد من الجيش مبالغاً فيه لأنه يدل على وجوده، وتأليفه، وتغذيته، والعناية به من قبل الفضل بن يحيى.

وقد أشار بعض المستشرقين أن الفضل بن يحيى أثناء ولايته لخراسان أدى خدمات مهمة متوخياً سياسة التهدئة في تلك النواحي التي قلّما عرفت الاستقرار، فقد كان على ما يروى من ضيوع صيته هناك سمي أيام ولايته عشرين ألف طفل باسمه، اعترافاً لما كان له من الأيادي على السكان[5] .

ويعارض الباحثين المحدثين ذلك وينكرونه معللين انتقادهم هذا بقصر ولاية الفضل على بلاد خراسان التي لم تدم مدة سنة واحدة[6] ، حيث ترى المصادر الإسلامية أنه كان مشغولاً في أول أمره بالأنس والملذات، حتى أن والده عاب على ذلك، وذلك عندما ورد على الخليفة هارون الرشيد كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الخليفة هارون الرشيد، رمى به ليحيى البرمكي وقال له: "يا أبتي أقرأ هذا الكتاب، واكتب إليه كتاب يردعه عن مثل هذا، فمد يده إلى دواة الخليفة الرشيد، وكتب إلى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد: حفظك الله يا بنيّ، وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك، فإنه من

---

(1) خاراخره ،لقب ملك أشروسنة ، ويقال له خاناخرة ، الطبري ، المصدر السابق ، ج8 ، ص234.

(2) أشروسنة، بلدة كبيرة بما وراء النهر بالقرب من سمرقند والغالب عليها الجبال، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص197.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص257، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص99، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص186، الخضري، المرجع السابق، ص77.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص257، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص185، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

M.A.SHABAN, ISLAMIC HISTOR ANEW IN TERPRETION, A–D 750–1055 (A. H. 132–448), PRESS CAMBRIDG UNIVERIST, 1976, P. 31.

(5) كلو، المرجع السابق، ص81.

(6) خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص550.

عاد إلى ما يزينه لم يعرف أهل دهره إلا به. والسلام"[1] ، وكتب في أسفله هذه الأبيات:

كَمْ مِنْ فتَى عَنْهُ ناسّكا يَسْتَقْبلُ اللَّيلَ بأَمْرٍ عَجيبِ
أَلْقَى عَلَيْه اللَّيْلُ أَسْتارَهُ فَبَاتَ في لَهْو وَعَيْشٍ خَصيبِ
ولَذَّةُ الأَحْمَقِ مَكْشُوفَةٌ يَسْعَى بِهَا كُلُّ عَدُوّ رقيبِ

والخليفة الرشيد ينظر إلى ما يكتب يحيى البرمكي، فلما فرغ قال له: أبلغت يا أبت" فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد إلى أن انصرف من عمله[2].

ولكن الأهم من كل تلك الامتيازات والنفوذ هي سياسة الفضل بن يحيى تجاه المشرق وبلاد فارس، فقد مارس البرامكة سياسة استثنائية تجاه بلاد فارس وقد جلبت هذه السياسة الانتباه، وهنا تظهر (العقدة الفارسية) في سياسة البرامكة، تلك العقدة التي لم يستطيعوا كأسلافهم الخلال وأبي مسلم الخراساني التخلص منها، وذلك عندما تساهل البرامكة مع سكان بلاد فارس في عملية فرض الضرائب وجبايتها، ذلك أن الفضل بن يحي عندما قدم خراسان وقام بإنشاء جيشه فيها، قام بإغرائهم بزيادة العطاء، وإلغاء الضرائب المتأخرة، وإحراق السجلات القديمة كما وعدهم، بأن عوائد ضرائب بلاد فارس ستنفق كلها على المنطقة ولا يؤخذ بعضها إلى العراق والخزينة المركزية بل العكس فإن العراق سيتحمل رواتب وعطاءات الجند، إذا لزم الأمر ذلك[3] .

انصرف الفضل بن يحيى عن خراسان سنة (179هـ/795م)، واستخلف عليها عمرو بن شرحبيل، فولى الخليفة هارون الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري خال الخليفة المهدي[4] ، وعندما عاد الفضل بن يحيى إلى بغداد، استقبله الخليفة هارون الرشيد استقبالاً حافلاً، فقد ذكر أنه لمّا قدم الفضل بن يحيى من

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص348 ، ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج6، ص2811، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص28، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص332.

[2] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص348 ، ياقوت الحموي ،المصدر السابق، ج6، ص2811، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص28، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص332.

[3] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص61.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص261، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص101، ابن كثير، المصدر السابق, ج10، ص185.

خراسان، خرج الخليفة هارون الرشيد إلى بستان أبي جعفر ليستقبله مع جماعة من وجوه رجال الدولة، يطلق العطايا والأموال والهدايا للناس[1] ، ويعزز ذلك ما ذكرته بعض الروايات التاريخية حين دخل عليه بعض الشعراء، ومدحه بعضهم فقال:

كَفَى اللهُ بالْفَضْلِ بْنُ يَحْيَ بنِ خَالدِ وَجُــودُ يَدَيْــه بخــلَ كــل بخيلِ[2]

كما مدحه الشاعر مروان بن أبي حفص فقال:

حَمْدْنَا الَّذي أدَّى ابن يَحيى فَأصْبَحتْ بمَقدمَه تجَــرى لَنَــا الطَّيــرُ أَسْــعُدا

وَمَــا هجَعَــتْ حتَّى رَأتْــهُ عيُوننُــا ومَــازِلنَا حَتّــى آب بالّدمْعَ حُشدَّا[3]

ومما تجدر ملاحظته تقدم الفضل بن يحيى البرمكي ومشاركته في الأعمال السياسية، وخاصة تلك التي تخص المسائل الحساسة كولاية العهد، ومن ذلك دوره في أخذ البيعة لمحمد الأمين الذي عهد إليه الخليفة بتربيته[4] وتثقيفه[5] ، ويبدو أن دوره هذا يشبه إلى حد كبير دور والد يحيى سنة (170هـ/786م)[6] .

يشير الطبري عن روح مولى الفضل بن يحيى أنه رأى عيسى بن جعفر يلتمس الفضل بن يحيى البرمكي لأخذ البيعة لابن أخته زبيدة؛ لأن هناك من بني العباس من يطمح إلى الخلافة، قائلاً له: "أنشدك الله لما عملت في البيعة لابن أختي، يعني محمد بن زبيدة بنت جعفر... فوعده أن يفعل ..."، وكانت جماعة من بني العباس قد مَدُّوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الخليفة هارون الرشيد، لأنه لم يكن له ولي عهد، فلما بويع له، أنكروا بيعته لصغر سنه[7] ، وكان للفضل دوره في تحقيق هذا الأمر عن طريق التخفيف من الاحترازات[8] ، ولمَّا تولّى الفضل خراسان، أظهر بعد ذلك البيعة لمحمد بن الرشيد، فبايع الناس له وسَموَّه الأمين، ولمَّا انتهى الخبر إلى الخليفة هارون الرشيد

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص257، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص186، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج1، ص396.

(2) ابن كثير، المصدر السابق, ج10, ص447.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص259.

(4) الدوري، العصر العباسي الأول، ص165.

(5) الدوري، النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ط1، 1950م، ج1، ص165.

(6) عمرو، المرجع السابق، ص260.

(7) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص240، ابن تغرى بردي، المصدر السابق، ج2، ص76.

(8) كلو، المرجع السابق، ص122.

بذلك، بايع أهل المشرق محمد الأمين[1] . إن احتضان الفضل ابن يحيى لمحمد الأمين ابن الخليفة الرشيد منذ صغره، إذ كان تلميذه، كان له أثره في حرص يحيى بن خالد على أخذ البيعة له، ويبدو أن هذه السياسة أعجبت الأب يحيى البرمكي؛ لأن ابنه الفضل قام بهذا العمل الذي كان قد اتفاقا به على استرضاء الخليفة هارون الرشيد أولاً، واستبعاد لمن يطمع بالخلافة من الذين لا يودونهم[2] .

تُوَّجَتْ هذه البيعة بتوجه الخليفة هارون الرشيد سنة (186هـ/802م) إلى مكة، لكي تأخذ صيغتها الرسمية الشرعية والموافقة الشعبية باعتبارها الإطار الوحيد المناسب لهذا الاحتفال الخطير الذي قد تحدد فيه مصير البيت العباسي ومصير رئيسه، حج الخليفة هارون الرشيد سنة (187هـ/802م) يرافقه يحيى البرمكي وأبناؤه الفضل، وجعفر، والأعيان من رجال الدولة، وكان فقهاء القصر قد أعدوا نص ميثاقه يضبط تفاصيل وراثة العرش والالتزامات التي كان على الأميرين التعهد باحترامها، وقد أقسم كل من الأخوين يميناً اشترط فيه على نفسه شرطاً عدت فيه العقوبات التي تسلط على من ينكث منهما العهد، ومن هذه العقوبات أخذ أمواله وتصديقها على الفقراء، وفرض الحج عليه مشياً على الأقدام، وتطليق نسائه منه، وإعتاق جميع ما ملكت يداه من العبيد[3] .

ومن سياق هذه الأحداث التي حدثت في أخذ ولاية العهد والبيعة لأبناء الخليفة هارون الرشيد نجد أن للفضل بن يحيى البرمكي دوراً في أخذ البيعة لهما وتعليق كتاب العهد لأبناء الخليفة الرشيد في الكعبة، فضلاً عن ذلك فقد كان للفضل البرمكي بعض الأعمال منها استخدام الكاغد، وذلك لأن أصحاب الدواوين كانوا يتضايقون من استعمال الجلود والرقوق للدفاتر والدروج والسجلات، حتى أشار الفضل بالكاغد فأنشأ له معامل في بغداد[4] ، ويقال أنه أول من أدخل أستعمل المصابيح في المساجد في

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص240.

[2] برانق، المرجع السابق، ص41.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص275، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص112-113، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص194، كلو، المرجع السابق، ص122.

[4] زيدان، جرجي، العباسة أخت الرشيد أو نكبة البرامكة، مطبعة الهلال، مصر،د.ط، 1906م، ص ص76- 78.

شهر رمضان[1] ، ومع ذلك فإن دور الفضل بن يحيى تركَّز في الأعمال الرسمية بعيداً عن مجالس البلاط، مقارنة بأخيه جعفر الذي لازم الخليفة الرشيد[2] ، حيث صرفه الخليفة هارون الرشيد بعد ذلك عن الأعمال التي كان ينفذها أولاً[3] وذلك عندما ذكر الطبري أنه سنة (180هـ/796م) عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان[4] ، وولىَّ ذلك عبد الله بن حازم، كما عزله أيضاً عن الري واسند ولايتها لمحمد بن يحي بن الحارث بن كثير، ولم تكن تحل سنة (182هـ/799م) حتى سخط عليه الخليفة الرشيد وأعفاه من جميع ما كان يتقلّده[5] ، حتى أن الخليفة قد عزله عن ولاية أرمينيا، واحتفظ فقط ببريد الموصول وديار بكر[6] ، والذي أراد الخليفة إعطاءه للحاجب الفضل بن الربيع[7] ، وبذلك فقط جرَّده الخليفة الرشيد من جميع الأعمال التي كان يتقلّدها أولاً، إلا أنه رضي عنه الخليفة الرشيد بعد ذلك، وأقرّه مع الأمين، غير أنه لم يرد إليه شيئاً من أعماله[8] .

المبحث الثالث / منزلة جعفر بن يحيى وباقي أخوته لدى الخليفة هارون الرشيد:

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك[9] هو ثاني أولاد يحيى البرمكي[10] ، تتلمذ على يد القاضي أبي يوسف الحنفي[11] ، ومن ثم فإنه كان يوقّع بحضرة الخليفة

---

[1] حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ص367.

[2] الدوري، النظم الإسلامية، ص223.

[3] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

[4] الرويان، هي من مدن جبال طبراستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص104.

[5] الطبري، المصدر السابق، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103.

[6] ديار بكر، هي بلاد كثيرة تنسب إلى بني بكر بن وائل، وهي من دجلة من بلاد الجبل، البغدادي، المصدر السابق، مج2، ص547.

[7] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

[8] الجهشياري، المصدر السابق، ص227.

[9] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص328.

[10] الخضري، المرجع السابق، ص77.

[11] القاضي أبو يوسف، اسمه يعقوب بن إبراهيم بن حسين بن سعد بن حسنة، وهي أمه، وأبوه يجير بن معاوية، وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبي حنيفة، حيث كان يحضر حلقات أبي حنيفة، تولى القضاء في عهد الخليفة الهادي، ولقب قاضي القضاة، توفي سنة (182هـ)، ابن كثير، المصدر السابق, ج10، ص ص194-195.

هارون الرشيد، ويقال إنه وقّع ألف توقيع، لم يخرج أحدها عن دائرة الفقه[1]، وانفرد بعلو المنزلة وجلال القدر لدى الخليفة هارون الرشيد بشكل لم يشاركه فيه غيره[2] ، وهذا ما قرّبه من الخليفة هارون الرشيد بشكل أكبر من أخيه الفضل[3] ، فاختص بالخليفة وغلب عليه في حين اختص الفضل بأبيه يحيى، حتى يذكر أن الخليفة أنزل جعفر معه في قصر الخلد[4] ، وقد بالغ الُكتَّاب في وصف تلك العلاقة[5] حيث ذكرت بعض المصادر التي بين أيدينا، أن جعفر البرمكي كان متمكناً عند الخليفة هارون الرشيد، غالباً على أمره وبلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه، وقد صلت مبالغتهم إلى حد غير معقول، حيث ذكروا أن الخليفة الرشيد أتخذ ثوباً له زيقان فكان يلبسه هو وجعفر[6] ، كما أمر الخليفة أن يخيط له قميصاً ذا جيبين يلبسه الخليفة وجعفر[7] وهذا مما لا يجوز على الإطلاق في تقديرنا.

وقد بلغ من اعتزاز الخليفة به وعدم الصبر على مفارقته إلى حد كان يجالسه طوال اليوم وبحضرة أفراد أسرته منهم أخته العباسة كما تذكر المصادر[8] ، ونتيجة لهذه الألفة وصلت علاقة جعفر البرمكي مع الخليفة هارون الرشيد إلى حد بعيد، فصار يقضي الأمور التي كانت من اختصاص الخليفة، تذكر الرواية التاريخية أن جعفر البرمكي قضى لعبد الملك بن صالح حوائجه جميعاً وهو في مجلس واحد بدلاً عن الخليفة، وذلك عندما جاءه عبد الملك بن صالح وهو في مجلسه ففرح جعفر بذلك وقال له: "اذكر حوائجك، فإني لا أستطيع مقابلة ما كان منك قال: في قلب أمير المؤمنين على موجدة فتحرجها، قال جعفر البرمكي: قد رضي عنك أمير المؤمنين،

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص328-329، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات سنة (181- 190هـ)، ص100.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص328.

[3] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص198.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص189.

[5] الدوري، العصر العباسي الأول، ص126.

[6] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص332 ، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، وزارة الثقافة، دمشق،د.ط ،1991م، ص228.

[7] المقدسي، البدء والتاريخ، ج4, ص 104، القرماني،أحمد بن يوسف ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، مج1، ص86.

[8] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص228، الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، بيروت، د.ط، 1992م، ج5، ص139.

قال عبد الملك: على أربعة الآلف ألف، قال له جعفر: قد قضي دينك، قال: وإبراهيم ابني أُحب أن أشدّ ظهره بصِهْر من أولاد الخلافة، قال:قد زوّجه أمير المؤمنين بالغالية بنته، قال عبد الملك: وأوثر أن يولي بلداً، قال جعفر البرمكي: قد ولاه أمير المؤمنين مصر"، فانصرف عبد الملك إلى منزله فرأى المال قد سبقه[1] ، وإن كانت هذه الحادثة بعيدة عن الواقع وبخاصة في شق الأخير تزويج العالية بنت الخليفة من ابن عبد الملك بن صالح فإنها إن صحت فإنها تدل على عمق ثقة الخليفة الرشيد بجعفر البرمكي إذ ما كان لجعفر أن يبت بمثل هذا الأمر . التزويج . إذا لم يكن واثقاً من موافقة الخليفة له، ومهما يكن من أمر فإن هذه الحادثة جعلت لجعفر مكانة مرموقة، وسلطة واسعة في الدولة، حتى أصبحت كلمته هي النافذة، إذ لم يكن لأحد أن يجسر على أن يرد عليه قولاً ولا رأياً[2] .

إن سلطات وصلاحيات جعفر البرمكي لم تقف عند هذا الحد فقط وإنما اختص أيضاً بمنادمة وخدمة الخليفة هارون الرشيد لسهولة أخلاقه، فقد كان يلازمه دائماً عدا سنة (180هـ/796م) حيث ذهب لتهدئة العصبية القبيلة في الشام[3] .

إن ملازمة جعفر البرمكي للخليفة هارون الرشيد كانت مثار خوف أبيه يحيى الذي كان غالباً يأمر ابنه بعدم الاستمرار بمنادمة الخليفة هارون الرشيد من جهة، ومن جهة أخرى كان يحيى يشير على الخليفة الرشيد بهذه الملازمة، خوفاً من عاقبته، وتذكر الروايات التاريخية أنه عندما تحدَّث يحيى البرمكي إلى الخليفة الرشيد قال له: "يا أمير المؤمنين إني أكره مدخل جعفر ولست آمن أن ترجع العاقبة على ذلك منك، فلو أعفيته أو اقتصرت على ما يتولاه من جسيم أعمالك، لكان أحب إليَّ وأولى بتفضلك، وآمن عليه عندي، فقال له الخليفة الرشيد: ليس لك هنا، ولكن لك إن تقدر عليه الفضل" وكان الفضل لا يشرب النبيذ فظن الخليفة الرشيد أنه يتيه عليه[4].

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص ص212–214، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص330–331، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص199– 200.

[2] عمرو، المرجع السابق، ص265.

[3] الدوري، العصر العباسي الأول، ص166.

[4] الجهشيارى، المصدر السابق، ص225، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص198، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص31.

قلَّد الخليفة هارون الرشيد جعفر البرمكي منصب الوزارة[1] ، حيث استبدله الخليفة الرشيد مكان أخيه الفضل[2] ، ولقد أشارت بعض المصادر الى هذا الأمر عندما أوردت حديثاً جرى بين الخليفة هارون الرشيد ويحيى البرمكي، حيث قال الخليفة الرشيد يوماً ليحيى: "يا أبي ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفر بذلك، فقال يحيى: لأن الفضل يخلفني، قال: فضم إلى جعفر البرمكي أعمالاً كأعمال الفضل"، وجعل إليه أمر الخليفة الرشيد، فَسُمَّي بالوزير الصغير أيضاً[3]، مما يعنى وجود أكثر من وزارة، كبرى يتولاها أبوهم يحيى، والصغرى يتولاها جعفر.

ويبدو أن جعفر البرمكي كانت له مطامع سياسية مع وجود أبيه خاصة فيما يخص منصب الوزارة، بالرغم من تخويف أبيه له، فيذكر أنه عندما تقلّد جعفر البرمكي منصب الوزارة، وتكلَّف النهوض بأعباء الخلافة، قال له أبوه يحيى: "أي بني إني أخاف عليك العجز العظيم ما تقلدت وجسيم ما تحملت أنى لست آمن أن تتفسخ تحت ثقلها تفسَّخ الجمل تحت الحمل الثقيل، فقال جعفر: لكني أرجو القوة، وأطمع أن أستقل بهذا الثقل، وأنا مبتهل غير مبهور، وأجي قبل السوابق وأنا ثاني، قال يحي: إن لكل رجاء سبباً، فما سبب رجائك؟ قال شهوتي لما أنا فيه والمشتهي للعمل لا يجد من ألم الكد ما يجده العيف الأسيف، فقال يحي: إن نهضت بثقلها مبهداً، وإلا فلا وأنا أسال الله أن يصرف شهوتك إلى حب ذلك وهواك إلى الاحتفاظ بنعمتك بشكر المصلحين، والتوكل على رب العالمين"[4] .

وكانت هذه النصائح التي قّدمها يحيى البرمكي لابنه جعفر دلالة واضحة على خوف يحيى من تولّي ابنه هذا المنصب وربما جاء خوفه هذا، نتيجة لأنه كان يرى أن ابنه غير كفؤاً لتحمل مثل هذا المنصب (الوزارة) فجعفر لم يكن مثل أخيه الفضل الذي كان حازماً في أعماله ومسؤوليته، وخوفه هذا جاء من حرصه على استمرار سلطاتهم الواسعة ونفوذهم في الدولة العباسية خلال عهد الخليفة هارون الرشيد، وقد عبر يحيى

---

[1] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص198، ابن خلدون، المصدر السابق، مج1، ص423،القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، ص341، ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص49 ، جوانتياين، المرجع السابق، ص 98.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج6، ص341.

[3] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص722، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص198،.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، ص ص205-206.

البرمكي عن ذلك بالرواية التي يذكرها الجهشياري بما قال لابنه، "أني إنما أهمتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك، وإن كنت أخشى أن يكون التي لا شروى لها"[1] .

بدأ الشعراء بعد ذلك ينشدون القصائد الشعرية للوزير جعفر البرمكي ومن بين هؤلاء أبو نواس الحسن بن هاني، مولى الحكم بن سعد العشيرة (ت 199هـ/814م)[2] :

ذاكَ الْوَزِيرُ الَّذي طَالَتْ عَلاوَتهُ كَأَنّهُ ناظِرُ في السَّيفِ بِالطّولِ[3]

ولإتمام الأمر لجعفر البرمكي، أحبّ الخليفة هارون الرشيد تقليد جعفر ديوان الخاتم[4] ، حيث تذكر بعض المصادر أن الخليفة الرشيد أراد تحويل ديوان الخاتم من الفضل إلى أخيه جعفر البرمكي، فتحرّج من الأمر فأمر أبيهم يحيى البرمكي بأداء هذه المهمة نيابة عنه، فكتب يحيى البرمكي إلى ابنه الفضل، "قد أمر أمير المؤمنين أن تحول الخاتم من يمينك إلى شمالك فأجابه الفضل، قد سمعت لما أمر به أمير في أخي، وما انتقلت عني نعمة صارت إليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه فقال جعفر، لله در أخي، أما أكيس، نفسه أو أظهر دلائل الفضل عليه، وأقوى منه العقل عنه، وأوسع في البلاغة ذرعه"[5] إن ما قام به الخليفة هارون الرشيد من تحويل الخاتم الذي يكنى به عن الوزارة من الفضل البرمكي إلى أخيه جعفر هو أنه أراد تحويل منصب الوزارة من الفضل إلى أخيه جعفر البرمكي، ليحل محله ويصبح وزيراً للخليفة هارون الرشيد.

كانت مدة وزارة جعفر البرمكي للخليفة هارون الرشيد سبع عشرة سنة[6] ، ثم

---

[1] المصدر السابق، ص225.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج2، ص ص680-692.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص215.

[4] المصدر نفسه، ص207، المقدسي، البدء والتاريخ، ج4, ص104، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص198-199، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج6، ص342، جوانتاين، المرجع السابق، ص98.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص207 ، القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، زهرة الآداب وثمرة الألباب، دار الجيل، بيروت، ط4، د.ت، ج1، ص419، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص198- 199 القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج6، ص342 ،.

[6] القرماني، المصدر السابق، مج2، ص86.

زاد الخليفة هارون الرشيد لجعفر مع الوزارة الملك حيث خصه بمقصورة عند مبيته في بيت الخليفة وبما تحتاج إليها من أثاث، وجواري، وأموال،وأعطاه خاتم الملك وأمره أن يختم به كيف أراد بأمره ورضاه[1] .

إن سلطات جعفر البرمكي التي بلغت ما لم يبلغه أحد سواه هي التي جعلته يدعى (بالسلطان) إشارة إلى عموم نظرة في أمور الدولة إذ لم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها ألا وظيفة الحاجب، ذلك أنها لم تكن له[2] .

لم يقتصر إيثار الخليفة وحبه لجعفر بن يحيى على ما ذكرنا فقد وَلاَّه مصر في سنة (176هـ/ 792 م)، وذلك عندما كثر تظلُّم أهل مصر من موسى بن عيسى الذي كان يتقلّدها للخليفة هارون الرشيد، فقد كثر التظلم منه واتصلت السعايات به، وقيل إنه قد استكثر من العبيد والعدة[3] ، فقام الخليفة هارون الرشيد بعزل الوالي موسى بن عيسي عن مصر ورد أمرها إلى جعفر بن يحيى بن خالد، فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران[4] ، وقد ذكرت بعض المصادر أن الخليفة ولى جعفر بن يحيى البرمكي على مصر بعد عزل موسى، فعلى هذا يكون عمر بن مهران نائباً عن جعفر، ولم يصل جعفر إلى مصر في هذه السنة، ولهذا لم يثبت ولايته أحد من المؤرخين[5] وقد ظلَّ جعفر في العاصمة بغداد إلى جانب الخليفة الذي كان يقدمه ويؤثره، تاركاً أمر الولايات التي عُهِدتْ إليه بإدارتها، أو على الأصح باستغلالها إلى مندوبين من قبله[6] .

وفي سنة (177هـ/793م) عزل الخليفة هارون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي عن ولاية مصر، ووَلَّى عليها إسحاق بن سلمان[7] .

---

[1] ذو النسبين، المصدر السابق، ص ص38-39.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، مج1، ص423.

[3] كلو، المرجع السابق، ص79.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص250، الجهشياري، المصدر السابق، ص217، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص91، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص ص181 -182، المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر،المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيه، مكتبة ملتزمة، القاهرة، د. ط، د.ت، ج2، ص96، ابن تغرى بردي، المصدر السابق، ج8، ص80، السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998م، مج1، ص511.

[5] ابن خياط، المصدر السابق، ص463، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص80.

[6] بروكلمان، المرجع السابق، ص187.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص255, ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص96، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص184.

استمر جعفر بن يحيى إلى جانب الخليفة بالعاصمة بغداد إلا أنه في سنة (180هـ/796م)، حينما نشبت الفتن والاضطرابات في بلاد الشام، هاجت العصبية بين أهلها وتفاقم أمرها فأغتم الخليفة الرشيد منها فعقد لجعفر بن يحيى على بلاد الشام[1] وخّيره بأنه إما يخرج الخليفة بنفسه إلى الشام، أو يخرج إليها جعفر البرمكي فأبى جعفر إلا أن يخرج بنفسه، ومعه على شرطته العباس بن محمد بن مسيب، وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة، وتمكنَّ جعفر من أن يصلح بين أهلها وقتص ممن كان السبب في هذه الفتن من الزوقيل وغيره، فعاد إليها الأمن والطمأنينة[2] ، وقد تغنىّ الشاعر منصور المري بشخوص جعفر البرمكي فقال:

لَقَدْ أُوقدَتْ بالشـّـَـام نَيرانُ فُتنَةٍ فهَـذا أَوانُ الشـامْ تُخْمدُ نَـارهُا

إذا جَاشَ مَوْجُ البحرمْنِ آل بَرمْكٍ عَليَهْـَا خَبَتْ شُهبْـانًا وشَرارَهـا

رمَاهَا أَمْـِيرُ المؤْمنِـينِ بجَعفْـر وفَـَيـهِ تَلاقَى صَدعْها وانجبارهُا[3]

ولمّا نجح جعفر البرمكي في إطفاء نيران الفتنة التي جرت بين القبائل العربية النزارية والقيسية في سنة (180هـ/796م)، وَلىّ جعفر بن يحيى صالح ابن سليمان مدينة البلقاء[4] وما يليها، واستخلف على الشام عيسي بن العكي، لكنه انصرف بعد ذلك[5]، مما يشير إلى أن جعفر البرمكي يفضل البقاء في العاصمة جنباً إلى جنب مع الخليفة الرشيد وهذا ما يعزز تحقيق طموحاته الشخصية[6] ،وقد عينه الخليفة الرشيد على خراسان وسجستان فأستعمل هو من قبله محمد بن حسين بنُ قحْطبُة[7] ، ويبدو أن تقلّده لخراسان وسجستان كان تقليداً اسمياً إذ لم يذهب إليهما[8] ، ولكن بعد عشرين

---

(1) خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6 ،ص550.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص140، الطبري، المصدر السابق، ج8، ص262، الجهشياري، المصدر السابق، ص ص208– 209، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103، الصفدي، المصدر السابق، ص ص262–227، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص188، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص29.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص262.

(4) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص489.

(5) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص263، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث سنة (181–190هـ)، ص99، الصفدي، المصدر السابق، ص227، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص189.

(6) بروكلمان، المرجع السابق، ص187.

(7) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103، ابن كثير، المصدر السابق، ج10, ص189، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص473.

(8) فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص61.

يوماً عزله الخليفة هارون الرشيد عن خراسان واستعمل عليها عيسى بن جعفر وعهد إليه في نفس السنة أمر الحرس (حرس الخليفة)[1] ، كما أخذ منه الخليفة هارون الرشيد ديوان الخاتم ودفعه إلى (أبيه) يحيى البرمكي[2] .

لَمّاَ شخص جعفر البرمكي من كل هذه المهام ، وقدم إلى الخليفة الرشيد ودخل عليه . فيما ذكر . فَقَبلَّ يديه ورجليه، ثم مثل بين يديه، وألقى خطبة قال فيها، "الحمد الله يا أمير المؤمنين الذي أنس وحشتي، وأجاب دعوتي، ورحم تضرعي، وأَخّرَ في أجلي، حتى أراني وجه سيدي، وأكرمني بقربه، وأمتنَّ على بتقبيل يده، وردَّني إلى خدمته، فوالله إن كنت لأذكر غيبي عنه ومخرجي والمقادير التي أزعجتني، فأعلم أنها كانت بمعاصي لحقتني وخطايا أحاطت بي، ولو طال مقامي عنك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك لخفت أن يذهب إشفاقاً..."[3] .

ولعل ما قام به جعفر البرمكي من جهود في إحباط فتنة الشام واستتباب الأمان والاستقرار في البلاد ما كان إلا بتنفيذ الخليفة هارون الرشيد، ولعل موقف جعفر البرمكي وخطبته تحتاج إلى وقفة؛ لا يمكن أن نعلم أسبابها ولعل الشيء المهم في هذه الخطبة هو أنه نسب كل ما حققه وأحرزه إلى الخليفة الرشيد الذي استطاع بتوجيهاته أن يصل إلى ذلك، بحيث نصل إلى الاستنتاج، أن مهمة جعفر البرمكي كانت خطة رسمها له الخليفة الرشيد[4] .

وفي سنة (182هـ/797م) وبعد مضى سبع سنوات من بيعة محمد الأمين، عهد الخليفة الرشيد بولاية عهده إلى ابنه عبد الله المأمون، ويقال إن جعفر البرمكي هو الذي أشار على الخليفة هارون الرشيد بإعلان البيعة باسم عبد الله المأمون كوريث ثانٍ للخلافة بعد محمد الأمين[5] وقد قام بالأمر حتى عقده له وشخص به من مدينة الرقة

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103، ابن كثير، المصدر السابق, ج10، ص189.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص262.

ANDRECLOT TRANSLATED HARUAL–RASHID and THE WORLD OF THE THOUSAND NIGHTS, LONDON, 1986, P37.

[4] حمادة، محمد ماهر، دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسوريا ومصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، ص119.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج 8، ص269، الجهشياري، المصدر السابق، ص211، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص107، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص194، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555، الدوري، العصر العباسي الأول،

إلى مدينة السلام فأكد البيعة، وأخذ الأيمان على بني هاشم، وكاتب العمال في جميع النواحي بذلك، ثم انصرف إلى مدينة الرقة[1] .

وفي سنة (186هـ/802م)، خرج الخليفة هارون الرشيد حاجّاً ومعه وليا عهده الأمين والمأمون، ورافقه أيضاً يحيى البرمكي وابناه الفضل وجعفر، كما رافقه الأمراء، ورجال الدولة، وأعيان الحاشية، وجُدد العقد وعلقه على الكعبة[2] .

ويروى أن الأمين لما حلف للخليفة الرشيد بما حلف له به ورد من الكعبة جاءه جعفر بن يحيى وقال له: "فإن غدرت بأخيك خذلك الله" حتى فعل ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة يحلف له، ولهذا السبب غضبت أم جعفر من جعفر بن يحيى فكانت أحد من حرض الخليفة الرشيد على أمره ،وشجعه على ما فعله بهم[3] .

إن تأكيد جعفر البرمكي على ولي العهد الأمين، أيمانه حين غلق كتاب العهد وتحذيره إياه من نكث العهد والأيمان بقوله: "فإن غدرت بأخيك خذلك الله" هذا الأمر دلالة على محاولة جعفر البرمكي الحفاظ على نفوذه الفارسي، خاصة و أن أم المأمون فارسية، حيث أخذته النعرة القومية إلى الميل إلى المأمون وإقناعه للخليفة هارون الرشيد بأخذ البيعة له بعد أحيه الأمين[4] .

هكذا أصبح جعفر وصيًّا على المأمون، الذي كان من خلال توقعه أن تبقي السلطة طويلاً بين يدي آل برمك، ولكن الخليفة الرشيد لم يسمح بذلك وأنزل تلك العقوبة التي سنتحدث عنها في الفصل الرابع فيما بعد.

لقد شرف الخليفة هارون الرشيد جعفر البرمكي بامتيازات ذات أهمية معنوية ومادية كبيرة[5] ، فأشركه معه في النظر في المظالم ورد التجاوزات، مما لم يسبقه إليه

ص ص126-127، الخضري، المرجع السابق، ص79.

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص269، الجهشياري، المصدر السابق، ص211، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص107، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص194.

[2] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص ص415-416، الطبري، المصدر السابق، ج8، ص179، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص112-113، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص202، المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج الخلفاء والملوك، مكتبة الخانجي، القاهرة، د .ط، 1955م، ص51.

[3] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص335.

[4] الفقي، عصام الدين عبد الرؤف، معالم التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص196.

[5] الدوري، النظم الإسلامية، ص222.

أحد[1] ، حيث كان يجلس ابنه معه في المظالم [2] كما قلده بريد الآفاق في جميع الكور[3] ، وضم إليه الخليفة أيضاً ديوان الرسائل[4] ، وقلده الإشراف على دور الطرز[5] ، وهذا الأمر جعل جعفر البرمكي يستحدث بعض الأزياء العصرية، فقد استحدث لطول عنقه نوعاً من الأطواق سميت (الجربانات) لم يسبقه إليه أحد[6] ، حيث كان الناس في ذلك الوقت ينسبونها إلى ابن برمك يقولون: (جربانات برمكية)[7] ، كما قد أشرف على دور الضرب عامة[8] ، فقد كان الخليفة هارون الرشيد أول من ترك النظر في عيار دار الضرب من الخلفاء وعهد بذلك إلى جعفر البرمكي في ضرب الدرهم والدنانير، وهذا مما أظهر ونوه باسم جعفر بن يحيى البرمكي إذ هو شيء لم يُشرّف به أحد قبله[9] حيث إن اسمه ظهر على السكة التي ضربت في الشرق منذ سنة (176هـ/792م)، ثم على السكة التي ضربت في الغرب بعد ذلك[10] ، كما أن الخليفة أمر بأن ينقش اسم جعفر البرمكي على دنانير الصلاح والأفراح بمدينة السلام والمحمدية[11][12] ، وظهر اسم جعفر أيضاً على القطع النقدية في إقليم فارس أولاً ثم في أقاليم المغرب[13] ، وقد وصف بعض المستشرقين عن بعض العملات التي يرجع سكها إلى سنوات (177–186 هـ /793–802م)، من أماكن بعيدة عن بعضها

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص204، فوزي، العباسيون الأوائل، ص578، الصالح، صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، د. ت، ص299، كلو، المرجع السابق، ص79.

[2] كلو، المرجع السابق، ص79.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص204.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج6، ص442.

[5] دور الطرز، وهو الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة للخلفاء، وهو فارسي معرب، ابن منظور، المصدر السابق، مج4، ص655.

[6] كلو، المرجع السابق، ص79.

[7] الجهشياري، المصدر السابق، ص214، كلو، المرجع السابق، ص79.

[8] الجهشياري، المصدر السابق، ص204، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

[9] الدوري، العصر العباسي الأول، ص127، فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص161.

[10] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

[11] المحمدية، قرية من نواحي بغداد من كورة طريق خراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج5 ،ص64.

[12] الجهشياري، المصدر السابق، ص204، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555، فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص161، الدوري، العصر العباسي الأول، ص127، الصالح، المرجع السابق، ص299.

[13] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص61.

مثل زرنج[1] وكرمان الري وبغداد والرافقة[2] تحمل اسم جعفر البرمكي وبذلك أصبح صاحب مقام رفيع لا يوجد قبله من نال مثل هذا الشرف، وذلك لأن اسم حكام الولايات الشبه مستقلة عن الخلافة يكتب عادة على العملات إلى جانب اسم الخليفة، ولكن من المستثنى تماماً أن نجد هذا الامتياز الذي يتمتع به الخليفة يشاركه فيه واحد من ولاته في عدد من العملات المتداولة في ولايات مختلفة[3] .

وصف جعفر البرمكي بأنه كان كاتباً بليغاً، وكانت له توقيعات جميلة[4] ، حيث كانت كتب وتوقيعات الخلفاء والرؤساء قبل أيام الخليفة الرشيد تجرى على أن يوقع الرئيس في القصة بما يجب ويذكر المعاني التي يأمر بها، ولم يكن للكتَّاب في ذلك الأمر أكثر من أن يكتبوا على جمل التوقيع ألفاظاً تشرحها، وتقرب من العامة فهمها من دون أن تخرج عن المعنى الذي قصده الرئيس، وكان ذلك إلى أيام الخليفة الرشيد؛ وذلك لأن المتظلمين كثروا على باب جعفر، وتأخر جلوسه أياماً، ثم جلس وكانت القصص قد كثرت، فنقض أكثرها، وجاء رسول الخليفة يأمره بالمسير إليه، فقال الرسول: "قل له يا سيدي، الساعة أجئ، ونظر فيما بقى، فجاء الرسول ثانية ليستحثه، وكان في القصص قصة طويلة، دقيقة الخط، رديئة، فوافاه الرسول وهي في يده وأعجله أن يستتمها، وكان يحتاج في فهمها إلى مدة، وقد نظُر إليها في يده، أن تطُرح فيما لم ينظر فيه، فوقع على ظهرها، ويُعمل في ذلك بما يعمل في مثله على سنن الحق وقَصْده، وجهه الأنصاف وسبيله إن شاء الله، فورد على الكُتَّاب من ذلك ما لم يرد مثله، وامتثلوه، ثم سار ذلك رسماً للرؤوساء"[5] .

ويروى أن على بن عيسي بن يزدانبروذ جلس للمظالم فوقَّع ألف قصة ونيف، ثم أُخْرِجَتْ فعُرضت على العمال والقضاة والكُتَّاب وكُتَّاب الدواوين، فما وجد فيها شيئاً

---

(1) زرنج، مدينة وهي قصبة لسجستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص138.

(2) الرافقة، هي الرقة القديمة المجاورة للرقة الجديدة، وهي البلد التي على شاطئ الفرات, ابن العماد الحنبلي, المصدر السابق,ج2,ص25.

(3) جوانتاين، المرجع السابق، ص99.

(4) الجهشياري، المصدر السابق، ص204، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص204.

(5) الجهشياري، المصدر السابق، ص ص210-211.

مكرراً ولا شيئاً يخالف الحق، وهكذا أصبحت توقيعاته تنسخ وبلاغاته تدرس[1] ، وكان من شدة اهتمام جعفر البرمكي بالتوقيعات وصلت لدرجة أنه كان يقول لكُتَّابه: "إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا"[2] .

ويروى أنه إلى جانب اهتمام جعفر البرمكي بالأمور الإدارية فقد كان مولعاً بالغناء والشعر، يعزف على الآلات، ويدعو إلى منادمته خيرة الشعراء والمغنين والمغنيات، ويجزل لهم العطاء، ويذكَّرهم بالخير لدى الخليفة، ويذود عنهم كلما حاول الخصوم السعاية بهم ، فكان لهم مواقفهم معه والدفاع عنه، حتى إن أحدهم وهو أبو زكار المغني[3] ، ذهب به الأمر إلى حد أنه أقدم على طلب المشاركة في محنة سيده جعفر البرمكي عندما أمر الخليفة الرشيد بضرب عنقه[4] .

كما كان لجعفر البرمكي مجلس للمنادمة يجلس للشراب فيه وفيه ندماؤه الذين يأنس بهم، ولم تكن مجالس الوزراء مع الندماء تخلو من النوادر والطرائف التي تملؤها البهجة والسرور ولما علم الخليفة الرشيد ما يجرى في هذه المجالس اقتسم الندماء مع جعفر بن يحيى البرمكي[5] .

وقد حفلت المصادر التاريخية بالكثير من الروايات التي تشير إلى سلطان البرامكة أيام جعفر البرمكي وأخبارهم التي بلغت مرحلة تعدت الواقع إلى ما يشبه الأسطورة[6] ، وكانت تجعل منه أعظم أهل بغداد، حيث يذكر المستشرقون، أنه عندما كان يمر جعفر البرمكي بشوارع مدينة بغداد، كان سكان المدينة يهتفون له بالتحية، والغالب على الظن أن ما أحرزه من هذه الشهرة هو الذي ساعد إلى حد بعيد على التعجيل بنهايته[7] ، إذ أنه في ذروة السلطة هذه أوقع الخليفة الرشيد بالبرامكة

---

[1] المصدر نفسه، ص211.

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د.ت، ج1، ص115.

[3] أبو زكار، هو من قدماء المغنين العميان في بغداد ، وكان منقطعاً الى آل برمك يؤثرونه ،ويغدقون عليه العطايا، أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق، ج6 ، 446.

[4] كلو، المرجع السابق، ص80.

[5] عبد الحكيم، أماني محمد، ندماء الخلفاء في العصر العباسي الأول (132-232هـ/749-846م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، 2007، ص49.

[6] زكار، سهيل، تاريخ العروبة والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1975م، ص259.

[7] كلو، المرجع السابق، ص81.

انقلاباً دموياً صفاهم به مع أعوانهم[1] .

وكان إلى جانب يحيى وابنيه الفضل وجعفر ابنان آخران محمد وموسى وقد كانا أقل من ذلك تألقاً، إلا أنه كان لهما شأن في البلاط[2]، فقد تولى موسى بن يحيى أمر الشام سنة (186هـ/802م) بأمر من الخليفة هارون الرشيد، وذلك عندما هاجت الفتن والعصيان قبل الحادثة التي ذهب فيها أخوه جعفر وضم إليه من القواد والأجناد ومشايخ الكتاب جماعة، فلما ورد الشام، وأقام بها حتى أصلح بين أهلها، وسكنت الفتنة فيها واستقام أمرها، فانتهى الخبر إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة السلام فرد الحكم فيها إلى يحيى بن خالد، فعفى عنهم وعما كان بينهم وأقدمهم بغداد[3] ، فقيل في موسي بن يحيى:

قَـدْ هـَاجَتْ الشَّـامُ هيَجْـا يشـُـيبُ رَأْسَ وَلَيـــدهْ
فَصـبَّ مَوْسَـى عَلَيَـْهـَا بخَيـــْـله وجُنُـــودهْ
فَدانـَت الشّـــامُ لَمـــّا أَتـَـى نسَـــيَجَ وَحيـــدهْ
هُـوَ الجَـوَادُ الـّذي بـــدَّ كُـــلُّ جـــوُد بجُـــودهْ[4]

وقيل فيه أيضاً :

أَتَي الشَّامَ مَوْسَى أَخوُ المَكْرمُاَتِ فَأَحيْـاَ مـنَ الشَّامِ مَا كَانَ مَاتَا
فَتَى برَمْكَ فيِ النَّدى واللَّقـــاء نَهـَاراً صبَـَاحَا وليْلاً بيَـاتا[5]

وقد اتهمه على بن موسى بن ماهان أمير خراسان من قبل الخليفة الرشيد بأنه هو السبب في اضطراب خراسان عليه، وأعلمه طاعة أهلها لموسى ومحبتهم إياه، وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلال إليهم للوثوب معهم، فوقر ذلك في نفس الخليفة الرشيد عليه وأوحشه منه، فلما قدح علي بن عيسي فيه أسرع ذلك في الخليفة الرشيد وعمل فيه القليل منه ثم ركب موسى دين واختفى من غراماته فتوهم أنه سار إلى خراسان كما

---

(1) زكار، المرجع السابق،ص259.

(2) خورشيد، وآخرون،المرجع السابق، مج6، ص558.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص251، الصفدي، المصدر السابق، ص231، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص181، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص558.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص251، ابن كثير، المصدر السابق، ج 10, ص181.

(5) الصفدي، المصدر السابق، ص230.

قيل له، فلما سّار إلى الحيرة في حجة سنة (187هـ/802م) وافاه موسى البرمكي من بغداد، فحبسه الخليفة الرشيد بالكوفة عند العباس بن عيسى بن موسى وشفعت أمه به عند الخليفة الرشيد، ولم يكن الخليفة الرشيد يردها في شيء، فقال يضمنه أبوه، فقد رفع إليه فضمنه يحيى البرمكي ودفعه إليه، ثم رضي عنه الخليفة الرشيد وخلع عليه[1] .

وأما محمد بن يحيى البرمكي، فكان قوياً بعيد الهمة لم يكن له من الشهرة ما لأخوته[2] ، فقد تولى حجابة الخليفة هارون الرشيد، وذلك ابتداء من سنة (172هـ/788م)[3] ، وظَلَّ محمد في هذا المركز الحساس حتى صرفه الخليفة الرشيد عنه في سنة (179هـ/795م) وقلده للفضل بن الربيع[4].

وثق الخليفة الرشيد بالبرامكة وفوض إليهم أمور دولته، فوثق بهم الناس وثوق خليفتهم ونظم الشعراء القصائد الرائعة في مدحهم والتغني بكرمهم، وقد أشاد ابن طباطبا بذكرهم فقال: "كان يحيى وبنوه كالنجوم الزاهرة، والبحور الزاخرة، والغبون الماطرة وأسواق الأدب عندهم نافقة، ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية، والدينا في أيامهم عامرة، وأبهة المملكة ظاهرة، وهم ملجأ اللهف، ومعتصم الطريد"، وفهم يقول أبو نواس:

سَلاَمُ على الدُّنيْاَ إذَا ما فُقْدتُّم بنَيِ بَرمَكٍ مِنْ رائِحينَ وَغَادِ[5]

أما المؤرخ المسعودي فقد وصفهم بمدحه لهم فقال:" لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جود ورأيه وبأسه، ولا يحيى في رأيه ووفور عقله، ولا الفضل في جوده وبراعته، ولا جعفر بن يحيى في كتابه وفصاحته، ولا محمد بن يحيى في مروءته وبعد همته، ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه"[6] ، ويقول أبو الغول الشاعر:

---

(1) الخضري، المرجع السابق، ص79، الفاوي، المرجع السابق، ص40.

(2) الخضري، المرجع السابق، ص79.

(3) الجهشياري، المصدر السابق، ص233، الدواداري، المصدر السابق، ج5، ص153.

(4) الجهشياري، المصدر السابق، ص233.

(5) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص191.

(6) المصدر السابق، مج2، ص347.

أَوْلاَد يحَيْـَى بـن خَـالدَ وهُـمُ أَرْبَعَـةٌ سَـيّدٌ وَمتَبْـوعُ
الخَيْـرُ فيهـْم إذَا سَـأَلْتَ بِهِمْ مُفَـرّقٌ فِيهـِم وَمَجمْـُوعُ[1]

إلا أن البرامكة على ما يبدو أبطرتهم النعمة وغرتهم المناصب والمراكز الخطيرة في الدولة العباسية[2] ، والتي كان توزيعهم على هذه المناصب لم يكن عفوياً، بل أن الباحث يرى إن هذا التوزيع كان يستهدف محاصرة الخليفة هارون الرشيد والإحاطة به من كل جانب حتى لا يتحرك إلا من خلال أسرة البرامكة، والجميع يعملون من أجل غاية واحدة وهي أن تكون لهم من الناحية العملية دولة الخليفة الرشيد[3] ، فأخذوا يتصرفون في الأمور من دون الرجوع إلى الخليفة، مطلق لهم العنان وخصوصاً قبل وفاة الخيزران سنة (173هـ/789م)، حيث بدأ نجم البرامكة يأفل بعد وفاتها، وبدأت مراقبتهم[4] على أن الخليفة الرشيد وعلى الرغم من تفويضه الأمور إلى الأسرة البرمكية، فإنه كان يعمل على أن يحتفظ بمكانته الخاصة بين رعاياه، فقد كان اتصاله بجمهور المسلمين عن طريق حجه المستمر، فكان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته إلا سنين قليلة، وإذا ما خرج للحج، صحبه كبار العلماء ورجال الدولة، فيسير الخليفة في مواكب عظيمة مجتازاً المسافة بين بغداد ومكة، وكان الخليفة الرشيد يوزع الهدايا على أهالي المناطق التي يمر بها، وإذا وصل إلى مكة والمدينة، وَزَّعَ الهبات والأموال على فقرائها، وكان يتصدق كل يوم بألف درهم على الفقراء، كما اكتسب محبة المسلمين بغزواته التي شنها على البيزنطيين، ولم يكن الخليفة الرشيد الذي أراد أن يثبت مقدرته وقوة إيمانه بالحج والغزو ليقبل بسلب البرامكة لجماهير الناس من حوله فتغَّير عليهم[5] .

هذه هي دولة الخليفة الرشيد أو دولة البرامكة في داخل دولة الخليفة الرشيد، وقد استمرت سيطرة البرامكة على مدى السنوات التسع الأولى من خلافة الخليفة

---

[1] المصدر نفسه ، مج2،ص347.

[2] الناطور، شحادة وآخرون، الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، الأردن، د.ط، 1990م، ص271.

[3] عمرو، المرجع السابق، ص266.

[4] الناطور وآخرون، المرجع السابق، ص271.

[5] بيطر، المرجع السابق، ص149.

هارون الرشيد، ثم بعد ذلك بدأ الخليفة الرشيد في خطته المضادة والهادفة إلى تخليص الدولة العباسية من تحكم البرامكة، وكانت الجولة الأخيرة لهم حين قضى عليهم في سنة (187هـ/802م)[1] كما سنرى فيما بعد.

[1] عمرو، المرجع السابق، ص267.

الفصل الثالث

عوامل وأسباب تدهور مكانة البرامكة

المبحث الأول – العامل السياسي.

المبحث الثاني – العامل الاقتصادي.

المبحث الثالث – العامل الديني.

المبحث الرابع – العامل الشعوبي.

المبحث الخامس – عوامل أخرى.

كان الخليفة الرشيد قد أفسح المجال للبرامكة للمشاركة في الحكم [1] ؛ حيث أوردت أغلب المصادر بأنه عندما قلَّد الخليفة يحيى البرمكي منصب الوزارة، قال له:

"قد قلَّدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي، إليك فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، وافرض من رأيت وأسقط من رأيت، فإني غير ناظر معك في شيء"[2] ، مما يشير إلى سعة سلطانه، يفعل ما يريد، يعزل ويعين ويجمع ويفرق كيفما يشاء[3] . وبذلك وثق الخليفة الرشيد بالبرامكة، وفوض إليهم أمور دولته، فوثق بهم الناس وثوق خليفتهم، ونظم الشعراء القصائد الرائعة في مدحهم والتغني بكرمهم[4] ، حيث تغنى بهم فحول الشعراء ومنهم أبو نواس:

سَلاَمْ عَلى الدُّنيَا إِذَا مـــا فُقدتِمْ بنَي برْمَكٍ منْ رَائحِينِ وَغَادِ[5]

كما أشاد بهم المؤرخون وذكروهم، منهم صاحب كتاب الفخري الذي قال عنهم:

"كان يحيى وبنوه كالنجوم الزاهرة، والبحور الزاخرة، والعيون الماطرة، أسوق الأدب عنهم نافقة، ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية، والدنيا في أيامهم عامرة، أبهة المملكة ظاهرة، وهم ملجأ اللهف ومعتصم الطريد"[6] .

فالعهد الأول للخليفة هارون الرشيد يتسم بحكم البرامكة، ويأخذ صفته منهم؛ لأن لهم التحكم به، وهم أصحاب أمره، والخليفة كان يجاريهم فيه، ويوافقهم على ما يتخذونه من أعمال، لأن ما حدث في هذا العهد يوافق طبع الخليفة الرشيد، ويوافق ميوله في الرفق بالناس ومحبتهم والعفو عنهم، والرغبة في إرضائهم، لكن ما فعل في هذا العهد، إنما هو عمل البرامكة بالذات، فهم الذين يحلون المشاكل، وهم الذين يتصدون للأعمال، وهم الذين يسَّيرون الدولة[7] ؛ لذا نال البرامكة من النفوذ والسيطرة

---

[1] العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط1، د.ت، ص64.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص233، الجهشياري، المصدر السابق، ص177، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص82، ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص221، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص173، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص65، كلو، المرجع السابق، ص55 .

[3] العش، المرجع السابق، ص148.

[4] بيطر، المرجع السابق، ص191.

[5] أبي نواس، الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1984م, ص473، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص191 .

[6] المصدر نفسه، ص191.

[7] العش، المرجع السابق، ص64.

والجاه والمنزلة ما لم تحظ به أسرة أخرى في تاريخ الدولة العباسية[1] ، واستمر سلطان البرامكة وأيامهم النضرة الحسنة التي بلغت منذ استخلاف هارون الرشيد سبع عشرة سنة وسبعة أشهر[2] ، حتى شبهت بدولة داخل دولة الخليفة الرشيد وهم ملوكها[3] .

وعلى الرغم من الدور الذي لعبه البرامكة في خلافة الرشيد؛ فإنه لم يكن غافلاً عن تصرفاتهم، بل كان يراقبهم بدقة، وأخذ يشّذبهم بالتدريج بعد وفاة أمه التي كانت حليفتهم[4] .

لم يحسن البرامكة استعمال السلطة، وتجاوزوا على سلطان الخليفة، واستأثروا بالحكم دونه، ووزَّعوا الأموال على الأتباع والأعوان والأنصار، حتى بلغت شهرتهم شهرة الخليفة الرشيد، وتضاءل نفوذه بالنسبة لنفوذهم، وقد فطن الخليفة لذلك؛ إذ أن البرامكة بما ظفروا به من سلطان أصبحوا سيفاً مسلطاً عليه[5] ، وقد عبر عن ذلك لأحد ندمائه بقوله: "ما عدا البرامكة بني هاشم إلا عبيدهم وأنهم هم الدولة، وأن لا نعمة لبني العباس إلا و البرامكة أنعموا عليهم بها"[6] . من هنا يمكننا أن ندرك مبلغ خطر هذه الأسرة (البرمكية) التي وثق بها الخليفة، وفوض إليها أمور دولته[7].

إن ما وصل إليه البرامكة هو الأمر الذي عجل بزوالهم؛ حيث نرى أن الخليفة الرشيد قَرّرَ استئصال شأفتهم، وهو ما عرف بـ(بنكبتهم) كناية عن إبعادهم عن السيطرة والنفوذ والغنى[8] ، وأخيراً تخلص منهم بعد سبعة عشر عاماً سنة (187هـ/803م)[9] ؛ ولم يكن هذا العمل بدعة في الدولة العباسية، فإن للخليفة المنصور والمهدي سلفاً في ذلك، فقد أوقع الخليفة المنصور بوزيره أبي أيوب المورياني، وقتله وأقاربه، واستصفى أموالهم لخيانة مالية، اطلع عليها منهم، وأوقع الخليفة المهدي بوزيريه أبي عبد الله معاوية بن يسار ويعقوب بن داود، لوشاية كانت بهما، مع نزاهة الأول وحسن سيرته،

---

[1] سالم، المرجع السابق، ص137.

[2] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص358.

[3] ماجد، المرجع السابق، ص197.

[4] الدوري، النظم الإسلامية، ص224.

[5] سالم، المرجع السابق، ص ص137-138.

[6] الأتليدي، المصدر السابق، ص245.

[7] الفاوى، المرجع السابق، ص40.

[8] ماجد، المرجع السابق، ص197.

[9] الدوري، المرجع السابق، ص224.

ومع ما كان للخليفة المهدي من الولع بالثاني، حتى كتب للجمهور أنه اتخذه أخاه في الله، وكل هذا قد سُبِقَ به الخليفة الرشيد[1] .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا بطش الخليفة الرشيد بالبرامكة بعد أن وصلوا إلى هذا المقدار من القوة والسلطان، وبعد أن ساهم في إبرازهم واحتلالهم هذه المكانة؟[2]

إن نهاية البرامكة وزوال نعمتهم على يد الخليفة الرشيد كانت مثار جدل طويل[3] ؛ لذا اعتبرت قضية البرامكة، ومصيرهم من أهم القضايا التي عالجها المؤرخون القدامى والمحدثين؛ فقد ذهب الكثير منهم مذاهب شتى، كل حسب اعتقاده وقناعته، مثبتين وجهة نظرهم تلك بالروايات والحجج التاريخية[4] .

وعلى الرغم من الاهتمام بهذه الحادثة، فأن أسبابها ودوافعها ظلت غامضة ومجهولة[5] ، وقد اعترف المؤرخون أنفسهم بذلك، فيقول اليعقوبي: "والناس في أسباب السخط عليهم مختلفين"[6] ، ويقول الطبري: "أما سبب غضب الرشيد على البرامكة فإنه مختلف فيه"[7] ، ويقول المسعودي: "اختلف في سبب ذلك"[8] ، وأما أبو الفداء فيذكر: "وقد اختلف الناس في سبب ذلك"[9] ، وبذلك كثرت الأسباب التي علل بها المؤرخون ما قام به الخليفة الرشيد ضد البرامكة، فقد كان أحدهم أباه، والآخر أخاه في الرضاع، والثالث أخص المقربين إليه دون سائر أتباعه[10] .

ويبدو أن سر غموض الأسباب التي أدت إلى نهاية البرامكة يرجع في الأساس إلى أن الخليفة الرشيد هو الوحيد الذي كان يعرف أبعاد هذه الحقيقة، ولم يبح ولم يشر من قريب أو من بعيد، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى السبب الذي استحق من أجله

---

[1] الخضري، المرجع السابق، ص80.

[2] زكار، المرجع السابق، ص259.

[3] كلو، المرجع السابق، ص132.

[4] بيطر، المرجع السابق، ص149.

[5] العبادي، المرجع السابق، ص85.

[6] المصدر السابق، مج2، ص422.

[7] المصدر السابق، ج8، ص287.

[8] المصدر السابق، مج3، ص348.

[9] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مكتبة المثنى، القاهرة، ط1، د.ت، مج1، ص16.

[10] كلو، المرجع السابق، ص132.

البرامكة أن ينتهوا بهذه الطريقة[1] ، حيث حكي أن أخته عُليُة سألته يوماً: "يا سيدي ما رأيت لك يوم سرور تام منذ قتلت جعفر، فلأي شيء قتلته؟ فقال لها: يا حياتي لو علمت قميصي يعلم السبب في ذلك لمزقته، وأعادت عليه السؤال في غير مرة ذات يوم، فأجابها لو بلغني أن يدي اليمنى تعلم السبب لقطعتها"[2] .

وإزاء هذا الصمت المتعمد من قبل الخليفة هارون الرشيد نحاول قدر الإمكان التعرف على الأسباب الحقيقية من خلال استقراء روايات المصادر التاريخية التي بين أيدينا، والتي لم تكن محل اتفاق بين المؤرخين، بل إن بعضها تعرضت للنقد والتجريح حيناً، ورجح بعضها على البعض الآخر أحياناً[3] .

وبهذا يمكننا القول إن تدهور مكانة البرامكة ونهايتهم، لم تكن أحادية السبب، بل كانت نتيجة لأسباب وعوامل عدة يمكن إجمالها فيما يأتي:

المبحث الأول / العامل السياسي:

أظهر البرامكة ميولاً سياسية خطيرةً على سلامة الدولة[4] ، حيث أنهم أبطرتهم النعمة وغرّهم المنصب، فأخذوا يتصرفون في الأمور من دون الرجوع إلى الخليفة[5] وخير مثل على ذلك تعاطف البرامكة مع العلويين، ويرتبط تاريخ البرامكة من هذا التعاطف أكثر من قصة تاريخية، منها قصة يحيى بن عبد الله العلوي[6] ، حيث تروي المصادر الإسلامية عن يحيى البرمكي، أنه بعث إلى الثائر العلوي في بلاد الديلم ابتداء من سنة (177هـ/788م) مائتي ألف دينار، وقد أقر يحيى البرمكي بهذه الحقيقة

---

(1) عمرو، المرجع السابق، ص270.

(2) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص422، الصولي، أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1982م، ص57، كلو، المرجع السابق، ص ص132-133، اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن سليمان المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص24.

(3) الدواداري، مخطوط، ص151، الدوري، العصر العباسي الأول، ص130، سالم، المرجع السابق، ص138، الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص108.

(4) الدوري، العصر العباسي الأول، ص130، سالم، المرجع السابق، ص138، الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص108.

(5) الناطور وآخرون، المرجع السابق، ص271.

(6) عمرو، المرجع السابق، ص380، كحيلة، عبده، العقد الثمين في تاريخ المسلمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، 2001م، ص194.

للخليفة الرشيد نفسه، غير أنه أعطى لذلك تبريراً غريباً، فقد برر هذا التصرف بأنه يستهدف من وراء هذه المساعدة المالية أن يقوي الثائر العلوي، حتى إذا تغلب عليه الفضل بن يحيى بعد ذلك فإن تغلبه يكون حينئذ أدعى للمزيد من تقدير الخليفة لجهوده، أو كما يروي الجهشياري على لسان يحيى البرمكي: "أردت أن تقوى شوكة يحيى بن عبد الله فيظفر به الفضل بعد قوته فيكون أحضى له عندك"[1] ، ويرى البعض أن هذا التبرير بعيد عن الواقع والمنطق[2] ، ويعزز ذلك رفض الخليفة الرشيد قائلاً: "فما يؤمنك أن تقوى شوكته فيقتل الفضل ويقتلني"[3] ، ومما لا شك فيه أن منطق الخليفة الرشيد أقوى بكثير من منطق يحيى البرمكي خاصة أن الخليفة الرشيد قد اكتشف أن جعفر البرمكي قد أطلق الثائر العلوي من محبسه من دون علمه[4] .

ويقول الطبري عند إيراد هذا الرواية: "ذكر أبو محمد اليزيدي وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم: من قال إن الخليفة الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب، يحيى بن عبد الله بن حسن فلا تصدقه، وذلك أن الخليفة دفع يحيى إلى جعفر البرمكي فحبسه، ثم دعا به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره، فأجابه: اتق الله في أمري، ولا تتعرض أن يكون خصمك غداً محمد ﷺ فوالله ما أحدثت حدثنا، ولا أويت محدث، فرق عليه، وقال له: اذهب حيث شئت من بلاد الله، قال: وكيف أذهب، ولا امن أن أوخذ بعد قليل فأرد إليك أو إلى غير ذلك ! فوجه معه من أداه إلى مأمنه، وبلغ الخبر الحاجب الفضل بن الربيع من عين كانت له عليه من خاصة خدمه، فرأى الأمر، فوجده حقاً، وانكشف عنده، فدخل على الخليفة الرشيد فأخبره، فأراه أنه لا يعبأ بخبره، وقال: ما أنت وهذا إلا أم لك، وجاءه جعفر البرمكي فدعا بالغداء فأكلا، وأثناء حديثهم سأل الخليفة جعفر البرمكي عن يحيى بن عبد الله، فأجابه جعفر البرمكي بأنه لازال في السجن مكبلاً...."[5] إلا أن جعفر البرمكي بذكائه شعر أن الخليفة قد علم

---

[1] المصدر السابق، ص343، سرهنك، إسماعيل، حقائق الأخبار من دول البحار، المطبعة الأميرية، بولاق، ط1، د.ت، ص231.

[2] عمرو، المرجع السابق، ص281.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص343.

[4] المصدر نفسه، ص343.

[5] المصدر السابق، ج8، ص289، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص114، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص202، ابن كثير، المصدر السابق,ج10, ص204، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص115.

شيء من أمر يحيى بن عبد الله العلوي، الأمر الذي جعله يقر للخليفة بحقيقة الأمر، وذلك عندما قال له: "لا وحياتك يا سيدي ولكن أطلقته وعلمت أنه لا حياة به ولا مكروه عنده" ولما خرج جعفر من مجلس الخليفة اتبعه بصر الخليفة حتى كاد يتوارى عن وجهه، ثم قال: "قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك"[1] .

وفضلاً عن قصة يحيى بن عبد الله العلوي مع البرامكة، فهناك من الروايات التاريخية ما يؤكد تعاطف البرامكة مع العلويين وتحيزهم إلى جانبهم، وتشير الروايات التاريخية إلى أن يحيى البرمكي قد بعث بمبلغ سبعين ألف دينار إلى الثائر العلوي أحمد بن عيسى بن زيد[2] ، وفي عام (179هـ/795م) ألقى الخليفة هارون الرشيد القبض على الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وكان قد سمع أنه يتلقى من شيعته خمس المال وأنه يهيئ نفسه للخروج، فألقى القبض عليه، وأتى به إلى مدينة بغداد وسلمه إلى البرامكة، فاحتفوا به وأكرموه إكراماً جزيلاً، فلقي عندهم أحسن ما يتمنى[3] ، هذا على الرغم من تشديد الخليفة عليه بضرورة مضايقة وتعذيب الثائر العلوي[4] ، حيث نرى أن الفضل بن يحيى البرمكي رفض أمر الخليفة الرشيد القاضي بقتل الإمام موسى بن جعفر، إذ دفع الخليفة الإمام موسى بن جعفر إلى الفضل بن يحيى، وأراد منه أن يقتله، فلم يقتله، بل أبقاه عنده وأحسن إليه فغضب الخليفة الرشيد، وأرسل إلى السندي بن شاهك[5] ببغداد وأمره أن يجلد الفضل فضربه مئة سوط، وقال: "أيها الناس إن الفضل بن يحيى قد عصاني، وخالف طاعتي فرأيت أن ألعنه، فالعنوه"، ولعنه الناس من كل ناحية، حتى ارتج البيت والدار بلعنه[6] .

ويروى أيضاً أن الخليفة الرشيد أخذ الفضل بما أبداه من تساهل مع العلوي

---

(1) المصدر السابق، ج8، ص289، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص114، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص202، ابن كثير، المصدر السابق,ج10, ص204، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص115.

(2) الجهشياري، المصدر السابق، ص243.

(3) العش، المرجع السابق، ص66.

(4) عمرو، المرجع السابق، ص282.

(5) السند بن شاهك، هو احد قواد الكبار للخليفة الرشيد ورئيس شرطته وكان متولي ديوان الزندقة للخليفة الرشيد, ابن العمراني, محمد بن علي بن محمد، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، د.ط، د.ت، ص83.

(6) فرج، المرجع السابق، ص62، الدوري، العصر العباسي الأول، ص183، كلو، المرجع السابق، ص ص139-140.

الحسين بن طباطبا[1][2] ، ويؤيد الجهشياري هذه الروايات، إذ يقول: "ثم ظهر من الخليفة الرشيد سنة (183هـ/799م) سخط على الفضل بن يحيى فشخص إلى مدينة الرقه ومعه أمه، فرض عنه، ولم يرد إليه شيئاً من أعماله"[3] .

ويرى فريق آخر من المؤرخين المحدثين أن هذه الروايات التي تدعي أن سبب سقوطهم هو ميلهم إلى العلويين، هي روايات ضعيفة موضوعة، وليس لها ما يبررها، كما أن البرامكة يظهرون في روايات أخرى وكأنهم أعداء للعلويين[4] ؛ لأن هناك براهين عديدة تشير إلى الجفاء الذي كان يسود العلاقات البرمكية العلوية، حتى إن البرامكة كانوا يكيدون بهم ويدبرون المؤامرات للقضاء عليهم، فيحيى ابن خالد هو الذي أغرى علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بالمال حتى سعى بعمه الإمام موسى بن جعفر إلى الخليفة الرشيد، وهذه السعاية كانت سبباً لإلقاء القبض على موسى بن جعفر، حتى قتله فيما بعد، ولما فرّ إدريس بن عبد الله بن الحسن[5] من الحجاز إلى المغرب الأقصى عبر مصر، ناجياً من موقعة الفخ سنة (170هـ/786م)[6] ، وبايعته قبائل المغرب وأمنت بدعوته، شكا الخليفة ذلك إلى يحيى البرمكي، فقال له: "أنا أكفيك شرّه"، وأرسل إلى المغرب رجلاً عرف بالمكر والدهاء، هو سليمان بن جرير الجزري، بعد أن رغبه في الحال ووعده بوعود عظيمة، على أن يحتال لإدريس حتى يقتله، وما أن وصل إلى إدريس حتى تقرب منه وأوهمه أنه من أنصاره، فسرّ إدريس منه واطمأن له، وعلى حين غرة دس السم لسيده في الطعام، فسقط مغشياً عليه حتى مات[7] ،

---

[1] ابن طباطبا، هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمير علوي، ثائر من أئمة الزيدية، توفي سنة (199هـ) بالكوفة ودفن بها، وله من العمر 26 سنة, الطبري, المصدر السابق, ج8, ص ص528-529.

[2] كلو، المرجع السابق، ص140.

[3] المصدر السابق، ص282.

[4] فوزي، الخلافة العباسية، ص199.

[5] إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب، وإليه نسبتها، أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن الحسن في المدينة أيام ثورته على الصادق العباسي سنة (169هـ) ثم قُتِلَ الحسين فانهزم إدريس إلى مصر ومنها إلى المغرب الأقصى سنة 172هـ، توفي مسموماً في وليلى، الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص267.

[6] موقعة الفخ , معركة وقعت في8 ذي الحجة سنة(169 هـ) بالقرب من مكة بمكان يسمى فخ، حدثت بين الجيش العباسي في مواجهة ثوار من العلويين بزعامة الحسين بن علي العابد بن حسن الذي قتل فيها , الطبري , المصدر السابق,ج8, ص ص192- 202.

[7] فرج، المرجع السابق، ص ص60-61، بيطر، المرجع السابق، ص150.

ومن المستشرقين من يرى بأن جعفر البرمكي هو الذي أمر بقتل العلوي عبد الله بن الحسن، مخالفاً بذلك أوامر الخليفة[1] .

وهذه الوقائع جاءت لتضاف إلى الخلافات التي أثارتها المسألة العلوية بشكل دائم بين الخليفة والبرامكة؛ هذه المسألة التي ركز الخليفة الرشيد نفسه على طابعها في معرض المحادثة التي جرت بينه وبين يحيى البرمكي أثناء حبسه[2] ، حيث لمّحَ من جهة إلى يحيى بن عبد الله، ومن جهة أخرى إلى الزيدي أحمد بن عيسى، هذا ما رواه مسرور الكبير، حيث قال:

"أخرج الخليفة الرشيد يوما يحيى بن خالد من سجنه، يسرد عليه مجموعة من الشكاوى، لم يستطع وزيره السابق أن يدافع عن نفسه عند سماعها؛ الأولى: كانت دفع مبلغ مائتي ألف دينار بالديلم للعلوي يحيى بن عبد الله ليقويه ضد الخليفة فيقتله، والثانية: أنه أرسل إلى أحمد بن عيسى بن زيد بالبصرة مبلغ سبعين ألف دينار"[3] .

وعلى الرغم مما أظهر البرامكة من تعاطفهم مع بعض العلويين ومناقشة الأفكار العلوية في مجالسهم، كما كانت تناقش آراء عديدة أخرى، فإنه ليس لدينا روايات موثوقة، تدل على إخلاصهم للقضية العلوية أو ولائهم لشخصية سياسية علوية[4] .

لم يكتف البرامكة بتعاطفهم مع العلويين أعداء العباسيين كما أوردنا فحسب، بل هناك ما يشير إلى ممالأتهم إلى الخصوم السياسيين للخليفة هارون الرشيد، أمثال عبد الملك بن صالح العباسي، الذي اتهمه الخليفة بأنه يطالب بالخلافة لنفسه[5] ، وكان من المفروض على البرامكة أن يلتزموا الخط السياسي للخليفة هارون الرشيد في علاقته مع عبد الله بن صالح هذا، ويبدو أن هذا الاتجاه كان ملتزماً من البرامكة في السنوات الأولى من دولته، ومن ثم تطورت العلاقات بين البرامكة، أو جعفر بن يحيى

---

[1] كلو، المرجع السابق، ص138.

[2] فرج، المرجع السابق، ص62.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص243.

[4] فوزي، الخلافة العباسية، ص199.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ص116، الكروي، نظام الوزرة في العصر العباسي، ص109، الخضري، المرجع السابق، ص84، سالم، المرجع السابق، ص138.

خاصة، وعبد الملك بن صالح[1] .

وقد أورد الجهشياري هذا التطور الودي، ولكنه لم يحدد تاريخه، ولقد لعب جعفر البرمكي دوراً في تحسين العلاقات بين الخليفة الرشيد وعبد الملك بن صالح[2] ، إلا أن الخليفة الرشيد بعد ذلك اتهم عبد الملك بن صالح بأنه يطالب بالخلافة ويطمع فيها، وأن البرامكة كانوا له عوناً، والذي سعى به ابنه عبد الرحمن وخادمه قمامة، فحضر إلى الخليفة الرشيد، حيث حدث بينهم حديث طويل، وفي نهاية هذا الحديث قال الخليفة لعبد الملك بن صالح: "أما والله لولا الإبقاء علي بني هاشم، لضربت عنقك"، ثم أمر بحبسه، فحبس عند الحاجب الفضل بن الربيع[3] ، ولقد لازمت هذه القضية البرامكة بعد سجنهم، فيشير ابن الأثير في أحداث سنة (187هـ/208م) "إلى إن الخليفة هارون الرشيد بعث إلى يحيى بن خالد وهو في السجن: أن عبد الملك بن صالح أراد الخروج علي ومنازعتي في الملك، وقد علمت ذلك فأعلمني ما عندك فيه، إن صدقتني أعدتك إلى حالك، فقال: مالك يا أمير المؤمنين ما أطلعت من عبد الملك على شيء، أعيذك بالله أن تظن بي هذا الظن، ولكن كان رجلاً يسرني أن يكون في أهلك مثله، فوليت لما أحمدت من مذهبه، وملت إليه لأدبه، فلما أتاه الرسول بهذا، أعاد عليه الخليفة قائلاً: إن أنت لم تقر عليه قتلت ابنك الفضل، فقال له: أنت مسلط علينا فافعل ما شئت"[4] .

وحينما ظهرت قضية عبد الملك بن صالح، تشَّدد الخليفة مع البرامكة إلى أقصى درجات التشدد، ورفض كل شفاعة للتخفيف عنهم حتى من أمهاتهم بالرضاعة والربط بين انكشاف تآمر عبد الملك بن صالح ضد الخليفة هارون الرشيد، وتضييق الخليفة على البرامكة في سجنهم، ورفض كل شفاعة قد قدمت من أجلهم، ويرى البعض أن الخليفة هارون الرشيد، قد توصل إلى نتيجة محددة، وهي أن البرامكة أمثال جعفر البرمكي مع عبد الملك بن صالح، كانوا على وشك الإطاحة به وبدولته[5] .

---

[1] عمرو، المرجع السابق، ص297.

[2] المصدر السابق، ص214.

[3] عمرو، المرجع السابق، ص297.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص117، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص ص473-474.

[5] عمرو، المرجع السابق، ص ص296-297.

أما عن علاقة البرامكة وسياستهم مع العرب، فهي سياسة إخماد للفتنة؛ إلا أنها لم تستطع أن تقضي عليها قضاءً مبرماً، فالفتنة التي حدثت بين المضرية واليمانية في الشام سنة (180هـ/796م)[1] ، قيل إنها من أجل بطيخة، فقد تعد أحد المضريين على بستان يماني، وأخذ بطيخة منه، فتقاتل الاثنان، وأدى ذلك إلى فتنة استمرت حيناً من الزمن، وجهَّز الخليفة الرشيد جعفر بن يحيى لتسوية الأمور فسواها، لكنه لم يقضِ على الفتنة تماماً، وعادت مرة أخرى بعد ذلك[2] .

ويبدو أن الخليفة الرشيد كان يتغاضى عما كان يصله من أخبار استبداد البرامكة بشئون الدولة، وازدياد نفوذهم، وفاءً منه لخدماتهم[3] ، ولكن في نفس الوقت لم يكن الرشيد بالخليفة الذي يتساهل في حقوقه، بل هو رجل على شيء كبير من الدهاء، فأظهر في بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ وعول في نفس الوقت على انتهاز الفرص لاستعادة ما أخذوه من سلطانة[4] ، حيث مشاعره أخذت تتغير تجاههم إلى حد أنه لم يعد يأمن لهم، وأصبح يخشى على مركزه كخليفة للمسلمين بعد أن سيطروا على أجهزة الدولة السياسية، وصار الناس يلهجون بذكرهم ويتوافدون على أبوابهم[5] ، الأمر الذي جعل الخليفة هارون الرشيد يخاف على نفوذه الذي بدأ ينسل شيئاً فشيئاً من يديه، لينتقل إلى أيادي أخرى، واحتفاظه هو بالعرش بينما ليس له من السلطة إلا المظهر[6] .

يعزز ذلك ما أورده المؤرخون نقلاً عن طبيب الخليفة الرشيد الخاص، جبريل بن بختيشوع[7] ، الذي تحدث قائلاً:

"دخلت يوماً على الرشيد، وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام، وكان

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص262.

[2] المصدر نفسه، ج8، ص363، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103، العش، المرجع السابق، ص66.

[3] سالم، المرجع السابق، ص66.

[4] سرور، محمد جمال الدين ، الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 2005م، ص ص321، 322.

[5] سالم، المرجع السابق، ص139.

[6] كلو، المرجع السابق، ص140.

[7] جبريل بن بختيشوع بن جرجس، طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله، كانت منزلته عند الخليفة قوية لدرجة أن الخليفة قال لأصحابه من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبريل، حتى صار القواد يقصدونه في كل أمورهم. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن قاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1965م، البدري، خليل، موسوعة العظماء والمشاهير، دار أسامة، الأردن، ط1، 1999م، ص147.

البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر، يفصل بينهما نهر دجلة، قال: فنظر الرشيد، فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد، فقال: جزى الله يحيى خيراً، تصدَّى لأمور وأراحني من الكدر ووفر أوقاتي على اللذة، ثم دخلت إليه بعد أوقات، وقد شرع يتغير عليهم، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة، فقال: استبد يحيى بالأمر دوني فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها إلا اسمها، قال: فعلمت أن سينكبهم ثم نكبهم عقب ذلك"[1] .

وفضلاً عن ذلك فقد أثار البرامكة مخاوف الخليفة بجاههم وتعاظم نفوذهم، فيذكر ابن طباطبا: "إن جعفر والفضل ظهر منهما من الإذلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك"[2] ، وصارت إليهم أغلب الوظائف كالنيابة في إنفاذ الحل والعقد، وجعل لهم النظر في ديوان الحسبان، الذي يختص في تقسيم الأعطيات، وديوان الرسائل، وديوان الخاتم، فصار اسم وزراء البرامكة جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة[3] .

لقد تحيّز البرامكة لعنصريتهم الفارسية بمحاولتهم إبعاد العرب عن مناصبهم، يظهر ذلك في علاقتهم مع القائد يزيد بن مزيد الشيباني ووشايتهم ضد هذا القائد العربي الذي أرسله الخليفة لقتال الوليد بن طريف، وكان يزيد يرى استعمال التأني والمخاتلة مع الخوارج، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد، فقالوا للخليفة: "إنما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم لأنهما من وائل"، فأوغروا صدر الخليفة الرشيد حتى أرسل له يوبخّه وينبهّه بأن ما يقوم به يمكن أن يقوم به خادم غيره[4] .

إن هذه القضية ربما تشير إلى محاولة البرامكة تنحية الشخصيات العربية من تولي المناصب المهمة في الدولة.

ويمكننا أن نحشد العديد من التصرفات التي دونها المؤرخون عن البرامكة، وكلها تؤكد أن البرامكة قد استبدّوا بدولة الخليفة الرشيد، وأن نصيبهم في التحكم في هذه الدولة، قد فاق بكثير نصيب الخليفة الرشيد[5] ، ومن ذلك ما ذكر عن الطبيب

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص ص225، 226، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص202.

[2] المصدر السابق، ص203.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، مج1، ص176.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص97.

[5] عمرو، المرجع السابق، ص285.

بختيشوع بن جبريل عن أبيه الذي قال:" أنه عندما كان جالس في مجلس الخليفة الرشيد، دخل عليهم يحيى البرمكي، بلا إذن، الأمر الذي جعل الخليفة يرد عليه السلام رداً ضعيفاً، فعلم يحيى بن خالد أن أمرهم قد تغير، ثم أقبل الخليفة الرشيد على طبيبه قائلاً له: أيدخل عليك منزلك أحد بغير إذن، قال: لا، فقال له الخليفة: فما بالنا يدخل علينا بغير إذن؟ فقال يحيى: ما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب، فإذا قد علمت فإني سأكون عنده في الطبقة التي تجعلني فيها، فاستحيا الخليفة، وقال له ما أردت ما تكره"[1] .

وهناك من الأحداث والروايات ما يشير إلى وصول البرامكة إلى مكانة نافسوا فيها الخليفة الرشيد نفسه، وبدأ نفوذهم السياسي يطغى على نفوذ الخليفة الذي بات يشعر وكأنه الحاكم الاسمي فقط، فيما هم الحكام الفعليون[2] ، ويظهر هذا الأمر في العديد من المواقف التي أوردتها بعض المصادر الإسلامية، حيث ذكرت بأنه في أحد الأيام وبينما الخليفة في طريقه إلى الصيد، نظر بعيداً، فشاهد موكباً ضخماً، فسأل عن هذا الموكب، فقيل لجعفر بن يحيى، وعندما التفت الخليفة إلى من معه في موكبه، فإذا هو شرذمة يسير، ثم نظر إلى الموكب الذي فيه جعفر البرمكي فلم يره، فقال لأحد أتباعه: "ما رأينا أي (جعفر) أهلاً أن يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه"[3] .

كما يروى أن الخليفة الرشيد الذي كان في محل يشرف على دجلة من شرقي مدينة باب السلام، وبإزائه منزل جعفر البرمكي من الجانب الغربي، أنه شاهد موكباً من جميع الأصناف من قائد وأمير وعامل يترددون في كل يوم إلى قصر جعفر، فاغتّم الخليفة لذلك، وقال لإسماعيل بن صبيح[4] : هذا ما كنا فيه بالأمس، انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان، والمواكب، وأنا ما على باب داري أحد، انظر إلى دوابهم الست ترى أعجازهم إلى قصري وتروث بإزائنا ونحن ننظر إليها والله هذا

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص287-288، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص ص473-474، كلو، المرجع السابق، ص133.

[2] زكار، المرجع السابق، ص260.

[3] الأتليدي، المصدر السابق، ص244؛ فرج، المرجع السابق، ص90، كلو، المرجع السابق، ص138.

[4] إسماعيل بن صبيح، من أعيان الكتاب، خدم جملة من الخلفاء والوزراء والكتاب، ولاه الخليفة المهدي في سنة (168هـ/784م) زمام ديوان الخراج. الصبائي، أبو الحسين هلال، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، دار الأوقاف العربية، د.ط، 2003م، ص29.

هو الاستخفاف بعينه، والله لا أصبر على ذلك ثم غضب غضباً شديداً وامتلأ غيظاً"[1] .

لقد كان لاستفحال سلطان البرامكة، وتصرفهم في شؤون الدولة التي يلي خلافتها الرشيد[2] عظيم الأثر في نهايتهم، وهذا ما يؤيده ابن خلدون، عندما عَلّلَ أسباب نهايتهم، فقال:

"إنهم غلبوا على أمر الخليفة الرشيد وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه، فعظمت آثارهم وبعد صيتهم، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم، واحتازوها عمن سواهم من وزارة، وكتابة، وقيادة، وحجابة، وسيف وقلم، ويقال إنه كان بدار الخليفة الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم، زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعهم عنها بالراح"[3] .

قد رأى الخليفة الرشيد إقبال الناس على البرامكة وكثرة أتباعهم وأشياعهم مع الإذلال العظيمة منهم[4] ، والتي ظهرت في العديد من الصور لاسيما بعد أن بدأ يحيى بن خالد يخطط للاستفراد بأمر مكاتبة العمال بنفسه، ومحاولة منه إبعاد الخليفة عن هذه المهمة[5] .

وبالإضافة إلى ما ذكرنا، كانت علاقة جعفر بالخليفة الرشيد خطرة، لأنها كانت تستند إلى العواطف (الصداقة) المعرضة للتقلب[6] ، وقد أدرك يحيى البرمكي ذلك عندما شكا إلى الخليفة قائلاً:

"والله أكره مداخلة جعفر معك، ولست آمن أن ترجع العاقبة في ذلك علي منك، فلو أعفيته واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم أعمالك كان ذلك واقعاً بموافقتي وأمن لك علي"[7] .

---

[1] الأثليدي، المصدر السابق، ص246.

[2] سرور، الدولة العربية الإسلامية، ص321.

[3] المصدر السابق، مج1، ص24.

[4] ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص312.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص312.

[6] الدوري، العصر العباسي الأول، ص135.

[7] الجهشياري، المصدر السابق، ص225.

كما حاول يحيى البرمكي أن ينبه ابنه إلى خطورة تصرفاته فلم يفد ذلك، ولم ييأس من إرشاده[1] عندما قال له: "أني أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك، وإن كنت أخشى أن تكون التي لا شروى لها"[2] .

وهنا لابد أن ندرك أن سلطة البرامكة المطلقة لم تستمر أكثر من أربع سنين، ذلك أن وفاة الخيزران كانت بداية لنهاية نفوذهم السياسي الذي بدأ يتقلص بصورة تدريجية، رغم أنها بطيئة، لأن الخيزران كانت السند المهم ليحيى البرمكي[3] ، كما أنها كانت تميل إلى العنصر الفارسي أكثر من العنصر العربي في إدارة الدولة، وقد صرّح بذلك الخليفة الرشيد بعد موتها، إذ قال لحاجبه الفضل بن الربيع وهو لايزال على قبرها: "بحق المهدي، إني لأهم لك من الليل في شيء من التولية وغيرها، فتمنعني رحمها الله فأطيع أمرها"[4] . كما أمر الخليفة الحاجب الفضل بن الربيع أن يأخذ الخاتم من جعفر البرمكي بعد وفاة أمه (الخيزران) وولاّه نفقات الدولة العامة والخواص[5].

ومن ذلك نستدرك أن الصراع على السلطة والنفوذ، هو الدافع الأول الذي حدا بالخليفة الرشيد إلى التخلص من البرامكة، وهو بدون شك نتيجة حتمية للتضارب بين السيادة الحقيقية المتمثلة بالخلافة وبين السيادة المتمثلة في الوزارة، فلقد كان من المحتمل أن يسيطروا على الدولة ويوجهوا فيها الوجهة التي يرغبونها طالما هم الآمرون والناهون[6] .

المبحث الثاني / العامل الاقتصادي:

كان السلوك الاقتصادي من العوامل المهمة في نهاية البرامكة، حيث كانوا يمتازون بجمع الثروة والأموال من خلال تسلطهم على أموال الدولة، وإنفاقها حسب

---

[1] الدوري، العصر العباس الأول، ص225.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص225.

[3] زيادة، المرجع السابق، ص115.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص238، ابن الأثير، المصدر السابق، ص87؛ ANDRE, op. cit, p. 39

[5] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص60، اللغة العربية وأدبها والعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع20، 1967م، ص87.

[6] الناطور وآخرون، المرجع السابق، ص273.

ميولهم، فكثر سخاؤهم منذ عهد جدهم خالد البرمكي[1] ، يروي الجهشياري وغيره بأنه لم يكن يرى لجليس خالد داراً إلا وخالد بناها له، ولا ضيعة إلا وخالد ابتاعها له، ولا ولد إلا وخالد ابتاع أمه إن كانت أمة، أو أدى مهرها إن كانت حّرة، ولا دابة، إلا وخالد حمله عليها، إما من إنتاجه أو من غير نتاجه[2] .

ونتج عن سلوكهم هذا أن كثر السؤال على أبوابهم، ومن هنا رأى جدهم خالد أن يغير لفظ السؤال بلفظ الزوار زاعماً بأنه يستقبح لهم هذا الاسم، لأن فيهم الأحرار والأشراف، وكان أول من سماهم بهذا الاسم، وفي ذلك يقول بعض زواره[3] :

حَـذَا خَالِد فِي جُودِه حَـذْوَ بَرْمَك فَجُـود لَـهُ مسُـتطْرَف وأَثِيـلُ
وكَـانوا بَنُو الإعدم يُدْعون قَبْلَه باسْـم عَلَـى الإعدام فِيـه دَلِيلُ
يُسمّوْن بالسَّؤال في كُـلّ مَوْطِنٍ وَإِنْ كَـانَ فِيـهِمْ تَـافه وجَلِيلُ[4]

لم يقتصر جزيل عطائهم هذا على السؤال (الزوَّار)، وإنما شمل الشعراء والمغنيين، حتى ظهر من ينعتهم بألفاظ أسطورية منها بحور فياضة، وغيوث منهلة وجوداً، وكانوا قد ورثوا ذلك عن جدهم خالد بن برمك الذي ينقطع إليه الكثير من الشعراء[5] ، وكان من بين هؤلاء الشعراء بشار بن برد (ت 197هـ/ 812م) الذي كان يمدح خالد بن برمك، وكان كلما وفد عليه أعطاه خمسة آلاف درهم، ثم زادها له[6]، ومن قوله فيه بيتان[7] ، هما:

أَخَـالُد إنَّ الْحمَـدَ يبقْـى لأهْلِـه جَمَالاً ولا تبَقْىَ الكُنوزُ عَلَـى الكَـدَّ
فأطْعِمْ وكُـل مـن عَـارِة مُسـردّه ولا تُبقْيهـا إنَّ العَـوَاريَّ للسرّدّ[8]

وقد سار أسلاف خالد من أبنائه وأحفاده على سياسته المالية هذه، وأغدقوا

---

(1) الدوري، العصر العباسي الأول, ص174.

(2) المصدر السابق، ص150، ابن الفقيه الهمذاني، كتاب البلدان، ص607.

(3) الجهشياري، المصدر السابق، ص150.

(4) المصدر نفسه، ص150.

(5) ضيف، المرجع السابق، ص325.

(6) زيدان، تاريخ آداب اللغة، دار الهلال، د.ط، 1957م، ج2، ص65.

(7) بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، شرح حسين حماوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م، مج2، ص190، زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج2، ص65.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص339.

العطايا على الشعراء، إذ يروى أن يحيى بن خالد حين استوزره الخليفة هارون الرشيد سنة (170هـ/786م) أعطى الشاعر إبراهيم الموصلي (ت188هـ/803م) مبلغاً و قدره خمسون ألف درهم وذلك لقوله:

أَلَمْ ترىَ أَن الشّمسْ كَانَتْ مَرِيضَة فَلمَّا أَتَــى هَارونُ أَشــرَق نُورُهَا

تَلبَّسَــتِ الدُّنيْــا جَمــَالاً بمُلْكــه فَهَارُونُ وَإِليْهَا و يَحيَىْ وَزِيرُهَا[1]

كما ذهب الشاعر إبراهيم الموصلي إلى يحيى البرمكي يسأله أربعة آلاف دينار ليشتري ضيعة مجاورة لأرضه، فدبر له أمراً حتى جعله يقبض ثمانين ألف دينار من بعض طلاب المناصب بحضرته، وكان يريده أن يستولي على مائتي ألف دينار[2] .

ويحكى أن يحيى بن خالد كان إذا ركب أخذ أصراراً في كل منها مائتا درهم يدفعها إلى الذين يقفون في طريقه ويلتمسون معونته[3] .

ومما لا شك فيه أن هبات البرامكة لصنائعهم وأنصارهم كانت تقوم دليلاً واضحاً على ابتزازهم لأموال الدولة[4] ، حيث وزَّع الفضل بن يحيى في خراسان سنة (178هـ/794م) ألف ألف درهم[5] ، وفي أثناء مقام إبراهيم بن جبريل على كابل وسجستان، أفاد مالاً عظيماً، ووصل إليه سبعة ألف ألف درهم، وحصل في يده من خراجها أربعة آلاف ألف درهم، فلما عاد إلى مدينة بغداد، سأل إبراهيم الفضل أن يزوره في داره، فأحضر مال الخراج المذكور، فوهبه له الفضل، وأبي أن يقبل منه شيئاً، وقال له حين اعترض: "أمالك بيت يسعه"[6] .

وفي الوقت الذي كان فيه البرامكة يتصرفون بأموال الدولة، يبذرونها هنا وهناك، كانوا يحجبون الأموال عن الخليفة الرشيد ذاته، يروى أن الخليفة الرشيد كان يبغي جارية، وكان ثمنها مئة ألف دينار، فأرسل إلى يحيى بن خالد يأمره أن يرسل إليه المال، فاغتم يحيى واعتبر ذلك مفتاح سوء وشئوم، وبعث إليه بعدم قدرته على إرسال المال، فغضب الخليفة عليه، فما كان من يحيى أن أرسل هذه الأموال دراهم،

---

(1) المصدر نفسه، ص339.

(2) الفاوى، المرجع السابق، ص40.

(4) الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص112.

(5) الجهشياري، المصدر السابق، ص191.

(6) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص258-259، الجهشياري، المصدر السابق، ص192.

تآمراً منه لكي يستكثره في شراء ثمن جارية، وفعلاً استكثرها الخليفة الرشيد، ودعا خادمه بأن يجعلها له ويجعل له بيت مال خاص به سماه (بيت مال العروس)، ولم يجد ما يضعه فيه؛ لأن البرامكة قد استهلكوه[1] .

وفي رواية أخرى، أن الخليفة الرشيد كان قد أمر رجلاً من أهل الأدب يقال له أبو العود يعجبه حديثه، وطلب من يحيى بن خالد أن يعطيه ثلاثين ألف درهم، فرد عليه بأنه ليس لديه ما يعطيه من الأموال[2] ، وفي رواية أخرى للجهشياري أن الخليفة كان قد طلب من جعفر البرمكي مبلغاً وكان قد عزم على الفصد[3] ، فبعث له منها نصف ما أراد الخليفة الرشيد، أي خمسة آلاف درهم[4] .

وكان البرامكة يعينون بأموال الدولة من يغضب عليهم الخليفة، يروى أنه عندما طلب الخليفة الرشيد من منصور بن زياد مبلغ عشرة آلاف درهم، وأمره بإحضارها قبل مغيب الشمس وإلا قتله، أنقذه يحيى بن خالد من هذه الورطة، ودفع عنه المبلغ المطلوب[5] .

كما أن البرامكة كانوا يعطون الأموال حتى لأبناء العباسيين أنفسهم، يروى أن يحيى البرمكي قد أعطى لأحد أبناء عبد الله بن علي خمسة آلاف دينار، وأعطى ابنه جعفر مثلها، كما أجرى لهما ثلاثة آلاف درهم كل شهر[6] ، فضلاً عن الأموال الكثيرة التي وزعها الفضل بن يحيى على وجوه الناس والقضاة في خراسان، وموقفه هذا لم يقفه أحد قبله قط[7] .

ويبدو أن أموال البرامكة بلغت مبلغاً خيالياً، ويدل على ذلك ما صرفوه على إنشاءاتهم وأملاكهم[8] ؛ منها قصر الطين في باب الشماسية[9] ، حيث أحاطه جعفر

---

[1] الطبري، المصدر السابق,ج9 , ص ص126-127، خواندمير، المصدر السابق، ص171.

[2] الطبري, المصدر السابق, ج9, ص ص126-128.

[3] الفصد، شق العرق، واستخراج الدم منه، ابن منظور، المصدر السابق، مج3، ص336 .

[4] المصدر السابق، ص250.

[5] الجهشياري, المصدر السابق، ص ص222-223.

[6] البيهقي، المحاسن والمساوى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1، ص326.

[7] البيهقي، المحاسن والمساوى، ج1، ص327.

[8] فرج، المرجع السابق، ص64.

[9] باب الشماسية، موضع في الجانب الشرقي من بغداد بعد الرصافة، دخيل المقرح سليمان، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد،دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003م، ص82.

البرمكي ببساتين ذات أرباض خصبة، وفرش به من أنواع الأشجار، وزيَّن هذا القصر بالرسوم والزخارف البديعة من الداخل والخارج، ووضع عليه صوراً من الجص المجسم[1] ، وكان ينسب ليحيى البرمكي سوقاً باسمه، ثم أصبح بعد ذلك لأم جعفر[2] .

وقد وقف الخليفة الرشيد من سياسة البرامكة المالية هذه موقف عدم الرضا والامتعاض، يروى أن جعفر بن يحيى كان قد بنى داراً أنفق عليها عشرين ألف ألف درهم، فرفع ذلك إلى الخليفة الذي استعظمها[3].

وقد أشار شاعر مجهول إلى تلك الدار بقصيدة رفعت إلى الخليفة الرشيد، قال فيها:

قَـل لأمـين الله فـي أرضَـه ... ومَـنْ إليـه الحـلّ والعَقْـدُ
هـذا ابـن يحيى قـد غـدا مالكاَ ... مثلـك مـا بينكمـا حـَـدّ
أمـركَ مـرود إلـى أمـره ... وأمْـرهُ ليـسَ لـهُ ردُّ
وقد بنى الدارَ التي ما بنى الفرسُ ... لهـا مثـلاً ولا الهنـدُ
والـدُرُّ والياقوت حَصـْباؤها ... وتـُربْها العنبـرُ والـندّ[4]

كما كان لجعفر البرمكي بركة في داره التي في سويقة جعفر فيها أربعة آلاف دينار، وزن كل دينار منها مئة دينار، وعلى كل دينار من أحد جانبيه:

وأصفر من ضرب دار الملـوك ... يلـوح علـى وجهـه جَعْفـرُ

وعلى الجانب الآخر:

يـزيد علـى مئـة واحـداً ... إذ نـاله مُعْسِـرُ يَيسْـِرُ[5]

إن بناء البرامكة لهذه القصور كان مغزاه أنهم كانوا ينافسون بها قصور الخليفة

---

(1) الجهشياري، المصدر السابق، ص89، دخيل، المرجع السابق، ص82، الحسيني، عبد الرازق، الدوري، بغداد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984م، ص ص78-79.

(2) التوحيدي، أبو حيان علي محمد بن العباس، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتب الحياة، بيروت، د.ط, د.ت, ص153، ابن الفقيه الهمذاني، كتاب البلدان، ص305.

(3) كلو، المرجع السابق، ص138.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص335ـ336، القرماني، المصدر السابق، مج2، ص87، الدواداري، المصدر السابق، مج5، ص189.

(5) الجهشياري، المصدر السابق، ص241.

الرشيد[1] ، في الوقت الذي لم يكن فيه الخليفة عاجزاً عن ابتناء دار أكثر فخامة وبذخاً مما ابتناه جعفر البرمكي؛ ولم تكن القضية قضية حسد أو غيرة، إنما هو شعور بالمنافسة بالقوة والمال[2] .

لقد أصبح من كثرة ما يملكه البرامكة، وخاصة جعفر البرمكي، أن الخليفة الرشيد كان لا يمر ببلاد ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له هذا لجعفر البرمكي من كثرة أملاكهم، ويذكر أنه قال الخليفة الرشيد لإسماعيل بن يحيى الهاشمي بهذا الخصوص: "انظر إلى البرامكة أغنيناهم وأفقرنا أولادنا ... إني لا أعرف لأحد من أولادي ضيعة من ضياع البرامكة ... فكيف بما هو لهم غير ذلك ... في سائر البلدان ... وأنهم هم الدولة ..."[3] .

وفضلاً عن ذلك فقد اتصفت مجالسهم بالبذخ بأعلى درجاته حتى كانوا يستخدمون فيها كوانين الفضة وآنيات وملاعق من الذهب وأسرة العاج[4] .

ولم يستمتع البرامكة وحدهم بأموال الدولة، ولكن شمل هذا الاستمتاع حتى جواريهم، فكانت دنانير[5] جارية البرامكة تتحلى بعقد من الجوهر قيمته ثلاثون ألف درهم[6] ، وكانت قصورهم تغص بالرقيق حتى كان يقال بأنه كانت لأم جعفر البرمكي مئة وصيفة، كان لبوس كل منهن وحليها خلاف الأخرى[7] .

كما أن البرامكة كانوا يشجعون على الإسراف في البذخ والترف ويعتبرونه شرفاً، فمن مشهور قول يحيى البرمكي: "أسرف فإن الشرف في السرف"[8] .

لقد كان البرامكة ينفقون المال إنفاقاً واسعاً جداً، بحيث كان المال يأتي إليهم ثم

---

[1] أبو خليل، شوقي، هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، دار الفكر المعاصر، لبنان، د.ط، د.ت، ص242.

[2] العسيلي، المرجع السابق، ص91.

[3] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة، د.ط، د.ت، ج5، ص66، الأتليدي، المصدر السابق، ص ص244-245.

[4] ابن المعتز، المصدر السابق، ص ص214-215.

[5] دنانير مغنية كبيرة من مغنيات العصر العباسي اشتراها يحيى البرمكي وأصبحت جارية عند البرامكة. كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي الأدب العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة، سوريا، د.ط، د.ت، ج1، ص418.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص215.

[7] فرج، المرجع السابق، ص68.

[8] البيهقي، المحاسن والمساوى، ج1، ص327.

يخرج منهم، ويكاد أن يتم ذلك في ساعة واحدة، والذي يقع تحت أيديهم من المال كان أكثر ما يقع تحت يد الخليفة[1] ، وفي بعض الأحيان كان الخليفة الرشيد نفسه كان لا يحصل على المال إلا بإذنهم، إذ كانوا يحتجزونه دونه، وفي ذلك يذكر الجهشياري:

"إن البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته، وما يحتاج إليه هو وعياله، وأنه طلب من جعفر عشرة آلاف درهم فاعتذر له"[2] .

ويؤيد هذه الرواية بعض المصادر العربية الأخرى التي ذكرت "أن الرشيد نكب البرامكة ووزرائه؛ لأنهم احتازوا أموال دولته حتى كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه"[3] ، "وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجازهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه"[4].

ويمكننا الحصول على فكرة تقريبية لما أخذه البرامكة من أموال الدولة إذا نظرنا إلى واردهم السنوي وإلى عظم الهبات التي وهبوها، حيث وصل مبلغ جباية البرامكة سنوياً إلى عشرين مليون درهم، وأما مقدار ما قبضه الخليفة الرشيد من أموالهم، بلغ ثلاثين مليوناً وستمئة وستين ألف درهم أو ستمائة ألف وستة وسبعين ألف درهم، بالإضافة إلى سائر ضياعهم، وغلاتهم، ودوابهم، ورياشهم، والرقيق والجليل من مواهبهم[5] .

ويروي الجهشياري "أن مسرور الخادم عندما سأله الخليفة هارون الرشيد، عما وجده عند البرامكة من المال والجواهر، قال: ما وجدت لهم شيئاً من ذلك، قال الخليفة: وكيف وقد نهبوا مالي وذهبوا بخزائني، فقال: أنفقوا في المكارم، وأصبت لهم جوهر لا

---

[1] العش، المرجع السابق، ص66.

[2] المصدر السابق، ص ص249-250.

[3] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص ص347-348.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، مج1، ص24.

[5] ابن الزبير،الرشيد، كتاب الذخائر والتحف، حققه محمد حميد الله، الكويت، د.ط ،1959م،ص224، الدوري، العصر العباسي الأول، ص175، الكروي، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط2، 1989م، ص ص19-20، حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ص 368، صانعوا التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، ط1، 1969م، ص118.

يشبه أمثالهم"[1] . مما يدل على أن البرامكة قد جعلوا أكثر أموالهم على شكل ضياع وجواهر، بينما أنفقوا أكثر الدراهم في المكارم"[2] .

والآن وبعد ذكر هذه الأحداث، أصبح من اليسير القول إن المال كان من بين الأسباب التي حملت الخليفة الرشيد على التنكيل بالبرامكة[3] ، إذا ستتكار الخليفة لتبذير البرامكة لأموال الدولة واستئثارهم بها بينما قيدوه في نفقاته[4] ، الأمر الذي جعل الخليفة الرشيد ينكل بهم لتصبح جميع أموال الخلافة تحت قبضته يتصرف بها من دون مشاركة أحد[5] .

المبحث الثالث / العامل الديني:

تجسد هذا العامل في استغلال البرامكة الدين الإسلامي لإحياء شعائرهم الفارسية القديمة، ويبدو ذلك في الروايات التي تنقلها لنا المصادر الإسلامية[6] ، حيث أن البرامكة أشاروا على الخليفة الرشيد باتخاذ مجمرة في جوف الكعبة، وفيها يبقى العود مشتعلاً بصفة دائمة، وقد أردوا من ذلك أن يجعلوا من الكعبة بيت نار، ويقال إن جعفر البرمكي كان يريد أن تكون الكعبة بيت نار كما هي مذاهب المجوس، لأن البرامكة أصلهم من المجوس[7] ، ولكن الخليفة فطن إلى الهدف الحقيقي وراء هذه النصيحة، ورفض أن تتحول مساجد المسلمين إلى بيوت نار[8] . ولكن حديث مسرور الكبير في أيام الخليفة المتوكل ينفي هذه الحادثة، فعندما سأله عبيد الله بن يحيى بن

---

[1] المصدر السابق، ص295.

[2] الدوري، العصر العباسي الأول، ص133.

[3] فرج، المرجع السابق، ص85.

[4] الدوري، العصر العباسي الأول، ص133.

[5] فرج، المرجع السابق، ص85.

[6] ذو النسبين، المصدر السابق، ص42، المقدسي، البدء والتاريخ, ج4, ص104، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص204، القرماني، المصدر السابق، مج2، ص87.

[7] عمرو، المرجع السابق، ص ص278-279، الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي ، ص116، الجومرد، عبد الجبار، هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، المكتبة العمومية، بيروت، د.ط، د.ت، ج2، ص455.

[8] ندا، طه، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعارف الجامعية، د.ط، 1995م، ص82.

خاقان عن سبب قتل الخليفة لجعفر وإيقاعه بالبرامكة، أجابه: "كأنك تريد ما تقوله العامة في أمر المجامر التي اتخذها للبخور في الكعبة ، فقال له:ما رأيت غيره. فقال: لا والله، ما لشيء من هذا أصل، ولكنه من مواليا وحسدهم"[1] .

ويذكر بعض المستشرقين بأن العرب قالت أن جعفر البرمكي لم يكن مسلماً إلا في الظاهر، وأنه كان يشيد المساجد للتلهي، وأن قراءة القرآن تدخل في نفسه ضجراً كبيراً، فقد بقي في قرارة نفسه مزدكياً[2][3] .

وذكر ابن النديم: "البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد كانت زنادقة"[4] ، ويعزز هذا الرأي ابن قتيبة حين قال: "إن البرامكة كانوا يرمون بالزندقة إلا من عصم الله تعالى منهم"[5] ، ومن المحتمل أن تكون عامة الشعب قد اعتبرت البرامكة كلهم زنادقة[6] ، هذا ما أشار إليه الجهشياري، وذلك عندما ذكر أن الفضل بن يحيى عندما نقل من محبس كان فيه إلى محبس آخر، وقف له بعض العامة، فدعا عليه، الأمر الذي جعل الفضل يظهر اضطراباً شديداً، وعندما سأل عن سبب ذلك، قيل له: إن العامة يتحدثون عنهم بأنهم زنادقة، وعندما سمع ذلك أنشد يقول[7] :

غيـــر ماطـــالبين ذَحْـــلاً ولكـــنْ مال دهَرْ على أناس فَمـــالُوا[8]

ومن المؤرخين المحدثين من يرى أن زندقة البرامكة تظهر جلية واضحة في مجالس يحيى البرمكي التي كانت حافلة بالعلماء من أهل النحل والأديان المختلفة[9]، وكانوا لا يجدون في نقاش المسائل عديدة سياسية ومذهبية[10] ، وكما كانوا يتناظرون مع العلماء المسلمين في بحوث فلسفية في الكون، والقدم، والحدوث، والحياة، والعدم،

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص254.

[2] مزدكياً، الديانة المزدكية مؤسسها مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد أنشروان، ومن أقوال المزدكية كأقوال المنوية في الكـــونين والأصلين، ومذهبه في الأول والأركان ثلاثة: الماء، والأرض، والنار، الشهرستاني، المصدر السابق،ج1، ص210.

[3] كلو، المرجع السابق، ص138.

[4] محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، ط1، 1985م، ص657.

[5] المعارف، ص382.

[6] فرج، المرجع السابق، ص56.

[7] المصدر السابق، ص ص258-259.

[8] المصدر نفسه، ص259.

[9] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص350، العبادي، المرجع السابق، ص85.

[10] فـــوزي، الخلافة العباسية، ص200، عطا الله، بيت الحكمة فـــي عصر العباسيين، دار القمـــر العربي، القاهـــــرة، ط1، د.ت، ص ص176-177.

والحركة، والسكون، وفي الإمامة أنص هي أم اختيار[1] .

وبينما كانت مجالس البرامكة حافلة بمثل هذه النقاشات، كان الخليفة يتحاشى ويتحرج من الدخول في مثل هذه المناقشات والمجادلات الكلامية المتعلقة بالدين والمذهب، ويرى أنها وسيلة تؤدي للخلط والتشويه، وتساعد على انتشار المذاهب الهدامة، فضلاً عن الأسباب السياسية التي تعد خطراً على سلامة وأمن الدولة؛ إذ إن مثل هذه الأمور والمجالس تؤدي إلى استفحال التيارات السياسية المعادية وضعف عوامل التماسك[2] .

وفضلاً عما قام به البرامكة من إحياء شعائر ديانتهم ودخولهم في مناقشة مذاهب الملل الأخرى، فإنهم كانوا يأوون من الرجال الذين عرفوا بحرية الرأي، ويتهمون بالزندقة، ومنهم عَلاَّن الفارسي[3] أحد قادة التسلل ضد القومية العربية، وقد شجعوه على تأليف كتاب تناول سيرة العرب في الجاهلية، مظهراً الخلافات التي دارت بينهم، بما يثير الأحقاد ويجددها بين طبقات المجتمع العربي، وكان الهدف من وراء ذلك صرف العرب عن الاعتزاز بماضيهم والتغني بمآثرهم، كما تسلل دعاة هدم التقاليد العربية عن طريق الوزراء الفرس الذين حولوا بيوتهم إلى ملجأ للخلاعة والمجون وشرب الخمر، وكان البرامكة مثالاً لهذا التستر لدعاة الفساد، كما تستروا من قبل على تسلسل علماء الفرس[4] .

كما كانت البرامكة تحسن إلى محمد بن الليث[5] ، وكان ممن يرمى بالزندقة، وكان هشام بن الحكم الرافضي[6] منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي، حيث كان القّيم

---

[1] العبادي، المرجع السابق، ص85، عطا الله، المرجع السابق، ص177.

[2] فوزي، الخلافة العباسية، ص200.

[3] عَلاَّن الفارسي، أصله من الفرس، وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات، منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الخليفة الرشيد والمأمون والبرامكة، عمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص523.

[4] علي، وفاء، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، ص ص34-35.

[5] محمد بن الليث ويكنى أبا الربيع، كتب ليحيى بن خالد، وله ولاء لبني أمية، ويعرف بالفقيه، كان كاتباً فقهياً متكلماً، وله العديد من الكتب، وكان البرامكة يحسنون له، ابن النديم، المصدر السابق، ص237.

[6] هشام ابن الحكم البغدادي الكندي مولى بني شيبان، كنيته أبو محمد، وقيل: أبو الحكم، أصله من الكوفة، انتقل إلى بغداد، وهو من متكلمي الشيعة الإمامية وبطائنهم، وكان منقطعاً إلى البرامكة ملازماً ليحيى بن خالد، وكان القيم بمجالس كلامه، توفي في سنة (199هـ) بعد نهاية البرامكة، المصدر نفسه، ص373.

بمجالس كلامه ونظره، وقد ألف كتباً كثيرة في الخلافة ومسائل علم الكلام[1] .

ولقد هال البرامكة الفرس قوة الدولة العباسية، خصوصاً وقد انتقل الحكم من الأمويين إلى العباسيين، ونفوس الفرس تطمح إلى حكم فارسي في المظهر والمضمون في اللغة والتراث، لذلك شجعوا المانوية[2] ، والزرادشتية، والمزدكية بحجة حرية الرأي[3] .

إن زندقة البرامكة هذه ظهرت لدى الشعراء في أشعارهم، وفيهم قال الأصمعي(ت216هـ/831م):

إذَا ذُكِرَ الشّرْكُ فِي مَجْلِسٍ أَضَاءَتْ وُجُوهُ بَنِي بَرَمَك

وَإِن تُلِيَتْ عِنْدَهُمْ آيَةٌ أَتَوا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَزْدَك[4]

كما قال عنهم الشاعر أبو الهول الحميري[5] يمدح الفضل بن الربيع منافس البرامكة في بلاط الخليفة الرشيد ويهجو الفضل بين يحيى البرمكي:

فضَلان ضمّهما اسمُ وشتّت الأخبارُ

آثارُ فضل الربيع مساجِد ومَنارُ

وفضلُ يحيى ببلْخ آثارِه النوبَهارُ

وما سواه إذا ما أثيرَت الآثارُ

بيتُ يوحّدُ فيه ويُعْبَدُ الجبّارُ

وبَيتُ شركٍ وكفر به تعظّم نارُ[6]

بينما يذهب فريق آخر من المؤرخين المعاصرين الذين يرون أن اتهام البرامكة بالزندقة يعود إلى الذين سعوا بهم عند الخليفة الرشيد،حيث ذكروا له أن البرامكة لا

---

(1) أمين،ضحى الإسلام، ج1، ص194، أبو خليل، المرجع السابق، ص244.

(2) المانوية، الديانة المانوية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات المأخوذة من ديانات أقدم منها، ويعد ماني مؤسس هذه الديانة نفسه خاتم الرسل، ويعتقد أن دينه أفضل كل الأديان، الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص251، حميد، فوزي محمد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط2، 1999م، ص280.

(3) أبو خليل، المرجع السابق، ص244.

(4) ابن قتيبة، المعارف، ص382، مصطفى، مجاهد، التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، وزارة الثقافة، بغداد، ط1، 1982م، ص280 .

(5) أبو الهول الحميري ,هكذا أورده صاحب طبقات الشعراء المحدثين ولم يرد له ذكر في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ولم يرد شيء في ترجمته سوى أنه عاصر البرامكة وكان على صلة بالفضل بن يحي, الروضان عبد عون, موسوعة شعراء العصر العباسي, دار أسامة, ط1, 2001م, ج1, ص58.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص308.

يخلصون للخلافة وللإسلام، ولا يعنيهم من شؤون المسلمين السياسية والاجتماعية والثقافية إلا القدر الذي ينسجون منه غشاء رقيق يخفون تحته ما يعملون له من إعادة مجد الفرس السياسي والديني والقومي، فأثَّر هذا في نفس الخليفة بعض التأثير[1] .

وفيما يخص هذه الاتهامات الموجهة ضد البرامكة، علينا أن نتصور أنه من السهل . نظراً لأصلهم . اتهامهم باعتقادات ملحدة، غير أنه علينا أيضاً أن نشير إلى أن هذه الاتهامات لا تعد كونها إحدى الوسائل التي استخدمها الأعداء ضدهم[2] ، فقد تكلَّم أعداء يحيى البرمكي، وقالوا:"إنه يتعصب للمجوسية"[3] .

إن قضية زندقة البرامكة تعتبر من القضايا الغامضة لأن أي شخص كان معرضاً لمثل هذه التهمة بالحق والباطل خصوصاً، إذا أظهر شيئاً من التسامح وحرية الرأي، ولهذا فإن هذه التهمة، تبدو كذلك ضعيفة، إذ أنها لو صحت لاتخذها الخليفة الرشيد حجة قوية لإدانتهم وإثارة الرأي العام ضدهم[4] .

المبحث الثالث / العامل الشعوبي:

لعب العامل الشعوبي منذ وقت مبكر وسابق لعصر الخليفة الرشيد أثراً لا يستهان به في جرّ البرامكة إلى نهايتهم، فقد كان للبرامكة ميولهم القومية مع العناصر الفارسية الأخرى، وكان هذا بالضرورة يتم على حساب العناصر العربية[5]، وإذا ما عدنا إلى الروايات التاريخية التي بين أيدينا، نجد منها ما يشير إلى الصبغة الفارسية العنصرية، ومما يذكر في هذا الشأن أن البرامكة كانوا يتبنون في الولايات الشرقية سياسة التسامح، فقد عاملوا سكانها معاملة حسنة، فتقربوا إليهم، وأغدقوا عليهم العطايا الكثيرة، وذكر أن خالد بن برمك كان في عسكر القائد قحطبة بن شبيب يتقلّد خراج كل ما افتتحه القائد قحطبة من كور وتقلد الغنائم وقسمتها بين الجند، فكان يقال:" إنه ما أحد من أهل خراسان إلا ولخالد عليه يد ومنة؛ لأنه قسط الخراج، فأحسن فيه إلى أهله"[6].

---

[1] برانق، المرجع السابق، ص220.

[2] فرج، المرجع السابق، ص221.

[3] البيروني، المصدر السابق، ص32.

[4] العبادي، المرجع السابق، ص85.

[5] عمرو، المرجع السابق، ص283.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص87.

كما كان البرامكة يتعصبون للتراث الفارسي، ويعملون على الحفاظ على المنشآت الساسانية القديمة، محاولة منهم لإبقائها وإبعادها عن الهدم والتخريب، لتكون شاهد على أمجادهم[1] ، ويعزز ذلك ما أورده الطبري في حوادث سنة (145هـ / 762م) عن الحوار الذي دار بين الخليفة أبي جعفر المنصور وخالد بن برمك عندما أراد الخليفة المنصور بناء مدينة بغداد سنة (145هـ / 762م)، رأى أن مواد البناء تكلفه كثيراً من النفقات فعزم على هدم إيوان كسرى، واستعمال أنقاضه، فاستشار الخليفة المنصور خالد البرمكي في ذلك، فنهاه عن الهدم، فقال الخليفة المنصور لخالد: "أبيت إلا ميلاً إلى العجمية"[2] .

وفي عهد الخليفة المهدي (158–169هـ / 774–785م) أنفذ خالد بن برمك إلى فارس عاملاً عليها، فعمل خالد على اتباع سياسة اقتصادية جديدة، مؤداها تقسيط الخراج على أهلها، وكان من قبله يلزمون له خراجاً ثقيلاً، وأكثر خالد البرمكي الصلات والجوائز والإحسان إلى كافة الناس وخاصتهم[3] .

إن ميول البرامكة الفارسية ظهرت في مناسبات متعددة ومختلفة رغم تحفظهم[4]، ويبدو ذلك جلياً في محاولتهم إبعاد العرب عن مناصب الدولة المهمة[5]، واستئثارهم بالوظائف، وتقربهم من أبناء جلدتهم الفرس[6]، حيث عيَّنوا أقاربهم وأصحابهم وأبناء جلدتهم من العناصر الفارسية، وكانوا يحيطون أنفسهم بالفرس، ومن الفرس من كانوا من الشعوبية[7]، فقد قرَّب يحيى بن خالد بني سهل وهم مجوس[8] ،حيث كان كاتبهم سهل بن هارون[9]،خادماً للخليفة هارون الرشيد[10] .

ويشير صاحب كتاب الفهرست إلى أن البرامكة كانوا يبغضون العرب ويعملون

---

[1] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص115.

[2] المصدر السابق، ج7، ص232.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص151.

[4] حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط5 ،2001م، ج2، ص107.

[5] الدوري، العصر العباسي الأول، ص176.

[6] الدوري، النظم الإسلامية، ص224.

[7] العش، المرجع السابق، ص67.

[8] حسن، المرجع السابق، ص107.

[9] سهل بن هارون بن راهيوني الدسميساني، فارسي الأصل، شعوبي المذهب، انتقل إلى البصرة، وكان ملتحقاً بخدمة الخليفة المأمون، شديد العصبية على العرب، وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل، ابن النديم، المصدر السابق، ص236.

[10] العش، المرجع السابق، ص67.

على إبعادهم عن مناصب الدولة، ومن بين الرجال العرب الذين ناصبهم البرامكة العداء محمد بن الليث[1]، والقائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني الذي أرسله الخليفة لقتال الوليد بن طريف، وكان يزيد يرى استعمال التأني والمخاتلة مع الخوارج، وكانت البرامكة منحرفة عنه، فقالوا للخليفة:" إنما يتحاشى قتال الوليد لوجود الرحم بينهما"، وهوّنوا أمر الوليد، فغضب عليه الخليفة[2] ، كما مارس البرامكة سياسة استثنائية تجاه بلاد فارس، جلبت هذه السياسة الانتباه، وهنا تظهر "العقدة الفارسية" في سياسة البرامكة، تلك العقدة التي لم يستطيعوا كأسلافهم الخلال وأبي مسلم الخراساني التخلص منها[3] ، ويظهر ذلك جلياً عندما شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان والياً عليها سنة (178هـ / 794م)، فأحسن السيرة فيها وبنى فيها المساجد والرباطات، كما اتخذ لخراسان جنداً من العجم (الفرقة العباسية) وجعل ولاءهم له، وقد بلغت عدتهم خمسمائة ألف رجل، قدم منهم إلى مدينة بغداد عشرون ألف رجل، فسموا (ببغداد الكرنبيه)، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم[4] ، وقام بإغراء هذا الجيش بزيادة العطاء وإلغاء الضرائب المتأخرة، وإحراق السجلات القديمة، كما وعدهم بأن عوائد ضرائب بلاد فارس ستنفق كلها على المنطقة ويؤخذ بعضها إلى العراق، حيث الخزينة المركزية، بل العكس فإن العراق سيتحمل رواتب وعطاءات الجند إذا لزم الأمر ذلك[5] .

وإذا كان البرامكة وهم المسؤولون عن إدارة أقاليم الخلافة، قد فعلوا كل ذلك في بلاد فارس، فمن المحتمل جداً أنهم هم الذين بذروا البذرة الأولى لسياسة الاستقلال الذاتي للقادة والزعماء المحليين في الشرق، ومهما دافع بعض المؤرخين عن الجوانب الإيجابية لهذه السياسة، فإنهم لا يمكن أن ينكروا أنها زادت من عوامل التفكك والانحلال على حساب عوامل التماسك والوحدة في الدولة العباسية، فسياسة البرامكة تجاه بلاد فارس أثارت معارضة قوية من قبل كتلة الأبناء في العراق؛ ذلك لأن الجند

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص238.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص96.

[3] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص61.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص257.

[5] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص ص61-62.

الجدد (العباسية) الذين جنَّدهم الفضل بن يحيى، باتوا خطراً يهدد مركز الجند القديم الذي يمثله أبناء وأهل بغداد وسيفقدهم مكانتهم المميزة في العراق[1] .

وتشير بعض المصادر الإسلامية، إلى أن موسى بن يحيى البرمكي كانت له فرقة في خراسان يراسلهم من بغداد نفسها، الأمر الذي جعل علي بن عيسى بن ماهان يتهمه عند الخليفة الرشيد في خراسان، ويعلمه طاعة أهلها ومحبتهم إياه، وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلال إليهم والوثوب به معهم، ويخرج عن الطاعة، فحبسه الخليفة ثم أطلقه[2] .

نستشف من الروايات السابقة محاولة البرامكة إبعاد قواد العرب وإقصائهم عن مناصب الدولة، مما يدل دلالة واضحة على أن هدفهم كان إقصاء العرب والتعصب للفرس[3] .

كان البرامكة لا يختلفون في ذلك عن الشعوبية فكانوا يتعصبون للفارسية، ويعملون على إعادة الأمجاد الفارسية القديمة[4] ، وذلك عندما لجأ الناس إلى يحيى ابن خالد البرمكي ليؤخر موعد الخراج، أسوة بما كان متبعاً عند الفرس، فعزم يحيى على الاستجابة لرغبتهم، فلما علم الخليفة الرشيد بذلك وأدرك أن في ذلك تعصباً من البرامكة للمجوسية أمر بعدم تأخير الخراج[5] .

كما أن البرامكة شجعوا بعض الأسر على الدعوة علناً إلى إحياء العادات الفارسية، ونلاحظ أن معظم المناصب الهامة في قصر الخليفة وفي الجيش والمالية كانت تسند إلى الفرس[6] .

والواقع أن الخليفة الرشيد لم يكن غافلاً عن أعمال البرامكة، وازدياد نفوذهم يوماً بعد آخر، فالخليفة الرشيد كان من أشد الخلفاء العباسيين بحثاً عن أسرار رعيته،

---

[1] المرجع نفسه، ص62.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص292-293، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115.

[3] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص115.

[4] سالم، المرجع السابق، ص139.

[5] البيروني، المصدر السابق، ص32، الألوسي، السيد محمد شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت، ص251، الدوري، العصر العباسي الأول، ص176.

[6] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص ص114-115.

وأكثرهم بها عناية، وأحزمهم فيها أمراً[1] ، فكان لابد من تتبع أخبار البرامكة سراً حتى يلم بتصرفاتهم وممارستهم، وذلك لن يكون إلا عن طريق عيونه المنتشرين في كل مكان[2] ، ولذا نجد الخليفة يدس عيونه في منازلهم ودواوينهم، لكي يحصون عليهم أنفاسهم فلا يخلو من أن تبدر منهم بادرة، تلميحاً أو تصريحاً، والوشاة ينقلونها، لاسيما بواسطة أحد خواص خدمه الذي كان الخليفة قد وهبه لجعفر ابن يحيى، فُسرَّ به جعفر سروراً عظيماً، ووقع في قلبه أجل موقع، ولم يكن يعلم أنه عيناً عليه، يرفع أخباره إلى الخليفة الرشيد، ويحصي عليه أنفاسه ساعة بساعة ووقتاً بوقت[3] ، كذلك كان من جملة عيون الخليفة الرشيد خادمان رباهما وأهداهما إلى جعفر البرمكي أيضاً، فكانا ينقلان إليه كل ما يدور في مجالس جعفر يومياً، فقد كان لجعفر البرمكي مجلس أنس يعقده في منزله مرة كل أسبوع، يحضره أرباب الدولة وأهل الوجاهة من أتباعهم الفرس[4] ، حيث كانت لغة التخاطب في هذا المجلس اللغة الفارسية، ولهذا المجلس وجهان، ظاهره المؤانسة والاجتماع على الشراب والتحدث في الآداب الفارسية، والتغني بأمجاد ساسان والملوك الأقدمين، وذكر فتوحاتهم وبطولاتهم ومذاهبهم وأديانهم، وباطنه شبه بمقر لحزب فارسي كبير يعني بشؤون بلاد فارس وحل مشاكلها القائمة وربط كتلها وشعوبها بآل برمك[5] ، ففي أحد مجالس جعفر البرمكي دار الكلام على أبي مسلم الخراساني الذي قتله الخليفة أبو جعفر المنصور سنة (137هـ / 754م)، وكيف استطاع وحده أن ينقل الدولة من عائلة، فقال:" لا تستغرب ذلك فيه ولا فضل له به، لأنه لم يدركه إلا بقتل 600,000 نفس سفك دماءهم صبراً، وإنما الرجل من ينقل دولة من قوم إلى قوم بغير سفك دم". وكان الغلمان يسمعان قوله، فنقلاه إلى الخليفة الرشيد، وأفهماه أنه يلوح بنقل الدولة من العباسيين إلى الفرس والعلويين، فازداد خوف

---

[1] عبد الغني، عبد الغني عبد السلام، العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، طنطا، 2003م، ص260.

[2] المرجع نفسه، ص260.

[3] عبد الغني، المرجع السابق، ص97، فرج، المرجع السابق، ص98.

[4] زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، مصر، د.ط ، 1958م، ج4، ص164، عبد الغني، المرجع السابق، ص ص260-261.

[5] الجومرد، المرجع السابق، ص ص454-455.

الخليفة هارون الرشيد منه[1].

كما عملوا على حماية الثقافة الفارسية ونشرها، فالفضل بن سهل الفارسي[2] الملقب بـ(ذي الرياستين)، السيف والقلم، ينقل كتاباً من الفارسية إلى العربية ليحيى البرمكي، فيعجب بفهمه وبجودة عباراته، فيدعوه يحيى البرمكي إلى الإسلام لينال المناصب[3] .

وعمل البرامكة أيضاً على تشجيع الآداب الفارسية، وذلك عندما نظم الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي كتاب(كليلة ودمنة) شعراً ووضعه في أربعة عشر آلاف بيت، وأهداه إلى يحيى بن خالد البرمكي، فعجب به يحيى وأعطاه عشرة ألف دينار عن هذا الكتاب، ممن نظم كتاب كليلة ودمنه أيضاً سهل بن نوبخت[4] ، وقدّمه هدية ليحيى بن خالد، فأجازه عليه[5] .

وأكبر الظن أن الكتب التي كتبها أبان إنما كان يقصد بها ساحة يحيى وأولاده؛ لأنهم جميعاً من الفرس، ولأن في هذه الكتب إحياء للثقافة الفارسية والأدب الذي كان يحيى وأولاده يشجعونه ويجيزونه[6] .

وفي ضوء هذه الأحداث فإن الباحث يستطيع أن يرجح إلى أن الميول القومية لدى البرامكة قد كونت بعض الظلال القاتمة عن الصورة التي كونها عنهم الخليفة الرشيد، كما لا يغيب عنا أيضاً أن الخليفة الرشيد كان يعي جيداً أن العناصر الفارسية ابتداء من أبي مسلم الخراساني قد سجل عليها التاريخ تصرفات معادية تماماً للدولة

---

[1] زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج4، ص164، عبد الغني، المرجع السابق، ص ص260-261.

[2] الفضل بن سهل بن يزدانفروخ، وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة (190هـ)، وكان مجوسياً، وعهد إليه المأمون بالوزارة وقيادة الجيش معه، لذا لقبه الخليفة المأمون بذي الرياستين، سيد، فؤاد صالح، معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م، ص127.

[3] أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص194.

[4] سهل بن نوبخت، فارسي الأصل، وكان في خزانة الحكمة للخليفة هارون الرشيد، وقد نقل العديد من الكتب من الفارسية إلى العربية، معول في علمه على كتب الفرس، وله العديد من الكتب، ابن النديم، المصدر السابق، ص552.

[5] الفلاح، قحطان صالح، القصة على لسان الحيوان كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون نموذجاً، مجلة التراث العربي، دمشق، ع86، 2002م، ص99.

[6] برانق، المراجع السابق، ص 104.

العباسية[1] .

وفضلاً عن هذه العوامل السابقة، كان هناك عوامل أخرى لا يمكن التغاضي عنها لتحريك الخليفة هارون الرشيد ضد البرامكة من هذه العوامل ما يلي:

1- قصة العباسة:

قصة العباسة التي قيل أيضاً بأنها السبب في حدوث نهاية البرامكة، حيث ذكرت المصادر أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الخليفة الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته العباسة، وكان يحضرهما إذا جلس المجلس، وذلك بعد أن أعلم جعفر البرمكي قلة صبره عنه وعنها، وقال لجعفر: "أزوجكها ليحلّ لك النظر إليها، إذا أحضرتها مجلسي على أن لا تمسها، ولا يكون منك شيء مما يكون للرجل إلى زوجته". فزوجها منه على ذلك، فكان يحضرا مجلسه، ثم يقوم من مجلسه ويخليها، ويقال إنها حملت منه خفية ثم وجهت المولود إلى حواضن من مماليكها إلى مكة، فلم يزل الأمر مستوراً عن الخليفة هارون الرشيد ، حتى وقع بين العباسة وبين بعض جواريها سراً، فأنهت أمرها وأمر الصبي إلى الخليفة الرشيد وأخبرته بمكانه ومع من هو من جواريها[2].

وتنقل القصة عند بعض المصادر من طريقة أخرى، وترى العباسة هي التي أوصلت جعفر البرمكي إلى النهاية المشؤمة بعد أن استمالت أمه بالهدايا والألطاف ونفيس الجواهر وكثير الأموال، فاستجابت أم جعفر لها وجمعت بينها وبين ابنها، على أنها إحدى الجواري، فلما قضى حاجته منها عرف جعفر حقيقة الأمر، فأقبل على أمه، وقال لها: "لقد بعتني بثمن بخس وحملتني على المركب الوعر، فانظري إلى ما تؤول إليه حالي"[3] .

---

(1) عمرو، المرجع السابق، ص ص284-285.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص294، المقدسي، البدء والتاريخ, مج6، ص104، ابن العمراني، المصدر السابق، ص79، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص114، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص332-333، ابن الشحنة، محمد الدين أبي الوليد محمد بن محمد، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق حيدر محمد مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص143، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص16، ابن تغري بردي، المصدر السابق، مج5، ص115، االقرماني، المصدر السابق، مج2، ص87، الدواداري، مخطوط ، ص151.

(3) المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص335؛ TAYEB, op.cit,p.44

وعلى الرغم مما أورد في مثل هذه القصة في شأن العباسة وجعفر البرمكي في مصادرنا التاريخية الإسلامية الموثوقة، إلا أنها تحتاج إلى إعادة نظر؛ ذلك لأن هناك مجموعة من المؤرخين تجاهلوا قصة العباسة كسبب لنهاية البرامكة، كخليفة بن الخياط، والدينوري واليعقوبي، وكذلك الجهشياري وهو من فحول مؤرخي العراق، ومن أوثق المصادر يفندها، إذ يرى أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سأل مسرور الكبير في خلافة المتوكل عن سبب إيقاع الخليفة الرشيد بالبرامكة، فأجاب مسرور: "كأنك تريد ما تقول العامة فيما ادعوه من أمر المرأة، لا والله ما لشيء من هذا أصل"[1] . وابن كثير يقول: "ومن العلماء من أنكر ذلك (أي قصة العباسة)[2]، ويعزز ذلك ابن حزم الأندلسي الذي ذكر أن العباسة تزوجها محمد بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن العباس ونقلها إلى البصرة[3] ، ويرى ابن قتيبة أن العباسة كانت متزوجة من هارون بن محمد بن سليمان، وبعد وفاته تزوجت من إبراهيم بن صالح بن عيسى[4] .

ومهما يكن من أمر فإن المؤرخ ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع فند هذه القصة وأنكرها إنكاراً صارخاً معتمداً في إنكاره على التقاليد العربية بصفة عامة وعادات وقيم البيت العباسي بصفة خاصة، حيث يناقش هذه القصة وينفيها لكونها من الحكايات المدخولة للمؤرخين، ويقول في ذلك: "وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها، وأبويها، وجلالها، وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبين الأربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده والعباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العباس عم النبيﷺ، ابنة خليفة، أخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته، وإمامة الملل ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها، قريبة ببداوة العربية وسذاجة الدين البعيدة عن موائد الترف ومراتع الفواحش، فأين يطلب الصون والعفاف، إذا ذهب عنها، أو أين توجد الطهارة والزكاة إذا فقد من بيتها أو كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي

---

[1] المصدر السابق، ص254.

[2] المصدر السابق، ج10، ص204.

[3] المصدر السابق، ص22.

[4] المعارف، ص380.

العجم، بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش ... وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على بعد همته، وعظم إبائه، ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء وملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها، وفي سلطان قوتها واستنكره ولج في تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس"[1].

ولقد أيَّد هذه الآراء جمهور كبير من المؤرخين المحدثين، الذين يرون اختلاط الروايات الموضوعة بالروايات الحقيقية، حتى بات من الصعب التفريق بينها، ونفوا منذ البداية أسطورة العباسة، أخت الخليفة الرشيد وقصة زواجها الصوري من جعفر البرمكي؛ لأنها رواية لا تتفق مع النقد الداخلي لمتن الرواية ولا أمام النقد الخارجي[2] ، حيث أوضحوا أن القصد من وراء أسطورة العباسة هو الحط من مكانة الخليفة الرشيد، وطعنه في كرامته وعرضه، ولا شك أنها من وضع الشعوبية الفارسية، التي أرادت الانتقام من الخليفة الهاشمي العربي الذي أوقع بالبرامكة العجم، ولاشك أن الخليفة الرشيد لا يمكن أن يطعن في رجولته ومروءته بمثل هذه الصورة المزرية التي تجمع بين أخته وجعفر البرمكي بزواج صوري[3].

وهكذا يتضح لنا تهاوي هذا السبب وبالتالي عدم صلاحيته لأن يكون منطلقاً في دراسة نهاية البرامكة[4] .

2- الوشايات والسعايات:

ليس من شك في أن سيطرة البرامكة الفرس على السلطات وارتفاع منزلتهم عند الخليفة الرشيد كان يشكل خطر كبيراً على خصومهم من زعماء الحزب العربي وغيرهم، فأخذوا يسعون بهم عند الخليفة الرشيد، ويذكرون له استبدادهم بالملك حتى

---

[1] المصدر السابق، مج1، ص22.

[2] حسن، المرجع السابق، ج2، ص140، الدوري، العصر العباسي الأول، ص128.

[3] العبادي، المرجع السابق، ص86.

[4] عمرو، المرجع السابق، ص278.

أوغروا صدره فأوقع بهم، ولقد لعب الحاجب الفضل بن الربيع الدور الأعظم في السعي للإيقاع بهم[1] ، وخاصة أنه كان من أشهر المنافسين للبرامكة[2] ، وواحد من رجالات العرب الطامحين إلى تبوء منصب الوزارة الذي كان يحتله البرامكة[3] .

وتشير الروايات العربية إلى وجود شحناء بين الحاجب الفضل بن الربيع والبرامكة، حيث دخل يوماً على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه، فعرض عليه الفضل عشر رقاع للناس، فلم يوقع له في واحدة منهن، فجمع رقاعه وخرج وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال والزمـــان عثور

فتقضي لبانات و تشفـــى حسايف ويحدث من بعد الأمور أمور[4]

فقال له يحيى بن خالد:"عزمت عليك يا العباس إلا رجعت" فرجع فوقع له فيها[5]،وهذه الحادثة تدل على شعور البرامكة بما يضمره لهم الفضل بن الربيع ورغبته في القضاء عليهم، فبدأ بمعاكسته ورفض طلباته.

وفي حادثة أخرى بحضرة الخليفة الرشيد حدث نزاع بين جعفر بن يحيى والفضل بن الربيع، فقال جعفر للفضل: "يا لقيط"، إشارة إلى ما كان يقال عن أبيه الربيع أنه لا يعرف أبوه، فقال الفضل بن الربيع: "اشهد يا أمير المؤمنين، فقال جعفر للخليفة الرشيد: تراه عند من يقيمك هذا الجاهل شاهداً يا أمير المؤمنين، وأنت حاكم الحكام"[6] . وفي هذا أشارة إلى سوء العلاقة بين البرامكة والحاجب الفضل بن الربيع الأمر الذي جعل الفضل بن الربيع يلعب دوراً رئيساً في إيغار صدر الخليفة الرشيد على البرامكة، إذ ساءه وساء غيره من أعوان العرب استئثار الفرس بالمناصب

---

[1] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص118.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص249، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ص202-203.

[3] زكار، المرجع السابق، ص260.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص206، اليافعي، المصدر السابق، ج2، ص42، ابن العماد الحنبلي، المصدر الســابق، ج2، ص ص20-21.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص206.

[6] المصدر نفسه، ج3، ص206، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص ص20-21.

الحساسة في الدولة وسيطرتهم على شؤونها وتنحية العنصر العربي[1] . ولكون الفضل بن الربيع كان حاجب للخليفة الرشيد فقد سهلت عليه هذه المهمة الاتصال الدائم به، حيث جعل الفضل بن الربيع العيون على البرامكة، وقد أخبره أحد جواسيسه بإطلاقهم ليحيى بن عبد الله العلوي[2] ، فكان للفضل بن الربيع دوره في استغلال قيام جعفر بن يحيى البرمكي بتسهيل مهمة فرار الإمام العلوي يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوي من السجن، وأبلغ الخليفة الرشيد بذلك، فادعى الخليفة أن هذا تم بعلمه[3] .

وقائع كهذه تؤكد الحكم الذي يعطيه عبد الله بن سليمان بن وهب، إذ قال: "إذا أراد الله تعالى هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسباباً، فمن أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم مع الفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم"[4] .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن هذا الاحتمال على أهميته لا يكفي سبباً، فبإمكان الخليفة عزلهم ومراقبتهم، وتقليد الوزارة للفضل بن الربيع، من دون الفتك بأفراد الأسرة البرمكية[5] .

لم يكن السعي والوشاية على البرامكة لدى الخليفة الرشيد يقتصر على الحاجب الفضل بن الربيع فحسب، إذ أن سلوك البرامكة وكبرياءهم وتألقهم المبالغ فيه واستخفافهم بالغير كان له أثره في خلق العداوات لهم، وكان على رأس هؤلاء السيدة زبيدة زوج الخليفة الرشيد التي كانت تشعر بنفوذ كبير للبرامكة وعلاقتهم الحميمة بزوجها وخاصة الوصي على ابنها المأمون المنافس لابنها الأمين[6] ، وغالباً ما كانت تشكوهم لزوجها الخليفة الرشيد،حيث كان يحيى يضايقها ويقيد تصرفاتها، ويحكى أن الخليفة الرشيد عاتبه مرة على أثر شكايتها له، فرد عليه قائلاً: "أمتهوم في حرمك، قال

---

(1) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، 1961م، ص132، سالم، المرجع السابق، ص140، دخيل، المرجع السابق، ص56، نظام الحجابة في النظم العربية الإسلامية دراسة مقارنة من سنة (41-741هـ/671-1055م)، اليوزبكي، توفيق سلطان، مجلة آداب الرافدين، بغداد،ع22، 1991م، ص318.

(2) الدوري، العصر العباسي الأول، ص135، سالم، المرجع السابق، ص140.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص289، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص114، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص202، ابن كثير، المصدر السابق، ج 10، ص204، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص115.

(4) الجهشياري، المصدر السابق، ص ص252-253.

(5) زكار، المرجع السابق، 260، بيطر، المرجع السابق، ص150.

(6) مؤلف مجهول ،ألف ليلة وليلة، هذبه أنطوان صالحاني اليسوعي وآخرون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط4، 1800م، الكتاب الرابع، ص39، كلو، المرجع السابق، ص139.

الخليفـة: لا، فقـال:لا تقبـل شـكايتها"[1] . ويعـزز ذلـك مـا رواه المسـعودي أن زبيـدة غضبت من جعفر البرمكي ،لأنه أكد على الأمين في الكعبة بأن لا يغيل على أخيه المأمون، فكانت أحد من حرض الخليفة الرشيد وبعثه على ما نزل به[2] .

وفضلاً عن السيدة زبيدة، كان هناك من يعمل على تغيير نفس الخليفة الرشيد على البرامكة، من بينهم محمد بن الليث، الذي رفع إلى الخليفة الرشيد رسالة يعظه فيها، مؤداها أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً، وقد جعلته فيما بينك وبين الله، فكيف أنت إذا وقفت بين يديه، فسألك عما عملت في عباده وبلاده، فقلت: "يا رب أني استكفيت يحيى أمور عبادك! آنذاك تحتج بحجة يرضى بها!" مع كلام فيه توبيخ وتقريع[3] . حيث كان البرامكة يكرهون محمد بن الليث هذا الذي كان ضدهم وضد تصرفاتهم[4] ، ولذلك يبين الطبري أن هذا السعي كان له أعظم الأثر في نهاية البرامكة[5] .

وكان لعلي بن عيسى بن ماهان والي خراسان من قبل الخليفة الرشيد[6] دور هام في تحريض الخليفة هارون الرشيد ضد البرامكة، ولاسيما أنه كان من الذين يناصبون البرامكة العداء[7] ، وخاصة بعد أن رفض يحيى بن خالد تعيينه والياً على خراسان حينما استشاره الخليفة الرشيد في ذلك، وطلب رأيه، فقال يحيى: "إن علياً رجل جبار ظالم والرأي لأمير المؤمنين"[8] ، إلا أن الخليفة ولى علي بن عيسى إغاظة ليحيى البرمكي، ويبدو أن هذه القضية كانت بوادر انتكاسة البرامكة[9] .

ويرجح البعض أن مشورة الخليفة الرشيد ليحيى البرمكي من قبيل الامتحان له، ولربما أن الخليفة قد دبر مع علي بن عيسى بن ماهان معالجة الوضع في خراسان[10]

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص333، الدوري، العصر العباسي الأول، ص134، اليافعي، المصدر السابق، ج1، ص409.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص335، دخيل، المرجع السابق، ص55.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص288.

[4] فوزي، الخلافة العباسية، ص200.

[5] المصدر السابق، ج8، ص288.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص288، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص441.

[7] عمرو، المرجع السابق، ص290.

[8] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص441.

[9] عمرو، المرجع السابق، ص290.

[10] المرجع نفسه، ص290.

، ويدل على ذلك ما أوردته المصادر حيث ذكرت أن علي بن ماهان لما ذهب إلى خراسان بادر بقطع أرزاق الجند الخراسانيين، فانحل الجيش الذي سبق أن جنَّده الفضل البرمكي[1] .

ويرى فاروق عمر أن تعيين علي بن عيسى والياً على خراسان وبلاد فارس عامة محاولة من الخليفة الرشيد لاتباع سياسة مخالفة لسياسة البرامكة هناك، حيث أعاد سلطة الحكومة المركزية الكاملة، وألغى إجراءات ما طبقه البرامكة من حكم[2].

تتابعت الأحداث بعد ذلك، وكلها كان يضيف المزيد إلى شكوك الخليفة هارون الرشيد في ولاء البرامكة وإخلاصهم ، حيث ذكر ابن الأثير بأن علي بن عيسى سعى بموسى بن يحيى واتهمه في أمر خراسان، وأعلم الخليفة أنه يكاتبهم ليسير إليهم ويخرجهم عن الطاعة، فأثر ذلك في نفس الخليفة الرشيد، فحبسه ثم أطلقه[3] .

وإلى جانب ذلك يبدو أن هناك من كان يعمل بالخفاء وبأسماء مجهولة بالوشاية والسعاية للخليفة ضد البرامكة، ويدل على ذلك توزيع أوراق ورسائل مجهولة التوقيع كانت توزع لتحريض الخليفة الرشيد ضد البرامكة، ومن ذلك أن أحد الأشخاص المجهولين أرسل إلى الخليفة رسالة يحرضه ضدهم، يقول فيها:

هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً ... مثلك ما بينكما حدُّ
أمركَ مردود إلى أمره ... وأمْرُه ليسَ لهُ ردُّ
ونحن نَخشى أنهُ وارثَ ... ملكَ إنْ غيّبك اللحدُ
ولنْ يباهي العبدُ أربْابَهُ ... إلا إذا ما بَطِرَ العبدُ[4]

ومن ضمن هذه الرسائل المجهولة لتحريض الخليفة الرشيد ضد البرامكة هذه الأبيات:

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعدْ ... وشفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ
واستَبدّتْ مرّةً واحدةً ... إنّما العاجزُ من لا يُستَبِدْ[1]

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص228، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص441.

[2] العراق والتحدي والفارسي، ص62.

[3] المصدر السابق، ج5، ص115.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص335، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص33، اليافعي، المصدر السابق، ج1، ص411.

علماً أن هذا الشعر كان لعمر بن أبي ربيعة[2].

وهكذا جاء خصوم البرامكة من جهة السياسة والدين والدولة، حاولوا إثارة شكوك الخليفة الرشيد في تصرفاتهم[3] ، وقد نجحوا في إيغار صدر الخليفة الرشيد على البرامكة، فانفجر بركان غضبه عليهم، إذ خشي من فلتان زمام الأمور من يديه وتتحول دولته إلى دولة فارسية، ويتحقق للموالي حلمهم القديم الذي ما انفكوا يسعون لتحقيقه منذ البداية[4] .

كما ذكرت بعض المصادر التي بين أيدينا عن سبباً أيضاً ما لا تعده العامة سبب، وهو أقوى الأسباب، ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول، وقد تعلق بأستار الكعبة في حجته: "اللهم إن كان رضاك أن تسلبني نعمك عندي فاسلبني، اللهم إن كان رضاك أن تسلبني مالي وأهلي وولدي فاسلبني إلا الفضل"، ثم وَلَّى فلما كان عند باب المسجد رجع، فقال مثل ذلك وجعل يقول: " اللهم إنه سمج لمثلي أن يستثني عليك اللهم والفضل". وسمع أيضاً وهو يقول في ذلك المقام: "اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك، اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي حتى يبلغ رضاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة"، فاستجاب له، فلما انصرفوا من الحج ونزلوا الأنبار ونزل الخليفة الرشيد العمر نكل بهم[5] .

وبعض المؤرخين المحدثين يرون أن نهاية البرامكة وهلاكهم الجماعي هو عقاب جماعي على فعل جماعي خطط له، لكنه لم يتم، فالخليفة الرشيد لم يرق دماً يوماً، ولم يسجن شخصاً في أي يوم إلا لسبب يقرره الدين والعقل والمنطق السليم، فمن باب أولى لا ينكل بجماعة بسبب ظن أو بسبب إساءة فردية من أحد أفرادها[6].

ومن المحتمل أن تكون المدة الطويلة التي حكمها البرامكة (سبعة عشر عاماً)،

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص ص126، البيهقي، المحاسن والمساوى، ج2، ص80.

[2] ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، ط1، 1992م، ص164.

[3] الدوري، العصر العباسي الأول، ص136.

[4] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص135.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص292-293، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص114-115، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص115.

[6] أبو خليل، المرجع السابق، ص242.

قد أدت إلى ضجر الخليفة الرشيد منهم، وإلى ميله لإبدالهم، فأوقع بهم[1] ، ويشير إلى ذلك ما ورد على لسان يحيى بن خالد عندما أبلغه جبريل ذَمَّ الخليفة الرشيد له عندما ارتفعت ضجة شديدة على بابه بعد مدحه له سابقاً، إذ قال: "إنه لم يكن مني في هذه الحالة التي ذمني فيها شيء لم يكن مني في ذلك الوقت الذي أحمدني فيه، ولكن المدة التي آذنت بالانقضاء جعلت المحاسن مساوئ، ومن أراد أن يتجنى قدر نسأله حسن الاختيار"[2].

ولما سُئِل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الخليفة الرشيد، قال:"والله ما كان منهم ما يوجب بعض عمل الرشيد بهم، ولكن طالت أيامهم وكل طويل مملول، والله لقد استطال الناس الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب ﷺ وما رأوا مثلها عدلاً وأمناً، وسعة أموال وفتوح أيام عثمانﷺ، حتى قتلوهما"[3] .

قد تكون نهاية البرامكة نتيجة لسبب بعينه من هذه الأسباب التي ذكرها المؤرخون والراجع أنها كانت نتيجة لتضافر هذه الأسباب مجتمعة، ولكننا لا نعلم علم اليقين السبب الحقيقي لهذه النهاية القاسية لحكم البرامكة؛ ذلك لأن الخليفة الرشيد لم يفصح عنه لأي إنسان[4] ، ويخبرنا اليعقوبي عن تكتم الخليفة في هذا الأمر، فيروي أن الخليفة الرشيد كان يقول: "لو علمت يميني السبب الذي له فعلت هذا لقطعتها"[5]. وكذلك الطبري الذي ذكر أن الخليفة الرشيد خاطب السندي بن شاهك قائلاً: "قد بعثت إليك في أمر لو علم به زر قميصي رميت به في الفرات"[6] .

لذلك أصبحت مهمة المؤرخ صعبة في كشف حقيقة الأمر الذي ربما يرجع إلى عدم رغبة الخليفة في أن تنشأ إلى جانب سلطته سلطة أقوى منها وبلاط آخر يضاهي بلاطه، لقد شعر الخليفة أنه بلا سلطان، ولم يعد له مع البرامكة تصرف في أمور ملكه، فنفوذهم السياسي طغى على نفوذه[7] ، فقد أساءوا استعمال السلطة، وأطلقوا

---

[1] فرج، المرجع السابق، ص91.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص226.

[3] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص335.

[4] فرج، المرجع السابق، ص93.

[5] المصدر السابق، مج2، ص422.

[6] المصدر السابق، ج8، ص ص297-298.

[7] فرج، المرج السابق، ص93.

عدو الخليفة الرشيد من دون علمه، وأنفقوا الأموال على قصورهم وخدمهم وبني ملتهم، وتطاولوا في بنيانهم وحموا الشعوبية وكل من هو فارسي، كل ذلك على حساب الخليفة الرشيد، كذلك قال الخليفة بعد أن تخلص منهم:

إن استهانتـــه إذا وقعـــت لبقدر ما تعلـــو بهـــا رتبه

وإذا بـــدت للنمل أجنحـــة حتى يطير فقد دنا عطبه[1]

فلو كان الخليفة الرشيد ليس له سبباً في العمل على التخلص من البرامكة وإنهائهم، لما كان هناك هدوء سياسي من بعدهم، فقد قتلهم فلم يتكلم أحد ولم تثر هناك ثائرة على حد علمنا.

---

[1] هارون الرشيد، ديوان هارون الرشيد، تحقيق سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص22، أبـــو خليـــل، المرجـــع السابق، ص246.

الفصل الرابع

القضاء على البرامكة ونهايتهم
سنة (187 هـ / 802 م)

المبحث الأول – تجريد البرامكة من سلطاتهم.

المبحث الثاني – نهاية البرامكة.

المبحث الثالث – أثر نهاية البرامكة على الأوضاع العامة في خلافة هارون الرشيد.

إذا كان السبب الحقيقي لنهاية البرامكة لايزال حتى الآن لغزاً غامضاً على الفهم والتأويل، فالذي لاشك فيه أن الأسباب العديدة التي مَرّ ذكرها، والمؤدية إلى نهايتهم، قد تعاونت مجتمعة، فنفذت إلى وجدان الخليفة هارون الرشيد، وساهمت في إضعاف روح التسامح التي تميَّز بها الخليفة مما دفعته إلى قتلهم، فضلَّ ذلك ماثلاً على مَرَّ التاريخ[1] ، فقبل الحديث عن نهاية البرامكة لابد لنا من إلقاء نظر سريعة على مظاهر العلاقات المتوترة بينهم وبين الخليفة، والتي ترجع بدايتها إلى ما قبل السقوط، حيث تعود هذه التطورات إلى سنة (178هـ / 794م)؛ إذ إنه ومنذ ذلك التاريخ يمكننا القول أن الخليفة الرشيد أخذ يتابع بدقة تصرفات البرامكة، وفي نفس الوقت بدأ في تنفيذ سياسته الرامية إلى تقليص نفوذهم تدريجياً، وكان هذا النفوذ قد وصل إلى أقصاه متمثلاً بالدرجة الأولى في يحيى، وولديه الفضل وجعفر، والسلطات الواسعة التي كان يمارسها كلٌّ منهم، كما أوضحناه، وبالدرجة الثانية فإن نفوذ البرامكة كان له أيضاً وجود مماثل في أقاربهم وأتباعهم والمقربين إليهم، والذين وضعهم البرامكة في مختلف المراكز والوظائف في الدولة، حيث كان نفوذهم من القوة والشمول بحيث بدأ الخليفة الرشيد يقلق من هذا النفوذ، وإلى جانب ذلك فإن مختلف العناصر والأمور التي كونت لدى الخليفة الرشيد وموقفهم المعادي لم تكن قد تكاملت بعد في ذهن الخليفة الرشيد[2] .

كان الخليفة الرشيد قد أعطى البرامكة سلطات كبيرة، وأفسح لهم المجال في الأمور، فكان لهم أثر مهم في تسيير دفة الدولة، وبخاصة في حياة الخيزران، ولكن يجب ألا يستنتج من ذلك أن الخليفة الرشيد كان عاملاً لا يعتد به أو أن البرامكة كانوا أحراراً في جميع تصرفاتهم وغير خاضعين للرقابة، فهناك ما يدل على أن الخليفة الرشيد كان يراقبهم، وأنهم لم يكونوا دائماً مسيطرين على كل شيء[3] .

---

[1] فرج، المرجع السابق، ص100.

[2] عمرو، المرجع السابق، ص289.

[3] الدوري، العصر العباسي الأول، ص168؛ D. ETJ, op. cit, p. 64

لم يكن الرشيد بالخليفة الذي يتساهل في حقوقه، فقد كان على قدر كبير من الدهاء، إذ أنه اظهر في بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ، وعول في نفس الوقت على انتهاز الفرصة لاستعادة ما أخذوه من سلطته[1] . في حين بدأ الخليفة خطته في القضاء عليهم وعلى مراحل وهي:

المبحث الأول / تجريد البرامكة من سلطاتهم:

شرع الخليفة الرشيد في سياسته هذه منذ سنة (173هـ / 795م)[2] ، وهي السنة التي توفيت فيها الخيزران، حيث أن الخليفة الرشيد أخذ الخاتم يوم وفاتها من البرامكة، وسلمه إلى عدوهم الفضل بن الربيع[3] ، وقد صَرَّحَ بذلك الخليفة الرشيد بعد موتها؛ إذ قال للفضل بن الربيع الذي أصبح وزيره فيما بعد وهو لا يزال على قبرها: "بحق المهدي . وكان لا يحلف به إلا إذا اجتهد في اليمين . أني لأهم لك من الليل في شيء من التولية وغيرها فتمنعني رحمها الله فأطيع أمرها"[4] ، وهو أمر كانت الخيزران تعارضه باستمرار[5] ، وولى الفضل بن الربيع نفقات العامة والخاصة وبادوريا[6] والكوفة[7] .

ويفسر بعض المستشرقين أن غاية الخليفة هارون الرشيد من هذا العمل أن يعبر عما يريده من إحداث عدل لتأثير أسرة بني برمك التي ينحدر منها وزيره، ولم يقدر يحيى البرمكي إلا على بعض التخفيف من صرامة هذا الإجراء[8] .

يستشف من الرواية السابقة أن سلطة البرامكة المطلقة لم تستمر أكثر من أربع سنين، ذلك أن وفاة الخيزران سنة (173هـ / 795م) كانت بداية لنهاية نفوذهم الذي

---

[1] العش، المرجع السابق، ص66.

[2] الدوري، العصر العباسي الأول، ص168، خرايسات، محمد عبد القادر، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الأردنية، الأردن، ط1، د.ت، ص84.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص238، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص87.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص238، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص87.

[5] كلو، المرجع السابق، ص ص59-60.

[6] بادوريا، من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص317.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص238.

[8] كلو، المرجع السابق، ص60.

بدأ يتقلص بصورة تدريجية رغم أنها بطيئة؛ لأن الخيزران كانت السند المهم ليحيى البرمكي، ولأنها كانت تميل إلى البرامكة وتعطف عليهم للموقف الذي وقفه يحيى البرمكي مع الخليفة هارون الرشيد عندما أراد الخليفة الهادي البيعة لابنه بدلاً من أخيه[1] .

ثم تتابعت إجراءات الخليفة الرشيد في مواقف عديدة، منها في سنة (177هـ / 793م) عندما عزل الخليفة هارون الرشيد جعفر بن يحيى عن ولاية مصر، وولى عليها إسحاق بن سليمان[2] ، وفي سنة (179هـ / 795م) صرف محمد بن خالد بن برمك من حجابته وقلَّدها الفضل بن الربيع[3] ، وفي سنة (180هـ / 796م) ولى علي بن عيسى بن ماهان أحد أعداء البرامكة على خراسان ضد رغبة يحيى البرمكي، وذلك أنه عندما استشار الخليفة الرشيد في ذلك يحيى البرمكي وطلب رأيه، فقال يحيى:" إن علياً رجل جبار ظالم، والرأي لأمير المؤمنين"، وقد كانت أحوال البرامكة في ذلك الوقت على وشك الانتكاس[4] ، وإذا علمنا أن خراسان من الولايات المهمة، استطعنا تقدير خطورة تلك الخطوة (التولية)[5] ، كما أن تعيين علي بن عيسى قائد فرقة الأنباء في بغداد والياً على خراسان وبلاد فارس عامة، محاولة من الخليفة الرشيد لأتباع سياسة مخالفة لسياسة البرامكة هناك، وقد حاول الوالي الجديد علي بن عيسى بن ماهان أن يعيد السلطة الحكومية المركزية الكاملة، ويلغي إجراءات ما يصطلح عليه بالوقت الحاضر (الحكم الذاتي) التي طبقها البرامكة، بما فيها الإجراءات المالية والتسهيلات الضريبية، بدلاً من الوعد بأن ينفق ريع أقاليم بلاد فارس على أهلها، وأن تقدم الحكومة المركزية في بغداد مساعدات مالية إضافية، وقد استطاع علي بن عيسى بن ماهان أن يجبي من الشرق نحو عشرة ملايين درهم سنوياً ويرسلها إلى دار الخلافة[6] . وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على أن الخليفة الرشيد قد دَّبر مع علي بن

---

[1] فوزي، العرق والتحدي الفارسي، ص60.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص255، ابن كثير، المصدر السابق، ج 10، ص184.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص233، الدوري، العصر العباسي الأول ص169.

[4] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص441.

[5] الدوري، العصر العباسي الأول، ص169.

[6] فوزي، العراق والتحدي الفارسي، ص62.

عيسى معالجة الوضع في خراسان[1] ، ولهذا فإن الجهشياري يذكر أنه لما ذهب علي بن عيسى إلى خراسان بادر بقطع أرزق الجند الخراسانيين وحلَّ الجيش الذي سبق إن جنَّده الفضل بن يحيى وجمع الأموال[2] ، وهذا ما يتعارض مع سياسة البرامكة المتساهلة في خراسان، إن ما قام به علي بن عيسى باتفاق مع الخليفة في خراسان هو محاولة من الخليفة من أنتزاع سلطات البرامكة في خراسان، وخاصة بعد أن قام علي بن عيسى بتفكيك فرقة (العباسية)التي جنَّدها الفضل البرمكي، ذلك لأن الخليفة الرشيد كان يشك في طبيعه هذا الجيش والهدف من إنشائه، ولهذا فإنه لجأ إلى الأسلوب الدقيق المتزن في تحطيم الجيش الخراساني، وقد نجح الخليفة الرشيد في ذلك إلى حد بعيد[3] .

في سنة (180هـ / 796م) عزل الخليفة الرشيد الفضل بن يحيى عن ولاية طبراستان والروّيان، وولى ذلك عبد الله بن خازم، وعزل الفضل أيضاً عن الريّ، وولاها محمد بن يحيى بن الحارث[4] .

وفي السنة نفسها وَلَّى الخليفة هارون الرشيد جعفر البرمكي على خراسان وسجستان، واستعمل عليها عيسى بن جعفر، وعهد إليه في نفس السنة أمر الحرس (حرس الخليفة)[5] ، إلا أنه ما لبث أن أخذ الخليفة الحرس، فقال جعفر البرمكي للقائد هرثمة بن أعين: "ما انتقلت نعمة صارت إليك"[6] ، كما أخذ الخليفة الخاتم ودفعه إلى أبيه يحيى البرمكي[7] .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه في سنة (181هـ / 797م) استعفى الخليفة هارون الرشيد يحيى البرمكي من الولاية، فقبل ذلك منه، فسأل الخليفة الرشيد السماح له في المقام بمكة فسمح له ولم يرجع يحيى البرمكي إلى بغداد إلا في السنة التالية أي

---

[1] عمرو، المرجع السابق، ص290.

[2] المصدر السابق، ص228، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص441.

[3] عمرو، المرجع السابق، ص298.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص189، ابن خلدون، المصدر السابق، مج3، ص473.

[6] الجهشياري، المصدر السابق، ص207.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص266، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص103.

سنة (182هـ / 798م)[1] .

ولم تحل سنة (183هـ / 799م) حتى تغيرت سياسة الخليفة تجاه البرامكة بشكل ظاهر، حيث سخط على الفضل بن يحيى وعفاه عما كان يتقلّده[2] ، وتشير الرواية التاريخية أنه عزل عن مصب ولاية أرمينيا، ولكنه احتفظ ببريد الموصل وديار بكر التي أراد الخليفة إعطاءها إلى الحاجب الفضل بن الربيع[3] .

وبذلك فقد جرده الخليفة هارون الرشيد من جميع الأعمال التي كان يتقلَّدها سابقاً، مما ألزم بالفضل بن يحيى أن يتوسط أمه زينب إلى الخليفة الرشيد، فرضي عنه الخليفة، وأقرّه مع الأمين لحضانته، ولم يرد إليه شيئاً من أعماله[4] .

وقد مَسَّ توتر العلاقات شخص يحيى نفسه، والذي كان من قبل بمنزلة الأب لدى الخليفة الرشيد، وكان يقول له: "يا أبَة"؛ ولكن الأمر لم يستمر على ما هو عليه، حيث تقدم المصادر التاريخية أكثر من رواية في هذا الشأن، أظهر فيها الخليفة وطبيبه الخاص جبريل بن بختشوع تعليقاً على دخول يحيى البرمكي إلى حضرة الخليفة الرشيد من دون إذن خاص، ومؤدى الرواية: دخل يحيى بن خالد على الخليفة الرشيد في مجلسه، وكان عنده جبريل بن بختشوع، وكان يحيى فيما مضى يدخل بلا إذن، فلما دخل وصار بالقرب من الخليفة وسلَّم رد عليه الخليفة رداً ضعيفاً، فعلم يحيى البرمكي أن أمرهم قد تغير، ثم أقبل الخليفة الرشيد على جبريل، وقال له:

"يا جبريل يدخل عليك وأنت في منزلك أحد بلا إذنك. فقال له: لا ويطمع في ذلك،. فقال له الخليفة: فما بالنا يدخل علينا بغير إذن، فقال يحيى: ما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب، فإذا قد علمت فإني سأكون عنده في الطبقة التي تجعلني فيها، فاستحيا الخليفة وقال له: ما أردت ما تكره"[5] .

وفي مناسبة أخرى قال الخليفة الرشيد لمسرور الخادم: "مَرَّ الغلمان إلا يقوموا ليحيى إذا دخل الدار"، ولما طبق الغلمان أوامر الخليفة تغَّير لون يحيى، وترتب على

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص268، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص191.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص227.

[3] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

[4] الجهشياري، المصدر السابق، ص227، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص287-288، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115.

ذلك أن أعرض الغلمان والحجاب عنه، حتى إنه ربما طلب شربة ماء فلا يستجاب له[1] .

وبدأ يحيى البرمكي يراوده شعور تغير الخليفة الرشيد عليه، لذلك ركب إلى صوله من الهاشميين، فشاوره في أمره، فقال: إن أمير المؤمنين قد أحب جمع المال، وقد كثر ولده، فأحب أن يعقد لهم الضياع، وقد كثر على أصحابك عنده، فلو نظرت إلى ما في أيديهم من ضياع وأموال فجعلتها لولد أمير المؤمنين، وتقربت بها إليه، رجوت لك السلامة ولهم في ذلك من مكروهه، فقال يحيى:" يا أخي جعلني الله فداك لأن تزول عني النعمة، أحبّ إلي من أن أزيلها عن قوم كنت سبباً لهم" [2] .

وترى الروايات التاريخية أن يحيى البرمكي دخل يوماً على الخليفة هارون الرشيد وهو لوحده وكان قد تغَّيرت حاله تجاهه فرجع فعرف خبره، فقال الخليفة لبعض الخدم "الحق يحيى فقل له:خننتني فاتهمتني، فأجاب يحيى البرمكي الرسول قول لأمير المؤمنين: إذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة والله ما انصرفت من خلوتك إلا تخفيف عنك"[3] ، وهذا كلام لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "إذا انقضت المدة كان الهلاك في العدة"، وسرق هذا المعنى ابن الرومي[4] ، فقال:

غَلِطَ الطَّبِيبُ عَلَى غَلْطَةً مَ□ُورد عَجَزتْ مَ□حَالتَهُ عن الإصْدارِ

والنَاسُ يَلْحَوْن الطَّبيب وَإنمَا غَلَطُ الطَّبيبِ إِصابَةُ المقدارِ[5]

ويبدو أن جعفر البرمكي قد لاحظ تغيَّر الخليفة بأم عينه، ولكنه لم يصدق نفسه، فاستشار أحد أصحابه، وهو إبراهيم بن المهدي، وكلفه بمتابعة الخليفة في هذا الأمر مبيناً له أنه قد استراب من الخليفة، وأنه يريد أن يتأكد من ريبته هذه عن طريقه، وطلب منه إبلاغه بما يراه من الخليفة الرشيد تجاهه، فلما ذهب إبراهيم ابن المهدي إلى الخليفة وعاد إلى البرمكي، قال له: "رأيته يجد إذا هزلت ويهزل إذا جددت وهذه

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص216.

[2] المصدر نفسه، ص227.

[3] المصدر نفسه، ص227.

[4] ابن الرومي، أبو الحسن بن علي بن العباس بن جريح، وقيل جورجيس المعروف بابن الرومي، ولد في بغداد سنة 221هـ، مات مسموماً سنة 283هـ أو 284هـ. ديوان ابن الرومي، شرحه أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ص146.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص227-228.

نهاية التغير". فقال جعفر: "صدقت والله يا خليلي ونحن نستكفي الله بوادره"[1] .

وفضلاً عن كل الإجراءات التي اتخذها الخليفة بشأن البرامكة بتجريدهم عن سلطاتهم وعزلهم عن مناصبهم فإنه كان يراقبهم سرّاً[2] ،وأن الخليفة الرشيد لم يكن غافلاً[3] عن أعمال البرامكة وازدياد نفوذهم يوماً بعد آخر، ولأن الخليفة الرشيد كان من أشد الخلفاء العباسيين بحثاً عن أسرار رعيته، وأكثرهم بها عناية، وأخبرهم فيها أمراً، فكان لابد له من تتبع أخبار البرامكة سراً حتى يلمّ بتصرفاتهم وممارستهم، وذلك لن يكون إلا عن طريق عيونه المنتشرة في كل مكان[4] .

هكذا أخذ الخليفة الرشيد يخطط بحذر شديد للقضاء على البرامكة عندما عمل على تقليص نفوذهم وتجميد سلطاتهم، والحد من سطوتهم، وبالتدريج أعرض عنهم قبل أن يقدم على القضاء عليهم، التي أعقب ذلك في الوقت الذي رآه مناسباً بتوجيه ضربته القاضية لهم[5] .

المبحث الثاني / نهاية البرامكة:

لم يدم ما كان يتمتع به البرامكة من سلطات، فبعد أن دانت لهم دنيا المسلمين، وتعاظمت سلطاتهم التي كانت تهدد نفوذ وسلطان الخليفة نفسه[6] ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأنكر عليهم ما كانوا يتمتعون به من نفوذ في نفوس العامة والخاصة، وما كان لهم ولمحاسيبهم من سلطان فاق سلطان الخليفة، وما احتازوه لأنفسهم من ثروات ضخمة[7] ، الأمر الذي جعل الخليفة يجمع أخطاءهم بعد متابعتهم بشكل دقيق حتى تجمعت جميع المظاهر التي توحي بنهايتهم[8] .

وعلى الرغم من أن الخليفة الرشيد كان يحتاط بكتمان أمر نهايتهم؛ إذ لا يعلمه

---

[1] ابن بكار، الزبير بن بكار، الأخبارالموافقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، د.ط، د.ت، ص283، الصولي، كتاب الأوراق، ص45، خواندمير، المصدر السابق، ص173.

[2] الدوري، العصر العباسي الأول، ص127.

[3] عبد الغني، المرجع السابق، ص260.

[4] عمرو، المرجع السابق، ص301.

[5] المرجع نفسه، ص301.

[6] العسيلي، المرجع السابق، ص90.

[7] براتق، المرجع السابق، ص258.

[8] الناطور وآخرون، المرجع السابق، ص272، بروى، المرجع السابق، مج3، ص128.

أحد تصريحاً ولا تلميحاً، ولكنه كان يشتد به الضيق أحياناً إلى حد يجعله تصدر عنه أمور لو تنبه لها البرامكة، لاحتاطوا لأنفسهم[1] ، فقد أوردت بعض الروايات التاريخية ما يوضح أن الخليفة الرشيد كان يعد ويخطط لضرب البرامكة، وذلك قبل سنة (187 هـ / 802م) بعدة سنوات[2] ، وهذا يدل على أن نهاية البرامكة وما حل بهم لم يكن أمراً عارضاً أو تدبيراً عاجلاً اتخذه الخليفة الرشيد[3] ، أو وليد انفعال مفاجئ من قبل الخليفة، بل كان تدبيراً مخططاً له ولدته أحداث تراكمت مع بعضها[4] ، فقد ورد عن بعض الهاشميين، ممن كان موضع ثقة عند الخليفة الرشيد قوله: كنت أساير الرشيد يوماً ومعه أبناه الأمين والمأمون فجعل يحدثني، وبدأ يشاورني في أمر البرامكة، وأخبرني بأنهم استوحشوه من أنفسهم، كما أخبرني بما أضمره لهم، فقلت يا أمير المؤمنين إني أرى فضلك عليهم بما صاروا إليه من النعمة، وأمرك نافذ فيهم، وهم عبيدك، وما صنعوا ذلك إلا بك، فشكى اليَّ كثرة ضياعهم، فقلت له إن الخليفة لايحسد ولا يحقد، ولا ينعم نعمة ثم يفسد نعمته، فشعرت أنه كره قولي، وزوى وجهه عني، وعلمت أنه سيوقع بهم لا محالة، وكان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم[5] ، أي في سنة (187هـ / 802م) [6].

ورُوي عن إسماعيل بن صبيح أحد الأعيان ما جرى له مع الخليفة الرشيد قبل القضاء على البرامكة بثلاث سنين أنه قال: "إن الخليفة الرشيد بعث يطلبه بالمجيء إليه إلى بغداد، فلما وصل دخل على الخليفة الرشيد لم يرى في المقاصير والأروقة أحد، فلما انتهى إلى الخليفة الرشيد، أمره أن يتأكد من أنه ليس هناك من أحد قط، فخرج هو ومعه الخليفة الرشيد الذي كان عمل عموداً، وسار إلى صحن الدار، فقال له الخليفة: إني أريد أن أفشي لك سراً تكتمه حتى عن نفسك، إني أريد أن أوقع بآل برمك

---

[1] برانق، المرجع السابق، ص259.

[2] عمرو، المرجع السابق، ص300.

[3] حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي، ص119.

[4] فوزي، الخلافة العباسية، ص199.

[5] ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج5، ص66.

[6] ديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس ونفيس، مؤسسة شعبان للنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ج2، ص332.

إيقاع ما أوقعته بأحد وأجعلهم أحدوثة ونكالاً إلى آخر الأبد"[1] .ويشير الجاحظ في رواية له عن مسرور الخادم وكان مع الخليفة الرشيد في بيت الله الحرام ورأى الخليفة الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة ينادي ربه قائلاً:"اللهم أني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى" ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست، وإذا صحت هذه الرواية فأنها تدل بلا شك أنه مع عزم الخليفة الرشيد وتصميمه فيما ألحقه بالبرامكة لأنه جعل الله حكماً بينهم وبينه مستخيراً ربه بذلك . وهذا ما يفعله أغلب الناس حتى الوقت الحاضر . فرأى أن يقتلهم[2] .

وفي رواية أخرى تشير إلى أن الخليفة الرشيد وهو يماشي جعفر البرمكي، وكان الخليفة يتأمل عنق جعفر، فلاحظ جعفر هذه الحركة من الخليفة الرشيد، فسأل الخليفة عما يتأمله فيه فأجابه الخليفة أتأمل حسن عنقك وموضع الجريان منه، وأجابه جعفر بل تتأمل موضع سيفك منه يا أمير المؤمنين، فنفى الخليفة ذلك، ويقال إن الخليفة الرشيد عانقه وقبّله، ومن ثم أخبر حاجبه بالخبر قائلاً له: "قاتل الله جعفر ... ما تأملت عنقه إلا لموضع السيف منها"[3] ، إن التدقيق في هذه الرواية وهي في مجملها صحيحة لا شك فيها في تقديرنا، فالخليفة الرشيد بحنقه على جعفر البرمكي دفعه إلى أن يتأمل وينظر حتى كيف تتم عملية قتله والسيف الذي كان يضرب به عنقه، أما فيما يتعلق بأن الخليفة اعتنق جعفر، فهي . في رأينا . أنها مثيرة للاستغراب، فالخليفة وهو معروف بشدة سياسته من جهة ومن جهة أخرى . إذا صحت في رأينا . فهي تمويه الأمر على جعفر في قضية موعد نهايته وكيفيتها.

ويذكر السندي بن شاهك أحد كبار قواد الخليفة ورئيس شرطته، وكان يلي الجسرين في بغداد أنه أمر سنة (186هـ / 1802م) أن يوكل بدور البرامكة، وأمر بهم سراً بعد سنة من هذا الأمر، وإن التوقيت الذي حدده الخليفة الرشيد هو نفس التاريخ الذي تم فيه استئصال البرامكة[4] .

---

[1] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص422.

[2] كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1914م، ص66.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص216.

[4] المصدر نفسه، ص237.

ويبدو أن قضية التخلص من البرامكة مع ما عرف عن الخليفة الرشيد من سرية في هذه المسألة، إلا أن مسألة القضاء عليهم لم تكن خافية على الناس من القواد، أمثال السندي بن شاهك والفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح، وحتى عامة الناس أدركوا ما يجول في خاطر الخليفة الرشيد تجاه البرامكة وما يهُيّئهُ لهم من شّر[1] ، ويعزز ذلك ما أورده المغني إسحاق الموصلي (ت 213هـ / 828م) عندما سأله الخليفة الرشيد مرة: "بأي شيء يتحدث الناس؟، فقال: يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة، وتولي الفضل بن الربيع الوزارة، فأظهر الخليفة الرشيد الغضب وصاح به"[2] ، الاأنه ليس هناك من يجرؤ على إبلاغ البرامكة بما ينتظرهم من سوء المصير، بل كانوا يلمحون إليه أثناء الغناء، فابن الزكار الأعمى كان يغني جعفر أحياناً:

مَـا يرِيـدُ النـّاس منـا مَـا ينَـام النـّاس عَنّـا

إِنَّمـَـا هِمتْـــهُم أَنْ يظُهِـرُوا مَـا قدْ دفَناَّ[3]

ويبدو أن البرامكة كان ينتابهم شعور بالشك في تصرفات الخليفة إزائهم، يظهر ذلك جلياً في المحاورة التي دارت بين جعفر البرمكي وأحد خلانه الذي يعرف إبراهيم ابن المهدي، وكان قد كلفة بجس نبض الخليفة ومشاعره تجاهه وهم في مجلس واحد، وعندما انتهى المجلس، أكدَّ له خليله صحة شكوكه بتغّير الخليفة هارون الرشيد عليه، وأن الخليفة يبدي عدم اهتمام به كلياً، وربما يقبض عليه قريباً بسبب غضبه؛ إذ إن كل كلام يقوله على سبيل المزاح كان الخليفة الرشيدي يأخذه مأخذ الجد والعكس صحيح، وهذا مسلك قوي على عدم رضاه منك[4] .

وهكذا كان البرامكة كلما قربت مدتهم، تبلبلت خواطرهم، وزادت وسواسهم، وضعفت حيلتهم، فلم يلتمسوا لأنفسهم مخرجاً مما هم فيه من حرج، أو التمسوا فلم يوفقوا إليه، لأنه إذا قُضي الأمر، وهم القضاء كَلتَّ الأفكار، وتبلدت الأذهان الذكية، وعميت العيون البصيرة، وأخطأ التقدير[5] .

---

[1] إسحاق الموصلي، هو النديم إبراهيم بن ماهان بن بهمن أحد الشعراء والمغنيين والندماء للخليفة الرشيد، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص216.

[2] ابن العمراني، المصدر السابق، ص ص80-81، فرج، المرجع السابق، ص96.

[3] المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص356، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص338.

[4] خواندمير، المصدر السابق، ص173.

[5] برانق، المرجع السابق، ص256.

وعندما حانت ساعة تنفيذ الأمر (ساعة الصفر) لم يكن الخليفة ينفذ الأمر بطريقة مريبة، وإنما كانت خطواته سلسة، حيث تذكر المصادر التي بين أيدينا أنه في عام (186هـ / 807م) عزم الخليفة الرشيد الذهاب إلى الحج، فنصرف من مكة فوافى الحيرة في سنة (187هـ / 802م) وعند انصرافه من الحج أقام في قصر عون العبادي أياماً، ثم شخص في السفن حتى نزل في العمر الذي بناحية الأنبار، فلمَّا كان آخر سبت من محرم[1] ، أراد جعفر البرمكي الخروج إلى خراسان يوم الجمعة، ولكن الخليفة الرشيد طلب منه البقاء، فوافق جعفر على ذلك[2] ، ولم يزل جعفر بن يحيى مع الخليفة الرشيد في حالة الأنس والانبساط، إلى أن ركب في يوم الجمعة مستهل صفر سنة (187هـ / 802م) إلى الصيد وجعفر يسايره خالياً، وانصرف ممسياً إلى القصر الذي كان ينزله بالأنبار، وهو معه، فلمَّا جاء المساء، دعا الخليفة هارون الرشيد الخادم مسروراً وكان مبغضاً لجعفر البرمكي[3] ، ومعه حمد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند[4] ، فقال له الخليفة: "إني أريدك لأمر ما أرى أحداً من أبنائي أن يقوم به مثلك"، فاستجاب مسرور الخادم[5] .

وكان الخليفة قد تهيأ قبل ذهاب الخادم مسرور ليأتيه برأس جعفر البرمكي بأن أمر بضرب خيمة في صحن الدار، واختار أربعمئة غلام من خواص المماليك بسلاحهم، ثم أمر مسروراً أن يقول لجعفر عند استدعائه، إن هناك كتباً وصلته من بني رافع الخوارج يريدك أن تطلع عليها، وكنت قد ودعتني وما شبعت من توديعك، فأحبّ أن تصير إلي حتى أودعك ثانياً، وأوقفك على الكتب الواصلة، فإذا جاء معك، فاعدل له إلى الخيمة وخذ رأسه وجئني به ولا تراجعني فيه[6] ، بينما تذهب بعض المصادر التاريخية بأن الذي أرسل إلى لقتل جعفر البرمكي هو ياسر خادمه المعروف

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص294–295، المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص356، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص336، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص203، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص16، ابن كثير، المصدر السابق، ج9، ص23، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج2، ص116.

[2] الأتليدي، المصدر السابق، ص251.

[3] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص203، مؤلف مجهول، التاريخ الإسلامي، مخطوط، مكتبة الأسد، دمشق، محفوظ تحت رقم 187، حوادث سنة 187.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص294–295.

[5] الجهشياري، المصدر السابق، ص434.

[6] ابن العمراني، المصدر السابق، ص81.

برخلة[1] . ومهما يكن من أمر، وعلى أية حال، فمن المرجح أن من قام بعملية القتل هو مسرور لاجتماع أغلب المصادر عليه[2] .

ومهما يكن من اختلاف في من بعث لقتل جعفر البرمكي، فقد مضى مسرور إلى دار جعفر، ولم يبق فيها سوى الخواص من خدمه والخصيان وعدة من المماليك الصغار، فسأل عنه أنائم هو؟ قيل لا، ولكنه جالس في البيت الفلاني وعنده أبو زكار الأعمى المغني، فقصد البيت الذي كان فيه، وعندما وصل إلى باب البيت سمع أبا زكار الأعمى يغنيه:

يــا راقَــدِ اللَّيــْلِ مَسْروراً بَأوَّلِه إنَّ الَحوادِثَ قَدْ يطَْرِقن أَسْحَارا[3]

وعندما دخل مسرور على جعفر البرمكي، قال له جعفر: "لقد سررتني بمجيئك وسؤتني بدخولك علي دون استئذان، فقال له مسرور: أجب أمير المؤمنين إلى طلب هام يريدك فيه"، فانزعج جعفر وارتاب منه، واعتذر له عن الخروج لأنه قبل قليل كان عند الخليفة الرشيد[4] ، الأمر الذي جعل مسروراً يقول له: "يا سيدي دعك من هذه الأعذار، فإن الذي يستدعيك هو مولاي الأمير، ولابد من الانتهاء إلى أمره، وكان أبو زكار يساعد مسرور في كلامه"[5] .

ومازال جعفر البرمكي يراوغ إلى أن طابت نفسه بعد أن أخبره مسرور بأن الخليفة يطلبه بسبب كتب وردت إليه من خراسان، فلما اقترب جعفر من باب قصر الخليفة ،أوقف جنده عند الباب الأول، وعند الباب الثاني أوقف الغلمان المصاحبين له، فلما دخل جعفر من الباب الثالث، ونظر خلفه، لم يجد أحد من غلمانه أو جنوده، حتى خادمه الخاص الذي معه لم يجده، فندم على ركوبه تلك الساعة[6] .

فلما دنا الخادم مسرور من باب الخليفة، كان جعفر لم يعرف حقيقة الأمر،

---

(1) المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص356، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص338، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص34، خواندمير، المصدر السابق، ص174.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص294-295، الجهشياري، المصدر السابق، ص234، ابن العمراني، المصدر السابق، ص81، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص203، الأتليدي، المصدر السابق، ص25.

(3) ابن العمراني، المصدر السابق، ص82.

(4) المصدر نفسه، ص82، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص338.

(5) الأتليدي، المصدر السابق، ص252.

(6) ابن العمراني، المصدر السابق، ص82، أمين، هارون الرشيد، دار الشروق، ط1، 2008م، ص59.

فحاول الاتجاه إلى دار الخليفة، فمنعه مسرور، فسأله جعفر عن سبب منعه، فأخبره بأن مجيئه إلى هنا ليس لمواجهة الخليفة وإنما لأخذ رأسه[1] ، وهنا حاول جعفر متوسلاً بالخادم ومنكباً على قدمه يقبله قائلاً: "قد يكون الشراب حمله على ذلك، فرد عليه مسرور: ما شرب أمير المؤمنين في يومه"[2] ، وقد عرض على الخادم مسرور مئة ألف دينار، وطلب منه أن يضعه بين يدي الخليفة عسى أن تدركه الرحمة، فما كان من مسرور إلا أن رفض طلبه قائلاً: لا سبيل إلى ذلك أبداً ولا يمكن مراجعة أمير المؤمنين"، وعندما يئس من توسله لمسرور الخادم، طلب منه أن يذهب إلى الخليفة محاولاً معه نجاة جعفر البرمكي، وعاهده إن خرج سالماً أن يشاطره نصف ملكه وثروته[3] ، فلبى الخادم مسرور طلب جعفر عائداً إلى الخليفة، إلا أن الخليفة ما سمع وطأة مسرور الخادم في الدهليز، فقال له: "أجئتني برأس جعفر، فقال له مسرور: جئتك أستأذنك مرة أخرى، وهنا صاح به الخليفة الرشيد بأعلى صوته، وبأشد ما يكون من الغضب قائلاً: لا تريني وجهك وعد من حيث أتيت واتني برأس جعفر، ولا أنا من الهدي إن لم تجئني برأسه أرسلت من ساعتي هذه من يجيئني برأسك وبرأسه"[4] ، وبذلك عاد مسرور الخادم إلى جعفر البرمكي مبلغاً إياه بفشل محاولاته مع الخليفة فطلب منه جعفر البرمكي أن يمهله لكي يصلي، فقتله، وقطع رأسه وجاء به إلى الخليفة[5] ، ومن المستشرقين من يرى بأن جعفر البرمكي حينما جاءه مسرور الخادم معلناً فشل محاولاته مع الخليفة عصب عينيه بمنديل كان معه وطلب من مسرور أن يقتله[6] .

ومهما كانت الطريقة التي قتل بها جعفر البرمكي فإن أمره قد انتهى ولم تعد له نفس ولا روح، وأصبح رأسه بين يدي الخليفة الذي أخذ يحاور الرأس ناقماً عليه، وهو

---

(1) الأتليدي، المصدر السابق، ص252.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص338، الأتليدي، المصدر السابق، ص25.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص300، الجهشياري، المصدر السابق، ص ص234-235، ابن العمراني، المصدر السابق، ص83،ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص203، ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص205، الأتليدي، المصدر السابق، ص253، كلو، المرجع السابق، ص127.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص300، الجهشياري، المصدر السابق، ص235، ابن العمراني، المصدر السابق، ص83، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، الأتليدي، المصدر السابق، ص253، كلو، المرجع السابق، ص127.

(5) الأتليدي، المصدر السابق، ص253.

(6) كلو، المرجع السابق، ص127.

ميتا، فذكره بذنوب التي ارتكبها صاحبه، ويحاور صاحبه قائلاً: "يا جعفر الم أملك محل نفسي يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدي، ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت في عواقب الأمور ولا تفكرت في صروف الدهر ولا حسبت تقلب الأيام واختلاف أحوالها، يا جعفر خنتني في أهلي وفضحتني بين العرب والعجم، يا جعفر أسأت إلي وإلى نفسك وتفكرت في عاقبة أمرك"[1] .

وبعد أن انتهى الخليفة من قتل جعفر، ومحاسبة رأس جعفر، قام إلى مسجده وأدى صلاته مع الناس[2] ، ثم أرسل إلى الشاعر الأصمعي (ت 216هـ / 831م)، وحاوره طالباً منه أن يسمعه ما قاله في مقتل جعفر البرمكي، فأنشد يقول:

لو أن جعفر هاب أسبابَ الــرَّدَى لنَجــَا بمهجتــه طمّــر مُلْجَــمُ
ولَكانَ منَ حذَرِ المَنُونِ بَحيْثُ لا يرجو اللحاقَ به العُقَابُ الْقَشْعَم
لكنَّــهُ لَمــــّا تَقَــاربَ يَوْمُــــه لَمْ يــَدْفِع الحَدثَانَ عَنْهُ مُنَجّم[3]

بعد أن انتهى الخليفة هارون الرشيد من قتل جعفر البرمكي تفَّرغ لأهل بيت جعفر، وذلك عندما أمر في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن يمت لهم بصلة[4] ، حيث أنفذ الخليفة الرشيد أحد قواده الكبار هو السندي بن شاهك رسالة يأمره فيها بالقبض على يحيى بن خالد ويأمر نائبه بادام بن عبد الله بالقبض على الفضل بن يحيى، ويأمر أصحابه بالقبض على جميع آل برمك،وقد جاء في الرسالة ما نصه "كتابنا بخطنا مختوم بالخاتم الذي في يدنا وموصله سلام الأبرش، فإذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك، فامض إلى دار يحيى بن خالد لا حاطه الله وسلام معك حتى تقبض عليه، وتوقره حديداً، وتحمله إلى الحبس في مدينة المنصور المعروف بحبس الزنادقة، وتقدم إلى بادام بن عبد الله خليفتك بالمصير إلى الفضل ابنه مع ركوبك إلى دار يحيى، وقبل انتشار الخبر، وأن تفعل به مثل ما تقدم به إليك في يحيى، وأن تحمله أيضاً إلى حبس الزنادقة، ثم بث بعد فراغك من أمر هذين

---

(1) الأتليدي، المصدر السابق، ص ص253-254.

(2) المصدر نفسه، ص254.

(3) هارون الرشيد، المصدر السابق،ص45، الجهشياري، المصدر السابق، ص ص237-238، المسعودي، المصدر السابق، مــج3، ص357، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص339.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص796-797، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، ابن كثيــر، المصــدر الســابق، ج10، ص205.

أصحابك في القبض على أولاد يحيى وأولاد أخوته وقراباته"[1] .

وتمكَّن الخليفة بهذه الطريقة من القبض على جعفر وعلى جميع أولاده[2] ، حيث حبس الفضل بن يحيى في ناحية من منزل الخليفة الرشيد، وحبس يحيى ابن خالد في منزله[3] ، بينما يذكر بعض المستشرقين بأن الخادم مسرور أحاط بيحيى وأبنائه الثلاثة وأخيه محمد بن خالد، فأخذهم إلى القبة (الخيمة)، وكبلهم بالقيود، وأخذ ما عندهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك[4] .

وفي رواية أخرى يرى بعض المؤرخين مفندين هذا الرأي حول حبس محمد بن خالد بن برمك، بأن الخليفة الرشيد لم يتعرض لمحمد بن خالد بن برمك ووالده وأسبابه[5] ؛ لأنه هو الوحيد الذي لم يرم بالزندقة[6] .

ولم يكتف الخليفة الرشيد بالقبض على رؤوس البرامكة الكبار، بل كتب إلى عماله في جميع النواحي على اتباع البرامكة وأولادهم وحاشيتهم وأولادهم ومواليهم، وكل من هو منهم، وإذكاء العيون على من اختفى وتغيبّ، والاحتيال في القبض عليه، حتى إذا علم أنه قد أحاط بهم أو بأكثرهم كتب إلى كل عامل كتاباً يأمره بالقبض عليهم[7] ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج مدينة السلام أو غيرها[8] ، ولعل ذلك من باب الحيطة والاحتياط مما يمكن أن يقع بعد مقتلهم.

كما أنفذ الخليفة الرشيد من خدمه مسروراً والحسن، وأبا صالح يحيى بن عبد الرحمن الكاتب، وإبراهيم بن حُميد الكاتب، فعملوا على قبض أموالهم[9] ، كما أخذ ما كان لجعفر من المال، والسلاح، والكراع[10] ، وسائر متاعهم[11] ، ويقال إن مجموع

---

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص337-338.

(2) الأتليدي، المصدر السابق، ص254، أبيلياف، ي، العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية أنيس فريحه، الدار المتحدة للنشر، بيروت، د.ط، 1973م، ص267.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص296-297، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص555، مطران، المرجع السابق، ص237.

(4) كلو، المرجع السابق، ص128.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مج1، ص16.

(6) ابن النديم، المصدر السابق، ص657.

(7) المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، ص105.

(8) فرج، المرجع السابق، ص102.

(9) الجهشياري، المصدر السابق، ص235، ابن زنبل، مخطوط، ص234.

(10) الكراع، الحلال من الدواب البقر والغنم والإبل، ابن منظور، المصدر السابق، مج5، ص3858.

(11) ذو النسبين، المصدر السابق، ص41، البرمكي، جحظة، أحمد بن جعفر بن موسى، ديوان جحظة البرمكي، تحقيق جان عبد الله

ما قبض من أموالهم كان مقدارها ثلاثين مليون وستمئة وسبعين ألف دينار نقداً، فضلاً عن سائر ضياعهم، وغلاتهم ودورهم ،ورياشهم[1] ، فما أصبح الصبح حتى كان الخليفة الرشيد قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف شخص[2] ، وعلى الرغم من أن هذا الرقم مبالغ فيه، ولكنه يدل على كثرة من قتل منهم ومن مواليهم، ولم يستطع من بقى منهم الرجوع إلى البلاد ،وبذلك تشتت شملهم في البلاد، فلم يقدر أحد منهم على قوت يومه[3] .

ويشير ابن كثير في رواية له أنه نودي في بغداد لا أمان للبرامكة، ولا لمن أوهم إلا محمد بن يحيى لنصحه للخليفة، وجيء بأنس بن أبي الشيخ، وكان ممن يصاحب جعفر البرمكي فضرب الخليفة عنقه، وتمثل بما قيل بقتل أنس قبل ذلك:

تلمظ السيفُ من شوقٍ إلى أنسِ فالسيفُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ[4]

وبهذه الأساليب الكثيرة والطرق المتعددة التي اتبعها الخليفة الرشيد تمكن من إلقاء القبض على جميع البرامكة وعلى مواليهم ورقيقهم.

ويقال أن الخليفة الرشيد أرسل جثة جعفر البرمكي إلى مدينة السلام مع القائد هرثمة بن أعين ومسرور وسلام الخادمين[5] ، وأمر قائد الشرطة السندي بن شاهك أن يصلب جثة جعفر البرمكي على جسور بغداد[6] ، وبقى بدن جعفر بن يحيى إلى وقت العصر ثم أمر الخليفة الرشيد بإحراقه[7] .

ويذكر بعض المستشرقين بأن أشلاء جعفر البرمكي بقيت عامين إلى أن أمر الخليفة الرشيد بإحراقها[8] . وهذا كلام غير منطقي من الناحية العقلية في رأينا..

أتوما، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م، ص18، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115؛.

[1] زنبل، مخطوط، ص235، حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ص368.

[2] الأتليدي، المصدر السابق، ص254.

[3] المصدر نفسه، ص254.

[4] المصدر السابق، ج10، ص ص205-206.

[5] ذو النسبين، المصدر السابق، ص41، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه، د. ط، د.ت، ج1، ص86، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص421، ابن العمراني، المصدر السابق، ص84، حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ج1، ص368، كلو، المرجع السابق، ص128.

[6] ابن العمراني، المصدر السابق، ص84.

[7] المصدر نفسه، ص84، المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، ص105.

[8] كلو، المرجع السابق، ص28.

وبدأت الروايات تبالغ في الطريقة التي قتل بها جعفر البرمكي، فمن طريف ما روته بعض المصادر التي روت عن شخص مجهول، قال: "دخلت الديوان فنظرت في بعض تذاكر النواب فرأيت فيها أربعمئة ألف دينار ثمن خلعه لجعفر بن يحيى الوزير، ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وبواري لإحراق جعفر بن يحيى"[1] .

أما يحيى البرمكي، فلم يحبس، وبقى في منزله موكلاً به من يتابعه، ثم أمره الخليفة الرشيد أن يختار أي موضع يشاء، فطلب منه الإقامة بمكة[2] ، ويقال إن الخليفة حبس يحيى بن خالد مع ابنه الفضل في الرافقة في دير القائم[3]، ووكل بهم مسروراً الخادم والقائد هرثمة بن أعين[4] .

وقد اختلفت المصادر الإسلامية حول المعاملة التي كان يعامل بها البرامكة في السجن، فترى بعضها بأن الخليفة هارون الرشيد لم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم ولا ما يحتاجون إليه من جارية وغيرها[5] ، حيث صير معهم زينب بنت منير أم الفضل، ودنانير جارية يحيى البرمكي ومجموعة من خدمهم وجواريهم[6] .

كما أن الخليفة هارون الرشيد لم يتراجع أمام رسائل الاستعطاف الكثيرة التي وجهها له من السجن يحيى البرمكي متوسلاً بأبوته إياه، وبأيديه السابقة عنده، منها رسالته التي أرسلها له من السجن يستعطفه بها جاء فيها:

"لأمير المؤمنين وخليفة المهديين وإمام المسلمين، وخليفة رب المسلمين من عبد أسلمته ذنوبه، وأوبقته عيوبه، وخذله شقيقه، ورفضه صديقه، ومال به الزمان ونزل به الحدثان، فصار إلى الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة ... تفكر في أمري ... جعلني الله فداك وليمل هواك بالعفو عن الذنب إن كان، فمن مثلي الزلل، ومن مثلك الإقالة، وإنما اعتذار إليك بإقرار بما يجب به الإقرار حتى ترضى، فإذا رضيت رجوت

---

[1] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص204، ابن العمراني، المصدر السابق، ص84، خواندمير، المصدر السابق، ص175.

[2] الجهشياري، المصدر السابق، ص240.

[3] دير القائم، وهو الدير الذي يقع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص526.

[4] فرج، المرجع السابق، ص103.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115.

[6] فرج، المرجع السابق، ص103.

إن شاء الله إن يتبين لك من أمري وبراءة ساحتي، حتى لا يتعاظمك بعده ذنب تغفره، مَدَّ الله لي في عمرك وجعل يومي قبل يومك"[1]، وذَّيل أسفل الرقعة بهذه الأبيات:

قلــل الخليفــة ذى الصنــائع والعطـــايا

وابن الخلائف من قريش والملوك الهاديه

عّمتهـــــم لـــــك سخطـــــة

لـــم تبُـــق منهـــم بـــاقيه

بعـــد الإمـــارة والـــوزارة

والأمـــور الســـاميه

يـــا عطفـــة الملـــك الرضىّ

عـــودي علينـــا ثـــانيه

فرد عليه الخليفة الرشيد في جواب نصه:

يـــاآل برمـــك إنمـــا كنتـــم ملـــوك عـــاتيه

هذا الجزاء لمن عصى معبوده وعصيانيه[2]

ثم كتب تحت الأبيات إنما مثلك يا يحيى ما قال الله ﷻ: ﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَـثَلاً قَرْيَـةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّـهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[3] .

ولم تنفع وساطة الأمين وأمه زبيدة في العفو عنهم، وذلك عندما كتب يحيى البرمكي كتابه وبعث به إلى محمد الأمين، فبعث به الأمين إلى أمه زبيدة، فأعطته للخليفة هارون الرشيد، فلما فرغ الخليفة من قراءته وقع في أسفله "عظم ذنبك أمات خواطر العفو"، ورمى به إلى زبيدة، فلما رأت توقيعه علمت أنه لا يرجع عنه[4] .

ومن الروايات ما ترى أن الخليفة الرشيد كان قاسياً عليهم يأمر بضربهم

---

(1) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج5، ص68، الأتليدي، المصدر السابق، ص ص256ــ257.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص423، ابن العمراني، المصدر السابق، ص ص84-85، ابـن زنبـل، مخطـوط، ص241، الدواداري، مخطوط، ص158، الأتليدي، المصدر السابق، ص ص257-258.

(3) سورة النحل، الآية 112.

(4) اليعقوبي، تاريخ البعقوبي، مج2، ص423، ابن العمراني، المصدر السابق، ص ص84-85، ابـن زنبـل، مخطـوط، ص241، الدواداري، مخطوط، ص158، الأتليدي، المصدر السابق، ص ص257-258.

وتعذيبهم، حيث أرسل مسروراً الخادم إلى الفضل بن يحيى فضربه مئة جلدة[1] .

وتشير بعض المصادر أن حالة البرامكة في سجنهم كانت عادية، إلى أن قبض الخليفة على عبد الملك بن صالح، بتهمة طمعه في الخلافة سنة (187هـ / 802م)، فشدد الخليفة وضيق عليهم[2] ، حيث أرسل الخليفة إلى يحيى البرمكي وهو في سجنه رسالة يطلب منه فيها أن يخبره عن قضية منازعة عبد الملك بن صالح للخليفة الرشيد في الخلافة، فَردَّ عليه أنه لا علم له بهذه القضية، وهذا مجرد ظن منك، فهدده الخليفة بقتل ابنه ليتأكد من صحة العلاقة بينهما في هذه القضية، فلم يجد عندهما علاقة بذلك، فجمعهما مرة أخرى[3] .

توضح بعض الروايات ما كان يعانيه يحيى البرمكي وأولاده في السجن، حيث كانوا يتحسفون عما كانوا فيه من نعمة وجاه ويندبون حظهم، وما آل إليه أمرهم عازين ذلك دعوة المظاليم عليهم وانتقام الله منهم، فيذكر أن الفضل بن يحيى قال لأبيه وهو في السجن والقيود متأسفاً على ما كانوا به من الأمر والنهي والأموال، رد عليه قائلاً: "دعوة مظلوم غفلنا عنه ولم يغفل الله عنه"، وأنشأ يقول:

رب قوم قد غدو في نعمة زمناً والدهر ريـــان غـــدقُ
سكت الدهر زمـــاناً عنهم ثم أبكاهم دماً حيث نطق[4]

وفي رواية أخرى عن يحيى بن خالد عندما قبض عليه قال: "الدنيا دول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة"[5] ، وعن سلام الأبرش قال دخلت على يحيى بن خالد حين قبض عليه، وجرد ماله، فقال لي: "وهكذا تقوم القيامة"[6] ، وكأنهم ماتوا وقامت قيامتهم، كما وجد في جيب يحيى البرمكي عند وفاته رقعة مكتوب

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص244، المسعودي، المصدر السابق، مج3، ص361، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص33، مؤلف مجهول، كتاب في تاريخ، مخطوط، ص278.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص115.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص ص305-306، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص117، ابن خلدون، المصدر السابق، مـــج3، ص473، حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ص ص198-199.

[4] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج14، ص132.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص116، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مج1، ص16، ابن الشحنة، المصدر السابق، ص144.

[6] ابن الأثير، ج5، ص116.

بخطه جاء فيها: "قد تقدم الخصم والمدعى عليه في الأثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يحتاج إلى بينة"[1] .

ظَلَّ البرامكة يتنقلون في سجون الخليفة الرشيد من دون أن يحصلوا على عفوه[2]، حيث ظل يحيى بن خالد وابنه الفضل في الرافقة في حبس الخليفة إلى أن مات يحيى البرمكي سنة (190هـ / 805م) عن سبعين سنة، ودفن في شاطئ الفرات في ربض هرثمة[3] ، مات ابنه الفضل بعده بثلاث سنين سنة (193هـ / 808م)، وذلك عندما أصيب بالفالج[4] وتوفي في الخامسة والأربعين من عمره، وقيل إنه توفي في شهر رمضان سنة (192هـ / 807م) وصلى عليه الخليفة بالقصر الذي مات فيه أصحابه[5] .

أما بالنسبة لابني يحيى الآخرين محمد وموسى، فقد بقيا في السجن بالرقة حتى تولى الخلافة محمد الأمين سنة (193هـ / 813م)، فأطلق سراحهما، أما سائر البرامكة، فقد أخُذت أموالهم وأموال أقربائهم وأتباعهم وخدمهم، وأُلقى القبض على زبيدة بنت منير أم الفضل، ودنانير المغنية الشهيرة جارية يحيى البرمكي، وعلى عدد من إماء البرامكة، لكن أولاد الفضل وجعفر الأصاغر خلي سبيلهم، وكذلك أم يحيى وأم جعفر[6] .

وقد قَدَّرَ المسعودي وغيره مدة سلطان وتألق البرامكة وأيامهم التي اعتبرها دولة قائلاً: "دولة البرامكة استمرت من استخلاف الخليفة هارون الرشيد إلى قتل جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك سبعة عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشرة يوماً"[7] ، وقد رثاهم الشعراء بمرِاثِ كثيرة، وذكرت أيامهم، فمن ذلك الشاعر سيف بن إبراهيم حيث يقول:

---

[1] ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص222، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص25.

[2] الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسي، ص121.

[3] ربض هرثمة، الربض أساس المدينة والبناء الذي يعود للشخص، ابن منظور، المصدر السابق، مج7، ص152.

[4] الفالج، مرض معروف يرخي بعض البدن، المصدر نفسه، مج2، ض346.

[5] ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص229، كلو، المرجع السابق، ص128.

[6] كلو، المرجع السابق، ص128.

D.ETJ. SOURDEL, LA CIVILISATION DE L ISLAM CLASSIQUE, CANADA, 2001, P. 64.

[7] المصدر السابق، مج3، ص358.

ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM LEIDEN-E. J. brill, London, 1979, vo111, p. 233.

هوتَ أنجَمٌ الجدَوىَ وشَلَتَّ يديُ النَّدىَ

وغــاصَت بخُــورُ الجود بِعَـد البرامِكِ

هــوت أَنجــمُ كــانت لأبَنــاءِ برمــكٍ

بهــا يعــرِفُ الحادي طريقَ المسالكِ[1]

وذكر يحيى بن سلام الأبرش: "حدثني أبي قال خرج الرشيد للصيد يوماً بعدما أباد البرامكة واجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحاً مكتوباً عليه:

يا منزل لعــب الزمــان بأهله — فأبــــــادهم بتصــــــرف

إن الذين عهدتم فيمــا مضــى — كــان الزمان بهــم يضر وينفع

أصبحت تفزع من رآك وطالما — كنــا إليك من المخاوف نضرع

ذهب الذين يعاش فــي أكنافهم — وبقى الذين حياتهم لا تنفــع[2]

وهكذا زال سلطان البرامكة من دون أن يثور أو يحتج واحد من أنصارهم، وهو أمر إن دلّ على شيء فإنما يدل على مهارة هذا الخليفة وحرصه وإعداده لأمر عدته، وقد استطاع الخليفة الرشيد أن يلقي في روع الجميع أنه على حق في الإيقاع بالبرامكة من دون أن يصرح بالسبب الذي دعاه إلى ذلك[3] .

إن القضاء على البرامكة لا يعني بأي حال من الأحوال فقدان الخليفة الرشيد تعاطفه نحوهم، إنما كان القضاء عليهم إنقاذاً للدولة[4] .

ويبدو أنه فعل ذلك بعد كثير من التدبير، وأنه لم يندم قط على ذلك[5] ، في حين ترى بعض الروايات أن الخليفة الرشيد ندم على ما كان في أمر البرامكة، وتعامله معهم، وتحسَّر على ما فرط في أمرهم، وخاطب جماعة من أخوانه بأنه لو وثق بصفاء النية لأعادهم إلى حالهم[6] .

ومن الأدلة التي ذكرتها الروايات على ندم الخليفة الرشيد قوله: "عندما بلغه نبأ

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص301.

(2) الأتليدي، المصدر السابق، ص263.

(3) كلو، المرجع السابق، ص128.

(4) العش، المرجع السابق، ص69.

(5) حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي، ص120.

(6) الجهشياري، المصدر السابق، ص258.

وفاة يحيى: اليوم مات أعقل الناس وأكملهم"[1] ، وقوله: "مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء، والله لو كان حياً، لفرجت عنه"[2] ، وقوله أيضاً: "يا أسفي عليك يا جعفر" بعد أن أكد له أحد كتابه ابن بزدا نيروز أن جعفر لم يكن حائداً عن طاعته ولا مقصراً في موالاته له[3] ، وحتى الفضل بن الربيع عدو البرامكة لما حضر جنازة حمدونة بن علي بعد القضاء على البرامكة ذكر البرامكة فأطراهم وقرظهم ووصفهم، ثم قال: "كنا نعتب عليهم فقد صرنا نتمناهم ونبكي عليهم"[4] ، وهذا في رأينا غير دقيق، ولعل مايدل على ذلك مخاطبة الخليفة الرشيد لجماعة من أخوانه مؤكداً لهم عدم صلاحية البرامكة، حيث قال: "بأنه لو وثق بصفاء النية، لأعادهم إلى حالهم"[5] ، ولو ندم على ما فعل بالبرامكة، لقبل منهم رسالة الاستعطاف التي قدمها له يحيى بن خالد وهو في السجن[6] ، أو لقبل بوساطة زبيدة وابنه محمد الأمين[7] ؛ لأن حكم الخليفة الرشيد في البرامكة حكم قطعي ثابت لا تردد فيه ولا ندم لأن عمله عملاً مدروساً ضد أناس أساءوا استعمال السلطة، فالخليفة الرشيد إذاً لم يندم؛ لأنه قام بعمل ضد أناس حاولوا أن يجعلوه من ورائهم في الصف الثاني، وحاولوا نقل خيوط الملك إلى أيديهم[8] ، ودليل على عدم ندمه أنه قد نزل الحج إلى بيت الله الحرام راجلاً حافياً أن أظفره الله بالبرامكة[9] :

وحـــج ماشياً على رجليه فـــي فـــزع من ربه إليه

وفرشت له الطريق غاديا وحين عاد كلها زرابيا[10]

ولو كان الخليفة الرشيد ندم على ما فعله بالبرامكة لأطلق سراحهم من سجن

---

(1) المصدر نفسه، ص261، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص25، أبو النصر، عمر، الهوى والشباب والحضـــارة فـــي عهد الرشيد، منشورات مكتبة أبو النصر، مصر، د.ط، د.ت، ص147.

(2) الأتليدي، المصدر السابق، ص260.

(3) الجهشياري، المصدر السابق، ص ص260-261.

(4) المصدر نفسه، ص262.

(5) المصدر نفسه، ص258.

(6) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج5، ص68، ابن العمراني، المصدر السابق، ص54، الأتليدي، المصدر السابق، ص257.

(7) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص423، ابن العمراني، المصدر السابق، ص ص84-85، ابـــن زنبـــل، مخطـــوط، ص241؛ الدواداري، مخطوط، ص158 الأتليدي، المصدر السابق، ص ص257-258.

(8) أبو خليل، المرجع السابق، ص ص247-248.

(9) ذو النسبين، المصدر السابق، ص41، الأتليدي، المصدر السابق، ص260.

(10) البيجاني، محمد بن سالم، أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، مكتب الإرشاد، د.ط، د.ت، ج1، ص366.

الرفقة بمدينة الرقة الذي بقي يحيى البرمكي فيه حتى توفي سنة (190هـ / 805م) وكان الخليفة يقول بحق البرمكة: "من لم يؤدبه الجميل ففي عقوبته إصلاحه"[1] .

المبحث الثالث / أثر نهاية البرامكة على الأوضاع العامة في خلافة هارون الرشيد:

في ضوء ما تقدم يمكننا القول إن الخليفة الرشيد لم يظلم البرامكة ولا نعتقدهم يستحقون تلك النظرة من الإشفاق، والتعاطف مع سقوطهم، بل إن ما اشتهروا به من كرم وتشجيع للعلوم والشعر، لم يكن مقصوداً لذاته بقدر ما كان المقصود به تغطية على المآثر العربية في تلك الأبواب، حتى إن الناس كانوا يتشدقون بمآثر البرامكة في عهد الخليفة الرشيد، أزهي عصور الخلافة العباسية، وقد كان الخليفة حازماً في ضرب البرامكة الذي كان سقوطهم ضربة للفرس بصفة عامة، وفلم تقم ثورة بعدهم بعد أن تخلص منهم الخليفة الرشيد، مما يدل على مهارة هذا الخليفة وحزمه، وأنه أعد للأمر عدته[2] .

ويبالغ بعض المؤرخين[3] في أثر سقوط البرامكة ويرون أنه كان خسارة كبرى للدولة الإسلامية، وذلك لحنكتهم الإدارية وسياستهم المالية ومقدرتهم على تسيير دفة الأمور في الدولة[4] ، إلا أن هذا الخلل والاضطراب الذي حصل بغياب البرامكة كوزراء وقادة، أمر مسلم به في بداية الأمر، ولكن سرعان ما تمكَّن الخليفة الرشيد بجهوده وحنكته السياسية أن أعاد الأمور إلى نصابها بعد سد هذا الفراغ على حد قول البعض[5] .

بدأ الخليفة الرشيد مباشرة أمور الدولة بنفسه[6] ، واستعمل قوماً لم يعملوا مع البرامكة من قبل، وعندما قيل له لا تجد أحد لم يكن يخدمهم، فاختار أفضل من وقع

---

[1] أبو خليل، المرجع السباق، ص249.

[2] علي، وفاء، الزواج السياسي في العصر العباسي، ص40.

[3] الجهشياري، المصدر السابق، ص258، ابن العمراني، المصدر السابق، ص86، المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار الإسلام، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، 1937م، ص ص287-288، الفقي، المرجع السابق، ص198.

[4] الفقي، المرجع السابق، ص198.

[5] فرج، المرجع السابق، ص111.

[6] سرور، الدولة العربية الإسلامية، ص322.

في نفسه من عيون أصحابهم[1] ، واستوزر الخليفة الرشيد الحاجب الفضل بن الربيع، ولم يوكل إليه الإشراف على الدواوين، بل اختصه بنفقاته وتدبير أموره، وقد بقى وزيراً حتى وفاة الخليفة الرشيد[2] ، كما قلَّد محمد بن أبان خراج الأحواز[3] وضياعها، وقلَّد علي بن عيسى بن يزدانبورز خراج فارس وضياعها، وولى الفيض بن أبي الفيض كسكر[4] وخراج كسكر وضياعها، وولى الخطيب بن عبد الحميد مصر وضياعها[5] ، وصار الخليفة الرشيد يتنقل بين أطراف الدولة، ولو كان للبرامكة كما يقولون تأثير على سياسة الدولة واختلال في وضعها السياسي لما استطاع الخليفة هارون الرشيد سنة (190هـ / 805م) من تجريد حملة على البيزنطيين أعداء الدولة العربية الإسلامية[6] .

كما أبدى الخليفة هارون الرشيد همه أيضاً في إدارة الدولة، وذلك عندما عزل علي بن عيسى عن ولاية خراسان وولاها للقائد هرثمة بن أعين سنة (192هـ / 807م)[7] ، وأصلح الحال هناك[8] .

أبدى الخليفة الرشيد جهوداً واضحة في القضاء على الثورات والثائرين منها ما حصل في سنة (190هـ / 805هـ) من ظهور رافع بن الليث فيما وراء النهر مخالفاً الخليفة الرشيد في مدينة سمرقند،وقد صار إليه الخليفة في سنة (192هـ / 807م) من مدينة الرقة إلى بغداد، ومن ثم إلى خراسان، يريد محاربته، وفي طريقه وتحديداً عندما بلغ جرجان ابتدأت به العلة، وشتد مرضه، فسيّر ابنه المأمون ومعه جماعة من القواد

---

(1) الجهشياري، المصدر السابق، ص254.

(2) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص204، الشيطبي، عبد الله بن علي، الجمان في مختصر أخبار الزمان، مخطوط، مكتبة بلدية الإسكندرية، الإسكندرية، محفوظ تحت رقم 1624، ص114، خواندمير، المصدر السابق، ص177، الدوري، النظم الإسلامية، ص224، فوزي، الخلافة العباسية، ص201.

(3) الأحواز، وهي سبعة كور بين البصرة وفارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص ص284-285.

(4) كسكر، كورة واسعة وقصبتها واسط القصب التي بين الكوفة والبصرة، البغدادي، المصدر السابق، مج3، ص1165.

(5) الجهشياري، المصدر السابق، ص254.

(6) ابن قتيبة، المعارف، ص382، الدوري، العصر العباس الأول، ص136.

(7) ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص125.

(8) الدوري، العصر العباسي الأول، ص136.

إلى مرو، في حين سار هو إلى طوس[1] . كما إن الخليفة الرشيد نقل مقره بعد سقوط البرامكة إلى مدينة الرقة على الفرات[2] .

ومما يدل على تمكّن الخليفة وسياسته الرشيدة حيال البرامكة أنه حرم على أولئك الشعراء، وممن كانوا يعيشون من أفضال البرامكة أن يرثوهم وأخذ بالمؤاخذة على ذلك أو اعتبره ذنباً، وتذكر الرواية التاريخية أنه حينما اجتاز بعض الحرس ببعض الخرابات، فرأى رجلاً واقفاً بيده رقعة، فيها شعر يتضمن رثاء البرامكة، وهو ينشده ويبكي، فأخذه الحرس، فأتى به إلى الخليفة الرشيد وقص عليه الواقعة، فاستحضره الخليفة الرشيد وسأله عن ذلك، فاعترف به، فقال له الخليفة الرشيد: "ما سمعت تحريمي لرثائهم ... لأفعلن بك ولأصنعن"[3] .

وكان بعض الشعراء يرثون بني برمك بعيداً عن عيون ومسامع الخليفة الرشيد وأعوانه، فهذا الشاعر يزيد الرقاشي[4] حينما وقف على رأس جعفر البرمكي مصلوب على الجسر أنشد يقول:

أَمــا واللهِ لــولا خَــوف وُاشٍ وعَـيْن للخليفـِة لا تَنَـــامُ

لَطفُنــا حــوْلَ جَذِعْكَ واْستَلَمنُاً كمــا للنــاس بالحجِــر استلامُ

فبلغ الخليفة مقاله، فأحضره، وقال له: "ما حملك على ما قلت وقد بلغك ما توعدنا به كل من يقف عليه ويرثيه، فقال له الرقاشي: كان يعطيني كل سنة ألف دينار، فأمر له الخليفة الرشيد بألفي دينار، وقال له: هي لك مادمنا على قيد الحياة"[5] .

حقيقة إن الخليفة الرشيد قد نجح في القضاء على البرامكة (الفرس)، وما كانوا يمثلونه من خطورة بالغة على دولته، ولكنه لم ينجح في القضاء على الحزب الفارسي فيما بعد، فبعد وفاته تقاسم فيه الزعامة آل سهل من الناحية السياسية والطاهريون من الناحية العسكرية[6] ، كما تكون حزبان سياسيان في البلاط تناحرا بالدسائس مما عاد

---

[1] العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، د.ط، د.ت، ص130.

[2] بروكلمان، المرجع السابق، ص187.

[3] أبو النصر، المرجع السابق، ص148.

[4] يزيد الرقاشي،هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش كان منقطعاً إلى آل برمك يخدمهم ويحبونه، توفي حوالي سنة 200هـ/815م، أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق، ج15، ص78، فروخ، المرجع السابق، ج2، 169.

[5] أبو الفرج الأصبهاني، المصدر السابق، ج15، ص78، القرماني، المصدر السابق، ص88.

[6] عمرو، المرجع السابق، ص308.

بالضرر الجسيم على الدولة بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد[1] ، وتمثلت هذه الأحزاب في مشكلة الخلاف بين الأخوين الأمين والمأمون[2] ، على الرغم من أن الخليفة أراد أن ينقذ موقف ابنه البكر من الجارية زوجته الفارسية عاملاً له على الممتلكات الشرقية، وكان قد أعلن هذا التعيين قبل سنة من وقوع الأحداث، كما منح بلاد فارس نوعاً من الاستقلال الذاتي، مما مكن مُلاكَّ الأرض المحليين والطبقات المتنفذة من سكان المدن أن تزيد من استغلالها لطبقة العمال[3] ، وكان للبرامكة دور عملي واضح في عهد الخليفة المأمون سنة (198هـ / 813م) بعد العهد لأخيه الأمين بثماني سنوات، وبذلك أعطوا العناصر الفارسية في العاصمة رمزاً يعملون باسمه بحجة كونه (ابن أختهم) لتحقيق شيء من أهدافهم وآمالهم الفارسية[4] .

ومع كل ذلك فإن سلطان البرامكة (الفرس) لم يختف بسقوطهم فقد ظل نافذاً في السنين التالية على يد وزراء وكتاب تسلموا السلطة في عهد الخليفة المأمون ابن الرشيد سنة (198هـ/813م)، كما كان معظم هؤلاء من مواليهم وتابعيهم السابقين كما هي حال الفضل بن سهل المشهور، إذ أن من المعروف حقاً أن وزراء الخليفة الرشيد كانوا أيام ظهور البرامكة يجمعون حولهم طائفة من الكتاب ذوي الكفاية البارزة لم يستطع الخلفاء الذين أتوا بعده أن يستغنوا عنهم[5] .

---

[1] الدوري، العصر العباسي الأول، ص140.

[2] عمرو، المرجع السابق، ص308.

[3] أيلياف، المرجع السابق، ص267.

[4] الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص ص37-38.

[5] خورشيد وآخرون، المرجع السابق، مج6، ص558.

الخاتمة

بعد جهود مضنية وشاقة في رحلة شيقة مع البرامكة في عهد الخليفة هارون الرشيد، توصلت الدراسة إلى عدة نقاط يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: أن البرامكة وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين، قدامى ومحدثين، مسلمين ومستشرقين، في نسبهم هم أسرة فارسية الأصل، تنسب إلى جدهم برمك الأكبر، وهي رتبة دينية متوارثة، جاءت من خلال خدمة معبد بيت النار (النوبهار)، وتمكنت هذه الأسرة من خلال تسخير جهودها وإمكانتها الخاصة أن تصل إلى مكانة مميزة خلال الفتوحات الإسلامية، بعد اعتناق جدهم الإسلام في عهد الخليفة الرشيدي عثمان بن عفان ﷺ (23-34هـ / 643-654م)، وإن كانت هذه المكانة غير واضحة الملامح آنذاك، ومن ثم زادت علاقتهم بالدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان سنة (41-60هـ / 661-679م)؛ حيث فتحت مدينة بلخ، وخرب معبد النوبهار، مما يشير إلى أن إسلام الأسرة البرمكية قد يكون منذ ذلك الوقت.

ظهر البرامكة في البلاط الأموي في عهد الخليفة الخامس عبد الملك بن مروان سنة (65-86هـ / 684-705م)، حيث صاحب بعض رجال هذه الأسرة خواص الخليفة عبد الملك وعالج برمك أبي خالد بعد إسلامه . وكان ملماً بالعلوم والمعارف الطبية . الأمير مسلمة بن عبد الملك، مما فتح الطريق أمام البرامكة للوصول إلى دمشق حاضرة بني أمية، ومن ثم مساهمة برمك أبي خالد بمعاونة الدهاقنة في إعادة بناء مدينة بلخ، بأمر من الأمير أسد بن عبد الله القسري في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

ثانياً: أظهرت الدراسة أن البرامكة مع علاقتهم بالأمويين كان لهم اتصال بأئمة الدعوة العباسية سراً، حيث كان خالد بن برمك يختلف إلى محمد بن علي العباسي، ثم إلى إبراهيم الإمام من بعده، الذي يعد أول من قام بالدعوة العباسية سنة (125هـ / 792م)، عاقدين آمالهم على مجيء العباسيين، حيث يعتقدون أنهم أحق بالخلافة من غيرهم، ليكون لهم مكانة في الدين والدنيا، فكان لجدهم خالد بن برمك جهود واضحة،

فقد كان مستشاراً ومعيناً لهم، ولم يتبوأ منصب الوزارة، بل كان يعمل عمل الوزير ولا يسمى وزيراً.

ثالثاً: أظهرت الدراسة مكانة البرامكة في عهد الخليفة الرشيد، نتيجة لجهودهم التي بذلوها المجيء الخليفة الرشيد للخلافة، عندما أراد الخليفة موسى الهادي تنحيّته عن ولاية العهد، تألق البرامكة . يحيى البرمكي وأبناؤه الأربعة، وخاصة ابنيه الفضل وجعفر . حيث أصبح يحيى أول وزير تفويض في عهد الخليفة الرشيد، وقد كان الخليفة الرشيد يناديه: (يا أبتي)، مما يشير إلى الصلاحيات الكبيرة التي كانت بعهدته وبعهدة أبنائه، والتي سخروها بذكاء كبير لتحقيق طموحاتهم وأهدافهم المستقبلية.

ومن خلال تبوئهم هذه المناصب السياسية بما فيها منصب (الوزارة)، ذلك المنصب المهم في الدولة العباسية، حاول البرامكة بكل جهودهم استغلال مكانتهم هذه لتوسيع سلطانهم من خلال إقرار أسرتهم وأقاربهم ومحاسيبهم، حتى تمكنوا من الاستحواذ على أغلب السلطات، مسخرين بذلك أموال الدولة، متجاوزين سلطات الخليفة صاحب السلطة المطلقة حتى نعتهم بعض المؤرخين دولة داخل دولة الخليفة الرشيد، ودام ذلك مدة سبعة عشر عاماً.

رابعاً: أظهرت الدراسة تجمع عوامل عديدة سياسية ومالية ودينية وقومية وعوامل أخرى ثانوية في القضاء عليهم بعد صبر طويل من قبل الخليفة الرشيد عليهم، وتخطيط سياسي منظم ومدروس، أدى في نهاية المطاف إلى قطع شأفتهم من دون أن يكون لنهايتهم هذه أي آثار سلبية في عهد الخليفة الرشيد على الأقل، وعلى الرغم مما قدمته المصادر التاريخية . التي بين أيدينا . من وساطاتهم وندمهم على سياستهم، فإن ذلك لم يوقف من عزم الخليفة هارون الرشيد في القضاء عليهم من دون أن يندم على ما فعله.

وفي رأينا . بإيجاز . أن الخليفة الرشيد لم يكن ظالماً حين قضى عليهم، على الرغم من وجود الكثير ممن يرى أن القضاء على البرامكة (نكبة) باكين عليهم، متأسفين على أيامهم التي كانت ثمناً لعطائهم وتجاوزهم على أموال الدولة على حسب مصالحهم الشخصية.

وقد تحامل بعض المؤرخين على الخليفة هارون الرشيد بسبب قضائه على

البرامكـة، لكـن لـو تـدبروا الأمـر، لوحـدوا أن الحـق بيـده، بسـبب تكبـرهم وعظمـتهم وسياسـتهم التـي أخلـت بسياسـة الدولـة ونظمهـا، وكرامتهـا التـي هـي مـن أهـم واجبـات الخليفة في الدولة العربية الإسلامية.

صور مختلفة لبيوت النار ، ا منقوشة على ظهر نقود سابور الأول ، ب على نقود سابور الثانى ، ج و د على نقود بهرام الخامس
(ا ، ج ، د مجموعة المؤلف . ب متحف كوبنهاجن)

كرستنسن، المرجع السابق، ص152.

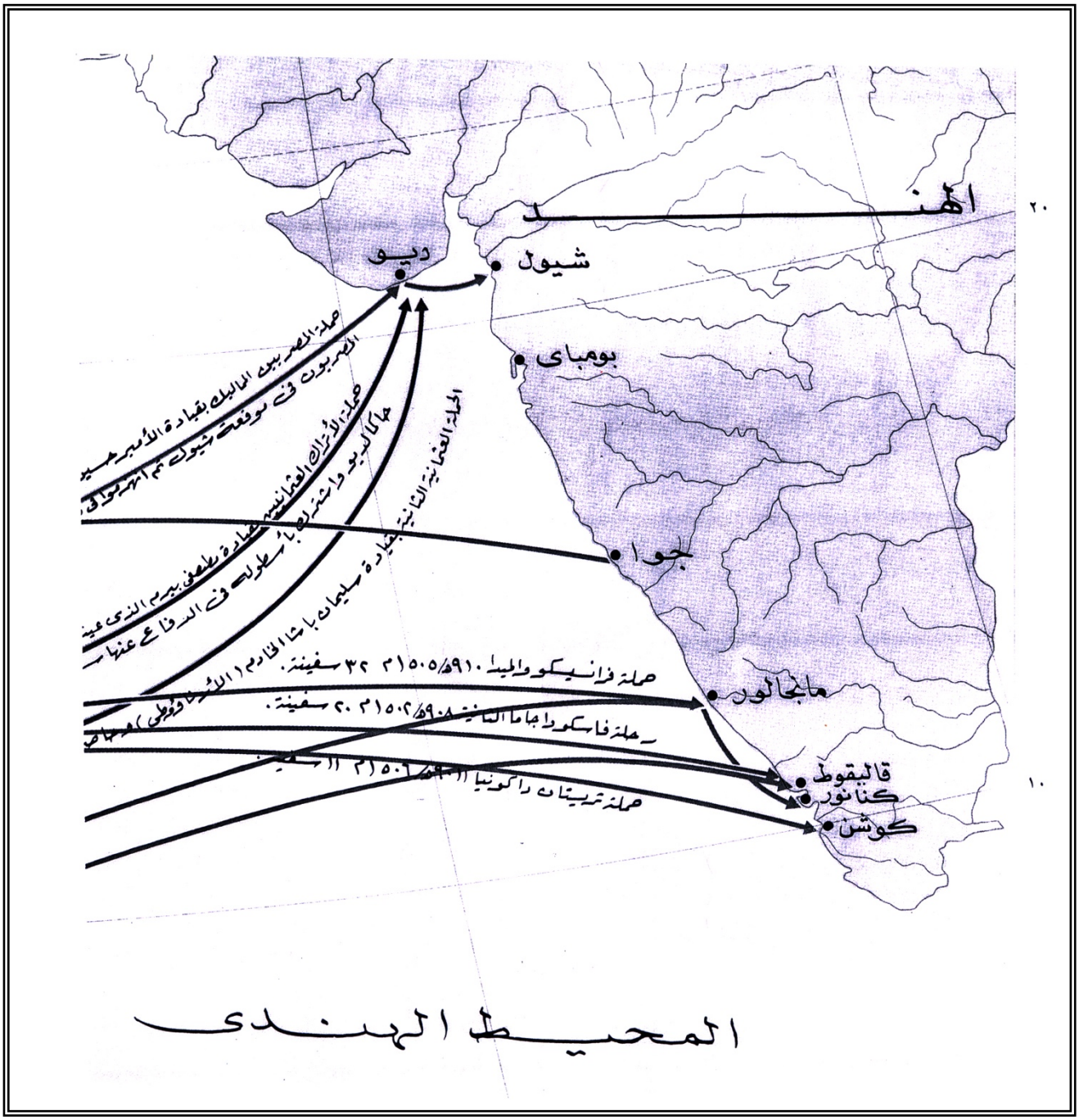

مؤنس، المرجع السابق، ص198.

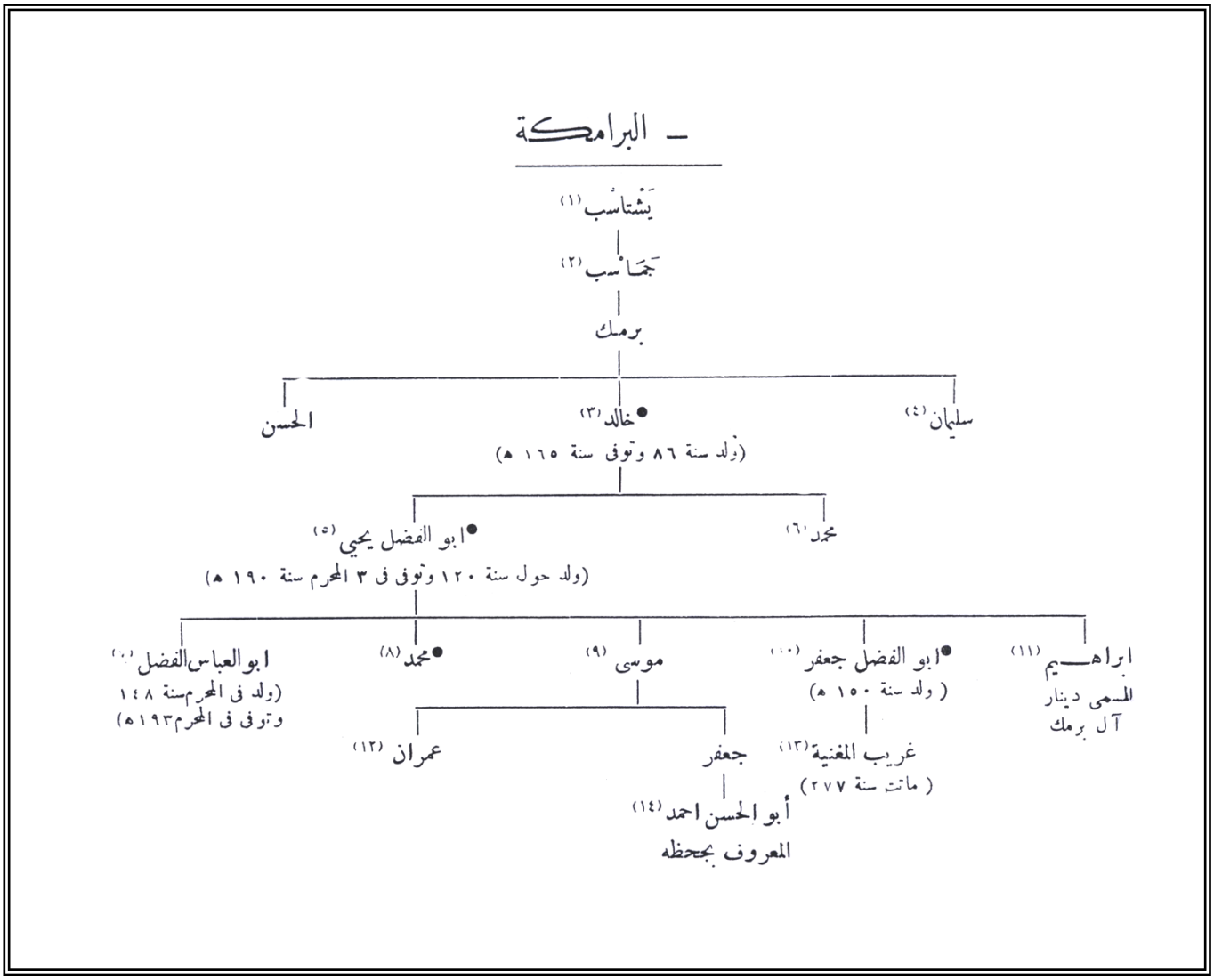

زامباور، المرجع السابق، ص113.

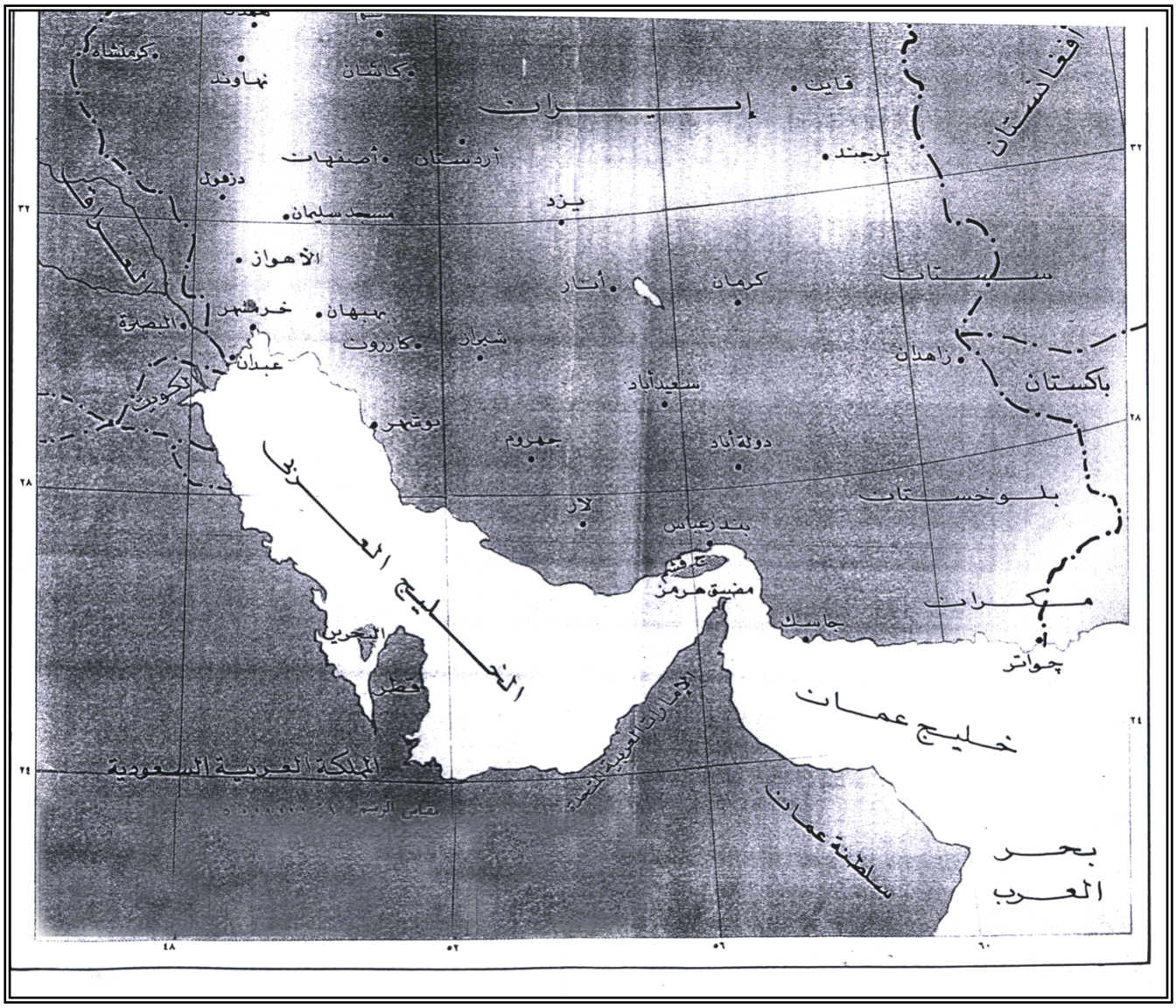

مؤنس، المرجع السابق ص430.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

ملاحظة: رتبت المصادر والمراجع حسب أسماء مؤلفيها المشهرين بها دون الأخذ بـ(أل، أبو، ابن، ابن أبي)

أولاً: المصادر:

أ) المصادر الخطية:

- **الدواداري، أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك،** (ت: 736هـ/1335م)

1- درّ التيجان وغرر تواريخ الأزمان، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ،محفوظ تحت رقم 3828.

- **ابن زنبل، أحمد بن علي بن أحمد المحلي المصري الشافعي** (ت: 966هـ / 1352م)

2- تحفة الملوك والرغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، محفوظ تحت رقم28.

- **الشيطبي، عبد الله بن علي** (ت:498هـ / 1104م)

3- الجمان في مختصر أخبار الزمان، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، محفوظ تحت رقم 1624.

- **مؤلف مجهول**

4- كتاب في التاريخ، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، محفوظ تحت رقم 4032.

- مؤلف مجهول

5- التاريخ الإسلامي، مكتبة الأسد، دمشق، محفوظ تحت رقم 187.

ب) المصادر المطبوعة:

- **القرآن الكريم.**

- **ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي** (ت: 658هـ / 1259م)

1- أعْتاب الكُتّاب، تحقيق صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، ط1، 1961م.

- **الأتليدي، محمد بن دياب** (ت: 1100هـ / 1694م)

2- نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق عبد الجبار البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1998م.

- **ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي** (ت: 630هـ / 1232م)

3- الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م.

- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد** (ت: 644هـ / 1246م)

4- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتاب، بيروت، ط1، 1989م.

- **الأصطخري، إسحاق إبراهيم محمد** (ت: 390هـ / 945م)

5- المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال، محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ط، 1961م.

- **ابن أبي اصيبعه، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم** (ت: 663هـ / 1269م)

6- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط.، 1965م.

- **الألوسي السيد محمد شكري** (ت: 1342هـ / 1924م)

7- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت.

- **الأندلسي، محمد علي بن محمد** (ت: 456هـ / 1063م)

8- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

- **بشار بن برد** (ت:168هـ / 785م)

9- ديوان بشار بن برد، شرح حسين حماوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م.

- **البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن** (ت: 739هـ / 1348م)

10- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

- **البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى** (ت: 487هـ / 1094م)

11- فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، 1987م.

- **ابن البلخي** (ت:510هـ / 1116م)

12- فارس نامة، تحقيق الهادي، الدار الثقافية، القاهرة، 2001م.

- **البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز** (ت: 487هـ / 1094م)

13- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

- **البيجاني، محمد بن سالم** (ت : لم أجد له تاريخ)

14- أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، مكتب الإرشاد، د.ت.

- **البيروني، محمد بن أحمد** (ت: 440هـ / 1048م)

15- الآثار الباقية عن القرون الخالية، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **البيهقي، إبراهيم بن محمد** (ت: 470هـ / 1077م)

16- تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت.

17- المحاسن والمساوي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، د.ط.، د.ت.

- **ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي** (ت: 874هـ / 1469م)

18- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، د.ت.

- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل** (ت: 429هـ / 1037م)

19- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.
20- التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح حلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، 1961م.

- **الجاحظ، ابن عثمان بن بحر** (ت: 255هـ / 868م)

21- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.
22- كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1914م.

- **جحظة، أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك** (ت: 324هـ / 935م)

23- ديوان جحظة البرمكي، تحقيق جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي** (ت: 597هـ / 1200م)

24- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 1992م.
25- الأذكياء، تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي، مؤسسة عز الدين، بيروت، د.ط، 1986م.

- **الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس** (ت: 331هـ / 942م)

26- كِتَاب الوزراء والكُتَّاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1938م.

- **ابن حبيب، أبو جعفر محمد** (ت: 245هـ / 859م)

27- المحبر، اعتنى بتصحيحه إيلزة ليختن شيتار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الحميري، محمد عبد المنعم** (ت: 866هـ / 1464م)

28- روض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، د.ت.

- **الحنبلي، حافظ رجب** (ت: 795هـ / 1392م)

29- الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت

- **أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود** (ت: 282هـ / 895م)

30- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، د.ت.

- **أبو حيان التوحيدي، علي محمد بن العباس** (ت: 414هـ / 1023م)

31- الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الخطيب البغدادي، حافظ أبو بكر أحمد بن علي** (ت: 463هـ / 1070م)

32- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد** (ت: 808هـ / 1406م)

33- تاريخ ابن خلدون المعروف باسم العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1967م.

- **ابن خلكان، شمس الدين أحمد** (ت: 681هـ / 1282م)

34- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، د.ط، 1976م.

- **خواندمير، غياث الدين** (ت: 942هـ / 1535م)

35- دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1980م.

- **خليفة بن خياط، أبو عمر بن أبي هبيرة (ت: 240هـ / 854م)**

36- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط2،

د.ت.

- **الدواداري، أبو بكر بن عبدالله ابن أيبك(ت:736هـ /1335م)**

37- كنز الدُرر وجامع الغرر المسمى الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن(ت:966هـ /1561م)**

38- تاريخ الخميس في أحوال أنفس ونفيس، مؤسسة شعبان لنشر، بيروت ،د.ط،د.ت.

- **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد** (ت: 748هـ / 1347م)

39- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.

40- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

41- سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت.

- **ذو النسبين، أبو الخطاب عمر** (ت: 630هـ / 1132م)

42- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، وزارة المعارف العراقية، بغداد، د.ط، 1996م.

- **ابن أبي ربيعة، عمر** (ت:93هـ / 711م)

43- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

- **ابن الرومي، أبو الحسن بن علي بن العباس بن جريح** (ت: 284هـ / 897م)

44- ديوان ابن الرومي، شرحه أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

- **الزبيدي، محمد مرتضي** (ت: 1205هـ / 1791م)

45- تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر بيروت، د.ط، 1966م.

- **الزبير بن بكار** (ت: 256هـ / 869م)

46- الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني، مطبعة العاني، بغداد،

د.ط، د.ت.

- **ابن الزبير، الرشيد** (ت: بعد 561هـ / 1165م)

47- كتاب الذخائر والتحف، حققه حُميد الله، الكويت، د.ط، 1959م.

- **سرهنك، إسماعيل** (ت: 1343هـ / 1924م)

48- حقائق الأخبار من دول البحار، المطبعة الأميرية، بولاق، ط1، د.ت.

- **ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر** (ت: 532هـ / 1960م)

49- الطبقات الكبرى، بيروت، ط4، 1985م.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن** (ت: 911هـ / 1505م)

50- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

51- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998م.

52- تفسير الجلالين، القاهرة، د.ط، 2001م.

- **ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد** (ت: 815هـ / 1412م)

53- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم** (ت: 548هـ / 1153م)

54- الملل والنحل، دار صعب، بيروت، د.ط، 1986م.

- **شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله** (ت: 548هـ / 1153م)

55- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايزبك، د.ط، 1993م.

- **الصابي، أبي الحسين هلال** (ت:448هـ / 1650م)

56- رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، دار الأوقاف العربية، د.ط، 2003م .

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك** (ت: 764هـ / 1362م)

57- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب،

وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1991م.

- **الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله** (ت: 335هـ / 964م)

58- أدب الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1994م.

59- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1982م.

- **ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي** (ت: 709هـ / 1309م)

60- الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.

- **الطبري، محمد بن جرير بن يزيد** (ت: 310هـ / 922م)

61- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1971م.

- **الطوسي، الحسن بن علي بن إسحاق** (ت: 485هـ / 1022م)

62- سياسة نامة(سير الملوك)، ترجمة يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت، د.ط، د.ت.

- **ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد** (ت: 328هـ / 939م)

63- العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة، د.ط، د.ت.

- **العبري، غريغوريوس الملطي** (ت: 685هـ / 1280م)

64- تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، د.ط، د.ت.

- **أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم** (ت: 210هـ / 825م)

65- ديوان أبو العتاهية، دار صادر، بيروت، د.ط، 1964م.

- **ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي** (ت: 1346هـ / 1927م)

66- تاريخ دمشق الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1987م.

- **ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي** (ت: 1089هـ / 1703 م)

67- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998م.

- **ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد** (ت: 580هـ / 1184م)

68- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، د.ط، د.ت.

- **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل** (ت: 732هـ / 1331م)

69- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، د.ط، 1840م.

70- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المثنى، القاهرة، ط1، د.ت.

- **أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين محمد أحمد** (ت: 420هـ / 1029م)

71- الأغاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1956م.

- **ابن الفقيه الهمذاني، أحمد بن إبراهيم** (ت: 279هـ / 892م)

72- كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1. 1996م.

73- كتاب مختصر البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، د.ط، د.ت.

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم** (ت: 276هـ / 889م)

74- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط6، 1992م.

75- الإمامة والسياسة، تحقيق محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت.

76- الشعر والشعراء، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1993م.

- **القرماني، أحمد بن يوسف** (ت: 1019هـ / 1610م)

77- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتاب، بيروت، د.ط، د.ت.

- **القزويني، زكريا محمد بن محمود** (ت: 632هـ / 818م)

78- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **القلقشندي، أحمد بن علي** (ت: 821هـ / 1418م)

79- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

80- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الفكر، ط1، 1987م.

- **القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي المصري** (ت: 453هـ / 1061م)

81- زهرة الآداب وثمرة الألباب، دار الجيل، بيروت، ط4، د.ت.

- **ابن كثير، أبو الفداء الحافظ** (ت: 774هـ / 1372م)

82- البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف** (ت: 732هـ / 1332م)

83- كتاب الولاة والقضاة، صححه رفن كنت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.

84- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي بن الحسين، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1993م.

- **المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران** (ت: 384هـ / 994م)

85- معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار محمد فراج، د.ط، د.ت.

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين** (ت: 346هـ / 960م)

86- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط6، 1984م.

- **ابن المعتز، عبد الله بن المتوكل بن المعتصم** (ت:296هـ / 908م)

87- طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.

- **المقدسي، المطهر بن طاهر** (ت: 380هـ / 990م)

88- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة العربية، د.ط، د.ت.

- **المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد** (ت: 390هـ / 999م)

89- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ط2، 1909م.

- **مقديش، محمود** (ت: 1228هـ /1813 م)

90- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الروادي، محمد محفوظ، دار الغريب الإسلامي، د.ط، د.ت.

- **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر** (ت: 845هـ / 1441م)

91- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة ملتزمة، القاهرة، د.ط، د.ت.

92- الذهب المسبوك وذكر من حج من الخلفاء والملوك، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1955م.

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأفريقي** (ت: 711هـ / 1311م)

93- لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، 1955م.

- **مؤلف مجهول**

94- أخبار الدول العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1997م.

- **مؤلف مجهول**

95- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، المكتب التجاري، د.ط، د.ت.

- **مؤلف مجهول**

96- ألف ليلة وليلة، هذبه أنطوان صالحاني اليسوعي وآخرون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، 1800م.

- **ابن النديم، محمد بن إسحاق** (ت: 377هـ / 987م)

97- الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءه، ط1، 1985م.

- **هارون الرشيد** (ت: 193هـ / 808م)

98- ديوان هارون الرشيد، تحقيق سعدى ضناوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.

- **اليافعي، أبو محمد عبد الله** (ت: 768هـ / 1368م)

99- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله** (ت: 626هـ / 1228م)

100- معجم البلدان دار صادر، بيروت، د.ط، 1957م.

101- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

- **اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر** (ت: 284هـ / 897م)

102- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ط، 1960م.

103- كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ط، د.ت.

104- مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت.

ثانياً: المراجع:

أ) المراجع العربية:

- **الأطرقجي، رمزية حمد**

1- بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، مطبعة النعمان، النجف، د.ط، 1975م.

- **أمين، أحمد**

2- ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1975م.

3- هارون الرشيد، دار الشروق، ط1، 2008م

- **برانق، محمد أحمد**

4- البرامكة في ظلال الخلفاء، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

- **بيطر، أمينة**

5- تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، د.ط، د.ت.

- **الجومرد، عبد الجبار**

6- هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، المكتبة العمومية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **حسن، إبراهيم حسن**

7- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط5، 2001م.

- **الحسني، عبد الرزاق، عبد العزيز الدوري**

8- بغداد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984م.

- **حلاق، حسان**

9- منهاج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات النظرية والتطبيق، دار النهضة، بيروت، ط2، 1991م.

- **حمادة، محمد ماهر**

10- دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ومصادره منذ عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسوريا ومصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.
11- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.

- **حميد، فوزي محمد**

12- عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط2، 1999م.

- **الحوفي، أحمد محمد**

13- تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار النهضة، القاهرة، ط3، د.ت.

- **خرايسات، محمد عبد القادر**

14- المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الأردنية، الأردن، ط1، د.ت.

- **الخربوطلي، علي حسني**

15- المهدي العباسي ثالث الخلفاء العباسيين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت.

- **الخضري، بك**

16- تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994م.

- **أبو خليل، شوقي**

17- أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.

- **دخيل، سليمان**

18- الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003م.

- **الدوري، عبد العزيز**

19- العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1997م.
20- النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ط1، 1950م.
21- الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1990م.

- **رفاعي، أحمد فريد**

22- عصر المأمون، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط3، 1923م.

- **زكار، سهيل**

23- تاريخ العروبة الإسلامية منذ ما قبل البعث وحتى سقوط بغداد، د.ط، دار الفكر، بيروت، ط1، 1975م.

- **زيادة، محمود محمد**

24- دراسات في التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1969م.

- **زيدان، جرجي**

25- العباسة أخت الرشيد أو نكبة البرامكة، مطبعة الهلال، مصر،د.ط، 1906م.
26- تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، مصر، د.ط، د.ت,

- **سالم، عبد العزيز**

27- العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

- **سرور، محمد جمال الدين**

28- الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 2005م.

- **السيد، علي السيد**

29- من تاريخ هارون الرشيد والبرامكة، مطبعة علي، دمنهور، د.ط، د.ت.

- **الصالح، صبحي**

30- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت.

- **ضيف شوقي**

31- العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

- **العبادي، أحمد مختار**

32- في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1993م.

- **العسيلى، بسام**

33- الرشيد القائد، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988م.

- **العش، يوسف**

34- تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، د.ت.

- **عطا الله أحمد**

35- بيت الحكمة في عصر العباسيين، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

- **علي، جواد**

36- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1993م.

- **علي، محمد كرد**

37- الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1968م.

- **علي، وفاء محمد**

38- الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، ط1، 1988م.

39- صفحات من تاريخ العباسيين، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

- **عمرو، علي عبد الرحمن**

40- أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، مطبعة الدجوي، القاهرة، ط1، 1979م.

- **فرج، هولوجوت**

41- البرامكة سلبياتهم وإيجابيتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990م.

- **فروخ، عمر**

42- تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1980م.

- **الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف**

43- معالم التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

فوزي، عمر فاروق

44- العباسيون الأوائل، دار مجدلاوي، الأردن، د.ط، د.ت.

45- الخلافة العباسية ،جامعة بغداد ،د.ط،د.ت.

46- الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، دار الشروق، 1998م.

47- العراق والتحدي الفارسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.

- **كحيلة، عبده**

48- العقد الثمين في تاريخ المسلمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، 2001م.

- **الكروي، إبراهيم سلمان**

49- نظام الوزارة في العصر العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1989م.

50- طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، ط2، 1989م.

- **ماجد، عبد المنعم**

51- العصر الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1984م.

- **محمود، حسن أحمد، أحمد إبراهيم الشريف**

52- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1973م.

- **المدور، جميل نخلة**

53- حضارة الإسلام في دار الإسلام، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، 1937م.

- **المصري، حسين مجيب**

54- الصلات بين العرب والفرس والترك دراسة تاريخية أدبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **مصطفى، شاكر**

55- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت.

56- دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ط، 1973م.

- **مصطفى، مجاهد**

57- التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، وزارة الثقافة، بغداد، ط1، 1982م.

- **مطران، خليل مطران**

58- مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، دار مارون عبود، د.ط، د.ت.

- **مؤنس، حسين**

59- أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **الناطور، شحاده وآخرون**

60- الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، الأردن، د.ط، 1990م.

- **الإنباري، عبد الرزاق علي**

61- القضاء في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العصر السلجوقي، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1987م.

- **ندا، طه**

62- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعارف الجامعية، د.ط، 1995م.

- **أبو النصر، عمر**

63- الهوى والشباب والحضارة في عهد الرشيد، منشورات مكتب عمر أبو النصر، مصر، د.ط، د.ت

- **الوافي، محمد عبد الكريم**

64- منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1990م.

ب) المراجع المترجمة:

- **أبيلياف، ي**

1- العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، د.ط، 1973م.

- **أربري**

2- تراث فارس، ترجمة يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1959م.

- **أوليري، دي لاسي**

3- الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972م.

- **بروى، إدوار وآخرون**

4- تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى، نقله إلى العربية يوسف داغر، فريد داغر، دار عويدات للنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **بروكلمان، كارول**

5- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية منير البلعبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، د.ت.

- **جوانتاين**

6- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ط، 1980م.

- **حتي، فليب وآخرون**

7- تاريخ العرب المطول، دار الكشاف، ط3، 1967م.

8- صانعوا التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، ط1، 1969م.

- **ديورانت، وال**

9- قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة، مصر،

ط4، 1973م.

- **فييه، جان موريس**

10- أحوال النصارى في خلافة بني العباس، نقله إلى العربية حسني زينه، دار المشرق، بيروت، ط1، 1990م.

- **كرستنسن، آرثر**

11- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1982م.

- **كلو، أندريه**

12- هارون الرشيد وعصره، ترجمة محمد الدرقي، سراس للنشر، د.ط، د.ت.

- **لسترنج، كي**

13- بلدان الخلافة الشرقية، يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح حتى أيام تيمور، ترجمة بشير فرنيس، كوريس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2، د.ت.

- **هنري، جيمس**

14- انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، نقله إلى العربية أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 1966م.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف:

- **البدري، خليل**

1- موسوعة العظماء والمشاهير، دار أسامة، الأردن، ط1، 1959م.

- **جاف، حسن كريم**

2- موسوعة تاريخ إيران السياسي من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الأموية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2008م.

- **خورشيد، إبراهيم وآخرون**

3- دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **روزنثال، يودين**

4- الموسوعة الفلسفية، ترجمة سعيد كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981م.

- **الروضان، عبدعون**

5- موسوعة الشعراء في العصر العباسي، دار أسامة، عمان، ط1، 2001م.

- **زامباور**

6- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة سيدة إسماعيل الكاشف وآخرون، دار الرائد، العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الزركلي، خير الدين**

7- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت.

- **سيد، فؤاد صالح**

8- معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي الإسلامي،

دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م.

- **عطية الله، أحمد**

9- القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1996م.

- **فريق البحوث والدراسات الإسلامية**

10- موسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مكتبة علاء الدين، ط4، 2000م.

- **كحالة، عمر رضا**

11- أعلام النساء في عالمي الأدب العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة، سوريا، د.ط، د.ت.

- **لويس، معلوف**

12- المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط5، 1927م.

- **مجموعة مؤلفين**

13- المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذهب والفرق والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، تعريب سهيل زكار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1997م.

- **مسعود، جبران**

14- الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1964م.

- **مصطفى، شاكر**

15- موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.

رابعاً: الدوريات والمؤتمرات:

أ) الدوريات:

- **دورناق، محمد أحمد**

1- أثر السياسة الفارسية، صحيفة دار العلوم، مصر، ع3، 1943م.

- **فلاح، قحطان صلاح**

2- القصة على لسان الحيوان . كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون نموذجاً، مجلة التراث العربي، دمشق، ع86، 2002م.

- **فوزي، عمر فاروق**

3- اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع20، 1976م.

- **اليوزبكي، توفيق سلطان**

4- نظام الحجابة في النظم العربية الإسلامية دراسة مقارنة (41-741هـ / 671-1053م)، مجلة آداب الرافدين، بغداد، ع22، 1991م.

ب) المؤتمرات:

1- المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، عمان، 1992م.

- **خماش، نجدة**

التنظيم الإداري في بلاد الشام.

خامساً: الرسائل والأطروحات :

- **إبراهيم، محمد صلاح الدين**

1- الاغتيالات السياسية في الدولة العباسية (132-334هـ / 749-945م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2005م.

- **عبد الحكيم، أماني محمد**

2- ندماء الخلفاء في العصر العباسي الأول (132-232هـ / 749-846م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ الإسلامي، 2007م.

- **عبد الغني، عبد السلام عبد الغني**

3- العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2003م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

1- André Clot, Harun Al-Rashiad and the world of the thousand and one nights, London, 1986.

2- D. ETJ. Sourdel, La civilisation de L'Islam Classioue, Canade, 2001.

3- Encyclopaedia of Islam Leiden – E. J. Brill, London, 1979.

4- Jonatnan Blom and Sheil Blair, Islam achousano years of faich ano power, London, 2002.

5- Josephr Strayer, Dictonary of the middle ages, New York.

6- M. S. Shaban, Islamic history a new in terpretatio A. D. 750-1055 (A. H 132-448), Cambridge University, 1976.

7- Tayeb El-Hibri, Reinterpreting, Islamic historic graphy, Cambridge University, press, 1999.

Al-Baramiqa during the Caliphate of Haroon Al-Rasheed (170-193 A. H / 786-808 A. D.)

Abstract

The political role of Al-Baramiqa family clearly appeared during the caliphate of the fifth Abbasid calipha Haroon Al-Rasheed (170-193 A.H./786-808 A.D.). Through the role of this family was observable in the Islamic Arabic state on earlier than the reign of Haroon Al-Rasheed, its remarkable appearance on the stage of the political events of the state was in the era of the calipha Haroon Al-Rasheed; notably, when it held the power; the government. That was not the case with the preceding eras; particularly, the Islamic Aumayan one when the members of the family did not have any effective political role.

The study of Al-Baramiqa family during the caliphate of Haroon Al-Rasheed forms, in fact, one of the brilliant pager of the Islamic history and Abbasid history in particular. In this study, we try to shed some light on significant role played by Al-Baramiqua in that particular time. Apart from other relevant aspects, we concentrate much here on the political aspect shown by this family, not for Islamic religion or for the state public interest, but for the personal interest of the family.

The study falls into four chapters in addition to the introduction and the conclusion. The introduction presents the importance and reasons of the study, and also gives a brief account of the four subsequent chapters. Chapter one in its two sub-sections discusses the origin and religion of Al-Baramiqa, and their relations with the Islamic Arabic state. Chapter two deals with the Al-Baramiqa political role during the reign of the calipha Haroon Al-Rasheed (170-193 A.H./ 786-808 A.D.). in this chapter, there are the important points raised in three separate sections ; first , the political role of the authorization minister yahya Al-Barmaqi; second, the political

role of Al-Fadel bin yahya in directing the politics of the state; finally, the political duties performed by Ja'far bin Yahya Al-Barmaqi, and his relation with the calipha Haroon Al-Rasheed. Chapter three, consisting five sections, studies the factors and reasons that were behind the collapse of Al-Baramiqa during the caliphate of Haroon Al-Rasheed; political, economical, religious and national reasons. Chapter four, under the title: "The End of Al-Baramiqa (187 A.H./208 A.D.)", sheds, in its three sections, sheds much light on the gradual dispossession of power from Al-Baramiqa, the events relevant to their end, and the political, economical and educational consequences appeared on a result of their end. Finally, the conclusion summarises the political role and position practiced by Al-Baramiqa during the reign of the calipha Haroon Al-Rasheed, in addition to some relevant recommendations for future research.